منهجا ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري في شرحيهما السبع الطوال

٥٤٨
٢٠١٢
١٥٢

إعداد

خالد محمد راشد سعد صغيّر العجمي

المشرف

الدكتور حمدي محمود منصور

قدمت هذه الإطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

اللغة العربية و آدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ .....

حزيران ، ٢٠١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا خالد محمد راشد العجمي، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي /أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٢/٦/٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرسالة (منهجا ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري في شرحيهما السبع الطوال) وأجيزت بتاريخ ٢٤ / ٦ / ٢٠١٢ .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
- الدكتور حمدي محمود منصور، مشرفا أستاذ مشارك في الأدب الجاهلي والأندلسي.	.....
- الدكتور محمود عبد الله الحديد، عضوا أستاذ مشارك في فقه اللغة العربية.	.....
- الدكتور ياسين يوسف عايش، عضوا أستاذ مشارك في الأدب العباسي.	.....
- الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن، عضوا أستاذ الأدب الجاهلي، جامعة العلوم الإسلامية.	.....

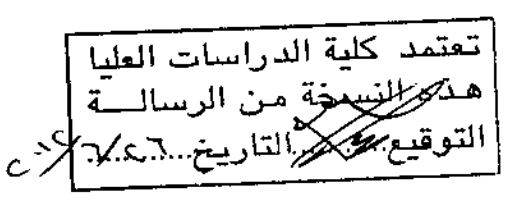

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهداء

إلى

والديّ

وإخوتي . . .

وشريكة عمري

وفلذتي كبدي محمد وعلي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر و تقدير

أتقدم بعظيم الشكر والتقدير لأستاذي

الدكتور حمدي منصور

لتفضله بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، و ما أغدقه عليّ من نصح و توجيه ، فكان خير من أشرف .. القوي .. الأمين

كما أتقدم بجزيل الشكر و التقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن

الدكتور محمود الحديد

الدكتور ياسين عايش

على تفضلهم بمناقشة هذه الرسالة ، و رفدي بقيّم الملاحظات و صادق التوجيهات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص	ح
المقدمة	١
التمهيد	٦
الفصل الأول : الشروح الشعرية قبل ابن كيسان وابن الأنباري	
المبحث الأول : الشرح لغة واصطلاحا	٢٩
المبحث الثاني : نشأة الشروح الشعرية	٣٢
المبحث الثالث : العوامل التي مهّدت لظهور الشروح الشعرية	٤٦
النص الديني	٤٦
عناية الخلفاء والأمراء بالشعر	٤٩
حلقات العلم والمجالس الأدبية	٥٢
المبحث الرابع : مجالات الشروح الشعرية واتجاهاتها	٥٥
الاتجاه التاريخي	٥٨
الاتجاه اللغوي	٥٩
الاتجاه النحوي	٦٠
الاتجاه النقدي والبلاغي	٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: الاتجاه التاريخي عند ابن كيسان وابن الأنباري

المبحث الأول : الجانب التاريخي ٦٣

عند ابن كيسان ٦٤

أولا : التعريف بنسب الشاعر..... ٦٤

ثانيا : التعريف بالأعلام والقبائل الواردة في ثنايا الشعر ٦٦

ثالثا : التعريف بالأماكن ٦٩

رابعا : توضيح ما يتضمنه الشعر من أحداث ٧١

عند ابن الأنباري ٧٣

أولا : التعريف بنسب الشاعر ٧٣

ثانيا : استحضار الأخبار ٧٥

ثالثا : مناسبة القصائد ٧٨

رابعا : الأحداث التي وردت في الأبيات ٧٨

خامسا : التعريف بالأعلام والقبائل والأماكن الواردة في ثنايا الشعر ٧٩

المبحث الثاني : الرواية الشعرية ٨٣

منهج ابن كيسان في الرواية ٨٦

أولا : التحقق من نسبة الأبيات للشاعر ٨٦

ثانيا : الروايات المختلفة للبيت الشعري ٨٨

منهج ابن الأنباري في الرواية ٩١

أولا : التحقق من نسبة الأبيات للشاعر ٩١

ثانيا : الروايات المختلفة للبيت الشعري ٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث : الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان وابن الأنباري

المبحث الأول : الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان ١٠٣

أولا: شرح الألفاظ المفردة ١٠٥

ثانيا: شرح المعاني العامة للأبيات ١١٣

المبحث الثاني : الاتجاه اللغوي عند ابن الأنباري ١١٧

أولا: شرح الألفاظ المفردة ١١٩

ثانيا : شرح المعاني العامة للأبيات ١٣٧

الفصل الرابع : الاتجاه النحوي عند ابن كيسان وابن الأنباري

المبحث الأول : الاتجاه النحوي ١٤٣

عند ابن كيسان ١٤٤

المصطلح النحوي ١٤٦

العامل والمعمول ١٤٨

العلة والتعليل ١٤٩

الحذف ١٥٠

التقديم والتأخير ١٥١

الروابط النحوية ١٥٢

التعدد الإعرابي ١٥٣

التقدير الإعرابي ١٥٥

مسائل الخلاف ١٥٦

عند ابن الأنباري ١٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصطلح النحوي ١٦١
العامل والمعمول ١٦٣
العلة والتعليل ١٦٣
العلامة الإعرابية ١٦٤
الحذف ١٦٦
الروابط النحوية ١٦٧
التعدد الإعرابي ١٦٨
التقدير الإعرابي ١٦٩
مسائل الخلاف ١٧٠
المبحث الثاني: الجانب الصرفي ١٧٤
عند ابن كيسان ١٧٥
المفرد ١٧٥
المذكر والمؤنث ١٧٦
المقصور والممدود ١٧٨
النسبة ١٧٩
التصغير ١٨٠
قضية فعلت وأفعلت ١٨٠
الإبدال ١٨١
الإدغام ١٨٢
عند ابن الأنباري ١٨٣
الميزان الصرفي ١٨٣
المفرد والجمع ١٨٤
المذكر والمؤنث ١٨٥
المقصور والممدود ١٨٦
النسبة ١٨٧
التقاء الساكنين ١٨٧
الإبدال ١٨٨
الإدغام ١٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلب المكاني ١٩٠

الفصل الخامس : الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان وابن الأنباري

المبحث الأول : الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان ١٩٥
أنظاره النقدية..... ١٩٨
أنظاره البلاغية ٢٠٣
الظواهر العروضية ٢٠٧
المبحث الثاني : الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن الأنباري ٢١٠
أنظاره النقدية ٢١٦
أنظاره البلاغية ٢١٨
الظواهر العروضية ٢٢٥
الخاتمـــة ٢٢٨
المصادر والمراجع ٢٣٣
الملخص باللغة الإنجليزية ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهجا ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري في شرحيهما السبع الطوال

إعداد

خالد محمد راشد سعد صغيّر العجمي

المشرف

الدكتور حمدي محمود منصور

الملخص

نظرت هذه الدراسة في تفاصيل منهجي ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري في شرحيهما للقصائد السبع الطوال، فبحثت في الشروح الشعرية بشكل عام لتنظير هذا الفن، ومعرفة نشأته ومجالاته واتجاهاته. ثم سلطت الضوء بشكل خاص على شرحي ابن كيسان وابن الأنباري لمعرفة الاتجاهات العلمية المتبعة فيهما، والوقوف على مظاهر كل اتجاه، وملاحظة أثر هذه المظاهر في توضيح المعنى، وكيفية توظيف الشارحين لها.

وأظهر استقراء عينة من الشروح الشعرية قبل القرن الرابع الهجري، أن الشرح عملية تهتم بالألفاظ والمعاني، أسهم في ظهورها عدد من العوامل الرئيسة، منها: النص الديني، وحلقات الدرس، واهتمام الخلفاء والأمراء برواية الشعر وتفسيره. وتبين أن التنوع في اتجاهات الشراح قائم على تنوع علومهم وثقافاتهم، فجاءت اتجاهاتهم تاريخية، ولغوية، ونحوية، ونقدية بلاغية.

أما استقراء شرحي ابن كيسان وابن الأنباري للسبع الطوال، فأظهر للدراسة اتجاهات الشارحين التي استعانوا بها في توضيح المعنى، ومظاهر كل اتجاه، ومدى حضوره. فجاءت مظاهر الاتجاه التاريخي تضم: التعريف بنسب الشاعر، وبالأعلام، وبالقبائل وبالأماكن الواردة في ثنايا الشعر، والاهتمام بمناسبة القصائد، واستحضار الأخبار ذات الصلة بها، وتوضيح ما يتضمنه الشعر من أحداث، والتحقق من رواية الأبيات وألفاظها .

وظهر الاتجاه اللغوي في الشرحين يهتم بالألفاظ ثم المعاني، ليقف كل من الشارحين على تفسير غريب الألفاظ وضبطه، وملاحظة الأصل والتطور الدلالي للفظة، وبحث المشترك

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والترادف والأضداد في الألفاظ، ورصد الخاص والعام والمطلق والمقيد من الألفاظ. ومن ثم نثر المعنى العام للأبيات الشعرية .

وبرز الاتجاه النحوي في الشرحين ليضم النحو والصرف، إذ يستعين الشارحان في توضيح المعنى على النحو بالوقوف على قضاياه الآتية الأساسية: كالمصطلح النحوي، والعامل، والمعمول، والعلة، والتعليل، والعلامة الإعرابية، والحذف، والتقديم، والتأخير، والروابط النحوية، والتعدد الإعرابي، والتقدير الإعرابي، والخلاف النحوي. وعلى الصرف بالوقوف على: المفرد، والجمع، والمذكر، والمؤنث، والمقصور، والممدود، والنسبة، والتصغير، والتقاء الساكنين، والإبدال، والإدغام، والقلب المكاني.

أما الاتجاه النقدي البلاغي، فجاء في الشرحين يفتقد لملامح النظرية العلمية، ويقتصر على خدمة المعنى اللغوي، فوقف الشارحان في النقد على إطلاق الأحكام الانطباعية التأثرية، وعلى قضايا: السرقة الشعرية، والصدق والكذب، والمقدمة الطللية. وفي البلاغة وقفا على: التمثيل، والتشبيه، والكناية، والتعريض، والالتفات، وبعض الأساليب الإنشائية. أما المسائل العروضية، فاقتصر الشارحان بالوقوف على الضرورات الشعرية.

وقد حاول الباحث في سعيه لتحقيق الأهداف المرجوة من هذه الدراسة استخدام عدد من أساليب البحث العلمي، فاستعان بالمنهج التاريخي، والوصفي، والتحليلي، والتقابلي، والإحصائي، وفقا لما تقتضيه الموضوعات التي تعرض لها الفصول.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة

حظيت القصائد السبع الطوال الجاهليات في بداية عصور التأليف بإعجاب كثير من الناس، فتلقوها بقبول حسن، وأقبلوا على قراءتها وحفظها، فاكتسبت شهرة واسعة بين الأدباء والعلماء وجمهور الشعر، فقد كانت في وزنها وتعبيرها وألفاظها ومعانيها المثل الأعلى لتقاليد الشعر العربي، والنموذج الأسمى الذي يحاكيه الشعراء في صياغة شعرهم .

كما اتجه عدد من علماء اللغة والنحو والنقد والبلاغة عبر العصور إلى شرح غريبها وتفسير غامضها وإيضاح صورها، واتخاذها مادة لعلومهم وشواهدهم، وجعلها ميدانا فسيحا لنشر آرائهم ومذاهبهم العلمية، فكانت لهم في ذلك مناهج واتجاهات مختلفة. ومن أبرز من شرح هذه القصائد أبو الحسن بن كيسان (ت ٢٩٩هـ)، وأبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).

وكان المبرر من إجراء الدراسة على هذين الشارحين، أنهما من أوائل شرّاح القصائد السبع، وشرحاهما أول ما وصل إلينا من الشروح الشعرية، ومنهجاهما لم يدرسا من قبلُ دراسة مستقلة مستفيضة. وإن كان أحدهما افتقد بعض أجزائه – شرح ابن كيسان– فالشرحان يمثلان أساسا وأصلا لفن الشروح الشعرية .

ومن المبررات الأخرى لهذه الدراسة أن هذين العالمين يمثلان طبقتين مختلفتين من طبقات الشرّاح، فابن كيسان كان من شرّاح الطبقة الرابعة (من٢٥٠ إلى٣٠٠ هـ)، وأبو بكر ابن الأنباري كان من شرّاح الطبقة الخامسة (من٣٠٠ إلى٣٥٠ هـ). فأي اختلاف بين الشارحين، سيبين الاختلاف العام بين الطبقتين، إضافة إلى اختلاف الشارحين في المذهب النحوي، فالأول مزج بين مذهب البصريين والكوفيين في آرائه، أما الثاني فقد تعصب للمذهب الكوفي في رأيه .

وقد اتبع هذان العالمان في شرحيهما منهجين، تشابها فيما بينهما في بعض الأمور، واختلفا في أمور أخرى، فكانت النتيجة أن حفل الشرحان بشروح غريب الأشعار، وحلّ مشكلات النحو والإعراب فيها، وتقريب غامض معانيها وإيضاح صورها، فأصبح الشرحان موسوعتين تضمّان بعض علوم العربية، ليساعدا المتلقي في فهم الشعر العربي القديم، واستيعاب معانيه .

تتفرع أهداف هذه الدراسة من أهميتها؛ فمن أبرزها تسليط الضوء على الشروح الشعرية بشكل عام، لتعريفها، والنظر في نشأتها، ورصد مجالاتها واتجاهاتها، والعوامل التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهدت لها. وتهدف هذه الدراسة بشكل خاص تسليط الضوء على شرحي ابن كيسان وابن الأنباري للسبع الطوال؛ لمعرفة الاتجاهات في الشرحين، والوقوف على مظاهر كل اتجاه فيهما، وملاحظة أثر هذه المظاهر في توضيح المعنى، وقدرة الشارح على توظيفها، وتوصيل المعنى إلى المتلقي .

وهناك كثير من الدراسات السابقة التي لها صلة بهذه الدراسة، ولكنها كانت صلة جزئية تختلف عنها في الأهداف، والزمان، والعينات، والأدوات. ومن هذه الدراسات :

– ابن كيسان النحوي: حياته، آثاره، آراؤه، لمحمد إبراهيم البنا (١٩٧٥): تتكون هذه الدراسة من بابين، تطرق الأول لحياة ابن كيسان ومكانته العلمية ومؤلفاته، أما الثاني؛ فشمل آراءه في الأبنية والأدوات والتراكيب والإعراب. وقد حاول المؤلف عند ذكر مؤلفات ابن كيسان أن يذكر شرحه للسبع الطوال، في كلام قصير مختصر، احتوى إشارات سريعة عن المعلقات التي شرحها، وما خلفه هذا الشرح من أثر .

– منهج التبريزي في شروحه لفخر الدين قباوة (١٩٧٥): وجاءت هذه الدراسة في بابين تناول الأول شرح الآثار الأدبية قبل التبريزي، ووضح منهجه في الشروح الأدبية واللغوية، أما الباب الثاني؛ فاقتصر على دراسة القيمة التاريخية للمفضليات ومنهج التبريزي في شرحها. ويبدو من هذه الدراسة أن عينتها اقتصرت على شروح التبريزي، ولم تتناول أي جانب من شرح ابن كيسان وابن الأنباري .

– شروح المعلقات لسليمان الشطي (١٩٧٨): تتصف هذه الدراسة بالشمولية والعموم في تناولها شروح المعلقات، واحتوت على إشارات سريعة عن شرح ابن الأنباري، وتجاهلت شرح ابن كيسان، وهذه الإشارات عن ابن الأنباري لا تكفي لإعطاء تصور عام عن منهجه في الشرح .

– شروح الشعر الجاهلي لأحمد جمال العمري (١٩٨١): تناولت هذه الدراسة في الجزء الأول نشأة شروح الشعر الجاهلي دراسة تاريخية، أما جزؤها الثاني؛ فكان لدراسة مناهج بعض شراح الشعر الجاهلي، كابن السكيت، والمرزوقي، والتبريزي. وتظهر العلاقة بين هذه الدراسة ودراستنا في وصف منهجية الشرح إلا أن محاور دراستنا تختلف بشكل كبير عن هذه الدراسة.

– المسائل النحوية في كتاب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لمها الميمان (١٩٨٨): انقسمت الدراسة لثلاثة أبواب رئيسة، الأول لدراسة حياة ابن الأنباري وآثاره العلمية، والثاني لرصد المسائل النحوية في الشرح، أما الثالث؛ فكان لدراسة المذهب والمصطلح في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسائل الشرح النحوية. ويبدو واضحا أن هذه الدراسة اقتصرت فقط على الجانب النحوي في الشرح، وتجاهلت باقي الجوانب التاريخية واللغوية والنقدية والبلاغية .

– محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة لمحمد موعد (١٩٨٩): يهدف هذا البحث إلى دراسة جهود أبي بكر بن الأنباري في النحو والصرف واللغة، وقد تطرق المؤلف إلى الحديث بإيجاز عن شرح ابن الأنباري للسبع الطوال حول موضوعه ومصادره وقيمته ومنهجه، إلا أنه لم يعط صورة وافية لمنهج ابن الأنباري في هذا الشرح.

– بعض الدراسات والمقالات التي تناولت الشروح الشعرية في التراث العربي، دون أن تقف وقفة تحليلية على منهج ابن كيسان وابن الأنباري في شرحيهما للسبع الطوال .

وتختلف دراستنا عن الدراسات السابقة، في أنها تناولت بالتحديد شرحي ابن كيسان وابن الأنباري، وتطرقت بالتفصيل إلى اتجاهات الشرحين التاريخية واللغوية والنحوية والنقدية والبلاغية، فكانت مكملة للدراسات السابقة. ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم تقسيمها إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، تضمنت ما يلي :

المقدمة : وفيها مسوغات هذه الدراسة، وتوضيح لأهميتها وأهدافها، والوقوف على بعض الدراسات السابقة ذات الصلة بها، وتوضيح مدى اختلافها عنها، وأخيرا عرض لمكونات هذه الدراسة، والمنهجية المتبعة في مباحثها وموضوعاتها .

التمهيد : وفيه يتخذ الباحث مدخلا لدراسة حياة ابن كيسان وابن الأنباري، فيقف على بعض أجزائها، فيذكر نسبهما كما ورد في كتب التراجم، ويناقش مولدهما ووفاتهما، ويعدد شيوخهما وتلامذتهما، ويحصي آثارهما، ثم يقف وقفة موجزة على شرح كل منهما – عينة الدراسة – ليصف بعض أجزائه .

الفصل الأول : تقسم الدراسة إلى أربعة مباحث وهي بعنوان: (الشروح الشعرية قبل ابن كيسان وابن الأنباري)، فجاء المبحث الأول لتعريف معنى الشرح لغة واصطلاحا، وتحديد الفرق بين الشرح والتفسير والتأويل، وجعلت الثاني لدراسة النشأة التاريخية للشروح الشعرية، وتحديد طبقات الشراح عبر التاريخ، وتسليط الضوء على مميزات كل طبقة منهم، وقصرت الثالث لتوضيح العوامل الأساسية التي مهدت لظهور الشروح، أما المبحث الرابع؛ فكان لبحث مجالات الشروح، ولتقسيم اتجاهاتها وتسمية بعض الشراح الذين ينتمون لكل اتجاه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: فيه مبحثان، وعنوانه: (الاتجاه التاريخي عند ابن كيسان وابن الأنباري)، تناول المبحث الأول اهتمام الشعراء الجاهليين بمظاهر هذا الاتجاه في أشعارهم، وقيمة العلم به في تسهيل فهم الشعر، ثم البحث في مظاهره عند ابن كيسان وابن الأنباري كل على حدة، ليشمل التعريف بنسب الشاعر، والتمهيد للشرح باستحضار بعض الأخبار، والتعريف بمناسبة القصائد، وتوضيح ما يتضمنه الشعر من أحداث، والتعريف بالأعلام والقبائل والأماكن الواردة في ثنايا الشعر. أما المبحث الثاني؛ فجاء لدراسة الرواية الشعرية وأثرها في توجيه المعنى الشعري، والوقوف على اهتمام ابن كيسان وابن الأنباري بها في شرحيهما، ليشمل التحقق من نسبة الأبيات للشاعر، وملاحظة الروايات المختلفة للبيت الشعري.

الفصل الثالث: وفيه مبحثان، وعنوانه: (الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان وابن الأنباري)، استهل كل مبحث بدراسة لغوية الشارح من خلال النظر في ترجماته، ومؤلفاته، وآرائه. فتناول المبحث الأول الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان، ليشمل النظر في منهجه لشرح الألفاظ المفردة في البيت، فيقف عند تفسير الغريب، وضبط الألفاظ، وملاحظة البنية الدلالية للمفردة، واللهجات المختلفة، والمشترك اللفظي، والأضداد، والترادف، والخاص والعام من الألفاظ، والمطلق والمقيد منها، ثم النظر في منهجه لشرح المعنى العام للبيت. وأما المبحث الثاني فتناول الاتجاه نفسه عند ابن الأنباري، فنظر في منهجه للشرح اللغوي، ووقف عند أهم القضايا التي برزت فيه كما عند ابن كيسان .

الفصل الرابع: (الاتجاه النحوي عند ابن كيسان وابن الأنباري)، مهّد الباحث له، بتوضيح جانبي هذا الاتجاه: (النحو، والصرف)، وقيمة كل جانب وأثره في فهم الشعر، ثم تم تقسيمه إلى مبحثين: اهتم الأول منهما بالوقوف على قضايا النحو عند ابن كيسان وابن الأنباري، وهي تتمثل: (بالمصطلح النحوي، والعامل النحوي، والعلة، والحذف، والتقديم والتأخير، والتعدد الإعرابي، والروابط النحوية، والتقدير الإعرابي، ومسائل الخلاف)، وكيفية توظيفهما لكل قضية في خدمة المعنى. وأما المبحث الثاني؛ فيتناول القضايا الصرفية ودورها في تفسير الشعر عند الشارحين، ومنها: (الميزان الصرفي، والمفرد والجمع، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، وقضية فعلت وأفعلت، والنسبة، والتصغير، والتقاء الساكنين، والإدغام، والإبدال، والقلب المكاني) .

الفصل الخامس: (الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان وابن الأنباري)، تم التمهيد لهذا الفصل بالحديث عن المصطلح والنظرية النقدية والبلاغية قبل عهد الشارحين، ثم الوقوف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على بعض السمات الأسلوبية التي تُميز شرحيهما، ووصف الشكل العام لهما، والحديث عن قضية الاحتجاج فيهما، ثم قُسم الفصل إلى مبحثين: كان الأول منهما يتعلق بدراسة الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان، والوقوف على أنظاره النقدية في الشرح كالأحكام الانطباعية، وأغلاط الشعراء، والسرقات الشعرية، والمقدمة الطللية. وعلى أنظاره البلاغية كالتشبيه، والتمثيل، والكناية، والاستعارة، والالتفات، وبعض الأساليب الإنشائية. وعلى الظواهر العروضية في الشرح المقتصرة على الضرورات الشعرية. أما المبحث الثاني؛ فكان للوقوف على هذه القضايا السابقة في شرح ابن الأنباري، إضافة إلى ما فُقد من قضايا عند ابن كيسان .

وانتهت الدراسة **بخاتمة** : لخّص فيها الباحث بعض نتائج الدراسة، ورصد بعض أوجه المفارقة بين الشارحين في الاتجاهات كلها .

أما المنهجية المتتبعة في هذه الدراسة؛ فقد تعددت حسب مقتضيات الموضوعات التي تعرض لها الفصول، والمباحث التي تتكون منها الدراسة، وقد حرص الباحث في هذه الدراسة على استخدام أساليب البحث العلمي في مجرياتها كافة لتحقيق أهدافها المرجوة .

فاستخدم المنهج التاريخي لتعريف المصطلحات، ووصف النشأة التاريخية للشروح وطبقات الشراح، وبيان تطور مناهج شراح الشعر إلى أن وصلت إلى الصورة التي هي عليها في شرحي ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري للسبع الطوال .

واستخدم الباحث المنهج الوصفي في الدراسة؛ لوصف أعمال الشارحين، والوقوف على آرائهما في اللغة والنحو، وعرضهما للقضايا البلاغية والنقدية في توضيح معاني الأبيات.

أما المنهج التحليلي، فقد تم استخدامه لتحليل آرائهما في اللغة والنحو، والصور الشعرية، والنظر في القضايا البلاغية والنقدية التي عرضاها.

واستخدم المنهج التقابلي في الخاتمة، لعقد الموازنة بين نصوص الأشعار ومعانيها عند الشارحين، والمفاضلة بين آرائهما في الشرح لكشف التباين بين منهجيهما.

أما المنهج الإحصائي، فقد تم استخدامه على نحو مبسط في أثناء تناول الجزئيات المختلفة التي قد يقابل بعضها ببعض عند الباحثين.

وأخيرا بعد توضيح أهمية الدراسة ومبرراتها وأهدافها ومنهجيتها، وما اعتمدت عليه من دراسات سابقة، أسأل الله العلي القدير أن يسهّل سيرها، وأن تحقق أهدافها المرجوة، من خلال توضيح القيمة الفنية لهذه الشروح؛ لتسهم في خدمة العلم عامة، والشروح الشعرية خاصة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حياة ابن كيسان وابن الأنباري

أولا: حياة ابن كيسان

كان ابن كيسان من علماء القرن الثالث الهجري، وهو العصر الذي نضجت فيه العلوم وتنوعت فيه الثقافات، فاندفع بذلك العلماء للتنوع والتوسع في العلوم، وحرص كل منهم على أن يوسّع مناهله وينوع مصادره، فانعكس ذلك فيما خلّفوه من آثار ومصنفات، وكان هذا المنهج العلمي السائد في العصر، لذلك اتّبع ابن كيسان هذا المنهج في مسيرته العلمية، فنوّع علومه وثقافته، فتنوّعت بذلك كتبه ومصنّفاته. وقد أشار أبو حيان التوحيدي لهذا التنوّع في وصفه لمجلسه، قائلا: " ما رأيت مجلسا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم ، وخاصة فيما يتعلق بالتحف والنتف والطرف من مجلس ابن كيسان" [١]؛ مما جعل مجلسه مرجعا لعلوم متنوعة قصدته فئات مختلفة من المجتمع بقصد الإفادة والتعلم. ويؤكد التوحيدي ذلك بقوله: " اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والكتاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه " [٢].

واستعان ابن كيسان بهذا التنوع الثقافي الذي استقاه من مصادره المتنوعة في شرح السبع الطوال، ووظف هذا المخزون المتمثل في علوم الأخبار والتاريخ واللغة والنحو والصرف والبلاغة والنقد والأشعار والشواهد التي يحفظها، لإيصال المعنى بصورة يستقبلها المتلقي على نحوٍ ميسّر ومبسّط، فكانت هذه العلوم هي المنهج والاتجاه الذي اتبعه في الشرح .

ولكن قبل دراسة هذه الفصول سنجول باختصار في حياته لنتعرّف إلى اسمه، ونسبه وولادته، وشيوخه، وتلاميذه، ووفاته، ومصنفاته، وسنقف قليلا عند " شرح السبع الطوال " لنلقي نظرة على ما خلفته نوائب الدهر من هذا الشرح؛ بخلاف الوصول إلى مادة الدرس التي نستنتج منها خصائص منهجه وخفاياه في الشرح .

---

[١] الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، ط١، مج ٦، (تحقيق: عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٤٥ .

[٢] المصدر نفسه، مج ٦، ص ٣٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نسبه :

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان كما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتاب طبقات النحويين واللغويين [١]، ويعد أقدم من ترجم له، ويضيف ياقوت الحموي اسما لجده، فيقول: "محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن " [٢]، بينما يخالفه ابن النديم في هذه الإضافة ويجعل اسم الجد " محمداً " [٣].

كانت كنيته أبا الحسن كما هو واضح عند مترجميه، ويُفهم من ذلك أن أول ذريته يدعى الحسن. وتشير بعض المصادر الأخرى إلى بعض أبنائه، فالخطيب البغدادي يصرح باسم ابنين من أبنائه، فيقول في ترجمة أحدهما: " سألنا علي بن محمد بن أحمد بن كيسان عن مولده، فقال: ولدت سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وأخرج إلينا مولده بخط أبيه: وُلد علي ومحمد ابنا محمد في بطن واحدة، ليلة الجمعة لخمس مضين من جُمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائتين، أول يوم من آب " [٤]. وبهذا يكون لابن كيسان ثلاثة من الأولاد، هم: الحسن، وعلي، ومحمد. ولا نعلم إن كان له غيرهم .

أما ألقابه التي عرف بها؛ فقد تنوعت، منها: ابن كيسان، والنحوي، والبغدادي [٥]. لكنه تميّز واشتهر في كتب النحو واللغة بابن كيسان، لأن الألقاب الأخرى اشتهر بها كثير من النحاة. وكيسان هو لقب أبيه [٦]، وقيل لقبُ جده [٧].

---

[١] الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الأشبيلي، (ت٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، ط٢، (تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٥٣ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٣ .

[٣] ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص٨٩ .

[٤] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، ط١، مج ١٣، (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١، ص ٥٦٣ .

[٥] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، العبر في خبر من غبر، ج١، (تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٣٧ .

[٦] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٢، ص ١٨٧ .

[٧] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مولده:

لم يصرح أحد من القدماء بتاريخ ولادته ومكانها، إلا أن أحد الباحثين المعاصرين حاول استنتاجهما من بعض المعطيات، يقول إبراهيم البنا: " تتلمذ ابن كيسان على المبرد وثعلب وروى عنهما، وقد وُلد الأول سنة (٢١٦هـ)، والثاني سنة (٢٠٠هـ)، ومن ثم فإنه يغلب عليّ الظن أن يكون مولد ابن كيسان بعد المبرد بنحو عشرين سنة، وذلك في أوائل العقد الرابع من هذا القرن، ويرجح هذا التقدير أن ابن كيسان كان قرينا لأبي إسحاق الزّجاج الذي تُوفي سنة (٣١٦هـ)، وقد نيف على الثمانين عاما " [١].

أما مكان ولادته فيستبعد الباحث أن تكون في البصرة أو في الكوفة، بل يرجّح أن تكون في بغداد، ويستند الباحث في هذا الرأي إلى ثلاثة أمور، أولها: أن ابن كيسان لم يكن متعصبا في آرائه النحوية لشيوخ إحدى المدينتين كعادة العلماء البصريين والكوفيين وإنما كان دائما مستقلا يقف موقف المحايد من آرائهما. والأمر الثاني: أن بعض القدماء كان ينسبه لبغداد فيذكره بالبغدادي [٢]، أما الأمر الثالث: فإن الذهبي كان ينسب أولاده الحسن وعلي، فيقول في نسبهم: (الحَرْبيّ) [٣]، وهي نسبة إلى " الحَرْبيَّة: محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب " [٤]. فبهذه الأمور الثلاثة كان الترجيح لولادة ابن كيسان بمدينة السلام بغداد .

شيوخه وتلاميذه:

يبدو أن ابن كيسان نشأ وترعرع في بغداد، فبدأ ينهل من العلماء الذين توافدوا إليها من البلاد الإسلامية كافة، فقد كانت حاضرة الدولة العباسية، واهتم الخلفاء بها، وجعلوها منارة علم وثقافة، فجذبوا العلماء إليها، وقربوهم من مجالسهم، وسخّروا لهم العطايا فأصبحت بغداد بذلك جامعة للعلوم، تزخر بمجالس علمية متنوعة المعارف والموضوعات .

---

[١] البنا، محمد إبراهيم، (٢٠٠٦)، دراسات ونصوص لغوية: ابن كيسان النحوي، ط١، لبنان: دار ابن حزم، ص١٩.

[٢] الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج١، ص٤٣٧ .

[٣] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ج١٢، (تحقيق: عمر ابن غرامة العمروي وعبد السلام محمد علوش)، دار الفكر بيروت، ١٩٩٧، ص٢٧٤، ٤٠٤ .

[٤] الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، مج ٢، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٥، ص ٢٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنقل ابن كيسان بين هذه المجالس ونهل من شيوخها العلوم المتنوعة. ولعلّ مكانته العلمية التي عُرف بها أوضح دليل على هذا، لكنّ كتب التراث لم تُشر إلا إلى ثلاثة شيوخ تتلمذ عليهم، ولم ينقل ابن كيسان سماعه إلا عنهم، ولابد من معرفة نبذة عن حياتهم وعن علومهم وثقافاتهم التي اشتهروا بها؛ للوقوف على بعض العلوم والخصال التي تميز بها ابن كيسان، وهم:

أولا: " بُندار بن عبد الحميد أبو عمر الكرخيّ الأصبهاني، يُعرف بابن لُرّه، استوطن الكَرْخ، ثم قدم بغداد فظهر فضله فيها، وأخذ عن القاسم بن سلام، وعنه أخذ ابنُ كيسان" [١].

اشتهر بُندار برواية الشعر وعلم اللغة والنحو، فقد ذُكر فضله في هذه العلوم وامتُدح بما قدّمه فيها، وقد ذكره ابن الأنباري في أماليه، فقال: " سمعت أبا العباس الأموي يقول: كان بُندار ابن لرّة الأصبهاني أحفظ أهل زمانه للشعر وأعلمهم به " [٢]. وتحدث المبرد عن تفننه في علم اللغة، قائلا: " أصحُّ الناس معرفة باللغة " [٣]، أما القفطي، فقد قال عنه: " لغوي نحوي، خلط المذهبين " [٤]. ويقصد من ذلك تبحره في علم النحو.

أما تلمذة ابن كيسان له، فقد أشار إليها أبو علي القالي فيما يروي الزبيدي: " سَمِعَ منْ بندار ابنُ كيسان" [٥]، وبذلك تكون معرفة بُندار وعلومه قد انعكست على تلميذه، فأصبح من أهم المصادر التي اعتمد عليها في رواية اللغة وأشعار العرب، ويؤكد ذلك هذه النقول الكثيرة التي نقلها ابنُ كيسان عن بُندار في كتب التراث .

ثانيا: شيخ المدرسة الكوفية أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، كان "ثقة صدوقا حافظا للغة عالما بالمعاني" [٦]، وأخذ ينظر في العربية والشعر واللغة، عندما بلغ عمره ستة عشر عاما، وحذق العربية، وحفظ كتب الفراء، وله خمس وعشرون سنة. وكانت عنايته

---

[١] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ط١، ج١، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٤٧٦ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج٣، ص ٧٧ .

[٣] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص ٤٧٦ .

[٤] القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، (ت٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ط١، ج١، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠، ص٢٥٧ .

[٥] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٠٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنحو أكثر من عنايته بغيره، فلما أتقنه انصرف إلى الشعر والمعاني والغريب [١]، وأخذ عن ابن الأعرابي أيضا، كما أخذ عن البصريين، ولكنه التزم مذهب الكوفيين[٢].

وقدم بغداد فترأس حلقات الدرس النحوي، وكان ابن كيسان أحد تلاميذه، وصرّح بهذا أبو بكر بن مجاهد [٣] ، فقد أخذ عنه الشعر [٤] واللغة [٥] والنحو [٦]، والروايات الكثيرة التي نقلها ابن كيسان عنه تؤكد هذا.

ثالثا: شيخ المدرسة البصرية أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد، ولد في البصرة وأخذ عن أبي عثمان المازني، وأبي حاتم السجستاني.[٧]

وقدم المبرّد إلى بغداد في شيخوخته، فاتسم " بغزارة العلم والأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة القريحة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق" [٨]، وعمّت هذه الخصال مجلسه فأصبح من أفضل المجالس وأكثرها فائدة، وكان يمثل المنهج البصري وينشره في بغداد، فحرص شيخنا ابن كيسان أن يتتلمذ عليه، فانضم إلى مجلسه، وأصبح رائدا من روّاده؛ رغبة في زيادة العلم والتنوع والإلمام.

---

[١] ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، (ت٢٩١هـ)، مجالس ثعلب، ط٢، ج١، (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٠ .

[٢] بروكلمان، كارل، (١٩٧٤)، تاريخ الأدب العربي، ط٣، ج ٢، (ترجمة: عبد الحليم النجار)، القاهرة: دار المعارف ، ص٢١٠.

[٣] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٥٣ .

[٤] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٤٠هـ)، أمالي الزجاجي، ط١، (تحقيق: عبد السلام هارون)، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ص١٢٠ .

[٥] القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، (ت٣٥١هـ)، الأمالي، ط١، ج ٢، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٣، ص ١٩٥ .

[٦] البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد، (ت ٥٢١هـ)، كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، (تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٣٤ .

[٧] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص١٦٤ .

[٨] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد استقى ابن كيسان من المبرد علوما مختلفة، وتشير الروايات الكثيرة التي نقلها عن المبرد إلى هذه العلوم، فقد روى عنه بعض الأشعار[١]، ونقل بعض الآراء التي تتعلق باللغة والنحو [٢]، ولا يتسع المقام هنا لذكرها في هذا التمهيد، ولكن من أراد الإفادة والتزود، فعليه الرجوع إليها في مظان الكتب .

دفعت منزلة ابن كيسان العلمية وتواضعه العلمي الذي عُرف عنه في عصره طلبة العلم والعلماء إلى السباق إلى مجلسه، لينهلوا من ثقافته ويتزودوا من علمه ومنهجه، فقد كان له مجلس في جامع المنصور يتردد عليه الرؤساء والكتّاب والأعيان، والبسطاء والفقراء من عامة الناس، فتكونت له طبقة من التلاميذ نقلوا علمه في مصنفاتهم للأجيال المتعاقبة والأقطار المختلفة، وسيشير الباحث إلى بعض أسمائهم بعجالة بعد أن تمّ الرجوع إلى مصنفاتهم في الدراسة فالتمس منها بعض الخصال والخصائص التي ميزت شيخنا في شرح السبع الطوال، فمن تلاميذه: أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس [٣]، وأبو الحسين محمد بن بحر الرَّهْنِيّ [٤]، وأبو بكر محمد بن عثمان الجعد [٥]، وأبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي [٦]، وأبو جعفر محمد بن نصر الغالبي [٧]، وأبو جعفر السعال [٨]، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي المعروف بغلام ثعلب [٩].

---

[١] الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص٨٤ .

[٢] بطليوسي، الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، ص ١٤٥ .

[٣] وردت له نقولات كثيرة عن ابن كيسان في كتابه: شرح القصائد التسع المشهورات.

[٤] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص٥٠٧ .

[٥] ابن الأنباري، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، (ت٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ط١، (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، ص ٢١٣ .

[٦] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٣٧هـ)، الإيضاح في علل النحو، ط٢، (تحقيق: مازن المبارك)، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٣، ص٧٩.

[٧] ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت٢٩٩هـ)، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ط١، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٠، ص١١٨ .

[٨] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٥ .

[٩] أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي، (ت٣٥١هـ)، مراتب النحويين، ط٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٤، ص١٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفاته:

لم يتفق القدماء على تاريخ محدّد لوفاة ابن كيسان؛ إذ يقول الزبيدي في طبقاته: " تُوفي يوم الجمعة لثمانٍ خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين " [١]، ويوافقه في هذا الرأي الخطيب البغدادي [٢]، والقفطي[٣]، ولكن ياقوت الحموي خالفهم في هذا التاريخ، فقال في معجمه: " وجدت في تاريخ أبي غالب همام بن المفضل بن المهذب المغربي أن ابن كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة " [٤]، ويبدو أن رواية الزبيدي هي الأصح؛ لأن من يذكر التاريخ بهذه الدقة، ويحدد اليوم والشهر والسنة حريّ بنا أن نأخذ روايته. ومن الواضح أن كثيرا من القدماء نقلوا عنه هذه الرواية.

لقد رصد إبراهيم البنا هذه الروايات التي تذكر وفاة ابن كيسان، وحللها فرجّح رواية الزبيدي أيضا، وكان سبب ترجيحه لهذه الرواية أن أبا علي القالي لم يرو عن ابن كيسان مباشرة وإنما نقل رواياته بوساطة أحد شيوخه، يقول البنا: " لو كان ابن كيسان حيا إلى سنة (٣٢٠هـ) لكان القالي أحد تلامذته والرواة عنه، فقد حكى الزبيدي أن القالي وُلد في سنة (٢٨٠هـ)، وأنه دخل ببغداد سنة (٣٠٥هـ)، وأنه أقام بها إلى سنة (٣٢٨هـ)، ومعنى هذا أنه كان في حدود الخامسة والعشرين من عمره يوم دخل إلى بغداد، وكان في نحو الأربعين من عمره في سنة (٣٢٠هـ)، فحين نرى القالي لا يذكر أنه تتلمذ لابن كيسان، وحين نراه لا يروي عنه رواية، وحين نراه يسوق بعض أخباره من طريق شيخه ابن مجاهد أو الغالبي، فهذا دليل واضح على أن ابن كيسان قد وافاه الأجل قبل ذلك، أي في التاريخ الذي ذكره الزبيدي "[٥]، ويرى الباحث أن هذا التحليل أقرب إلى الصواب مما ذهب إليه الحموي .

آثاره :

تنوعت مؤلفات ابن كيسان وفقا لثقافته وعلومه التي تميز بها، وقد ورد ذكر هذه المؤلفات في كتب التراجم والفهارس، فبلغ عددها خمسة وعشرين مؤلفاً، تنوعت موضوعاتها في علوم العربية والقرآن والحديث. ومنْ مصنفاته التي تتصل بعلوم القرآن: كتاب معاني

---

[١] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص١٥٣ .

[٢] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٢، ص ١٨٧ .

[٣] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٣، ص٥٩ .

[٤] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص٣٤٦ .

[٥] البنا، ابن كيسان النحوي، ص ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن، وكتاب القراءات، وكتاب الهجاء، وكتاب الوقف والابتداء ، أما كتابه غريب الحديث، فيتصل بعلمي الدلالة والحديث الشريف [١].

وشملت مصنفاته في علوم العربية، النحو، والصرف، والعروض، وشرح الشعر، ومنها: المهذب في النحو [٢]، وكتاب الحقائق، وكتاب المختار في علل النحو، وكتاب البرهان، وكتاب المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون [٣]، وكتاب اللامات[٤]، وكتاب الشاذاني في النحو، وكتاب المختصر في النحو، وكتاب حد الفاعل والمفعول به [٥]، وكتاب علل النحو [٦]، وكتاب الكافي [٧]، وكتاب التصاريف، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث [٨]، وكتاب ألقاب الحروف [٩]، وكتاب العروض، وكتاب غلط أدب الكاتب، ومصابيح الكتاب [١٠] .

وهذه الكتب التي ذكرناها لم نقرأها أو نطّلع عليها، وإنما أحصيناها من كتب الفهارس، فبعضها مفقود ضيّعته نوائب الدهر، وبعضها الآخر مازال محفوظا في خزائن التراث لم تطاله أيدي المحققين. أما ما وصل إلى أيدي القراء وطُبعت نصوصه وتم تحقيقها من تراث ابن كيسان؛ فهي ثلاثة مصادر: أولها في النحو، واسمه: الموفقي في النحو[١١]. والثاني في

---

[١] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٤ .

[٣] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٤] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٤ .

[٥] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٦] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص ١٩ .

[٧] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ٣، ص ٥٩.

[٨] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٩] ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، م١، (تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٤.

[١٠] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٣٤٤ .

[١١] الفتلي، عبد الحسين وشلاش، هاشم طه، (١٩٧٥)، كتاب الموفقي في النحو لابن كيسان. مجلة المورد، المجلد الرابع (ع١): ص١٠٣-١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العروض، واسمه: تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها [١]. والثالث في الشعر وشرحه، واسمه: شرح السبع الطوال [٢] .

ويُعدّ كتاب شرح السبع الطوال محور الدراسة في هذا الباب، لذلك سيتحدث الباحث عنه بإيجاز، موضّحا تصوّرا عن شكله العام، وما تبقى من أجزائه.

كتاب السبع الطوال :

لم يُشر أحد من المترجمين إلى هذا المصنف ونسبته لابن كيسان سوى ابن الأنباري في نزهة الألباء [٣]، وكان اسمه " شرح السبع الطوال "، وتحدث بروكلمان أيضا عن نسختين مخطوطتين لهذا الشرح، تُوجد إحداهما في المكتبة الوطنية في برلين، ورقمها (٧٤٤٠)، والأخرى في المكتبة الهندية في لندن وتحمل الرقم (٨٠٠) [٤].

أطلق ابن كيسان على هذا الشرح اسم " شرح السبع الطوال "، ولم يُسمّه شرح المعلقات كما قال بروكلمان، وهناك من الإشارات ما يؤكد هذه التسمية، فما ورد في نهاية مخطوطة برلين " تمّت السبع الطوال الجاهليات " [٥]، وإشارة ابن النحاس – تلميذ ابن كيسان – إلى هذا الاسم، عندما قال: " إن حمادا هو الذي جمع السبع الطوال " [٦] خير دليل على أن ابن كيسان أطلق عليها هذا الاسم، وقد نقل هذا الاسم عن حماد الراوية، الذي يُعتقد أنه نقله من الحديث الشريف، " أُعْطِيتُ مَكانَ التوراة السَّبْعَ الطِّوَال " [٧].

---

[١] ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت٢٩٩هـ)، تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٦ .

[٢] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص١٧١ .

[٣] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقة الأدباء، ص ١٦٢ .

[٤] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص٧٠.

[٥] الياسري، علي مزهر، (١٩٧٩)، أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة، بغداد: دار الرشيد، ص٩٩.

[٦] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط١، مج٢، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٠٥ .

[٧] الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٧٤)، تاريخ آداب العرب، ج٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ص١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أن هذا الاسم كان شائعا في هذه القصائد حتى عصر ابن كيسان، فالمفضل يسمّي أصحاب القصائد به قائلا: " هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب " [١]، وكان ابن قتيبة يُعرّف القصائد به، فيقول في حديثه عن معلّقة عمرو بن كلثوم: " هي من جيّد شعر العرب القديم ، وإحدى السبع " [٢]، وفي ترجمته لطرفة يقول: " وهو أجودهم طويلة، يعني مختارته"[٣].

أما ما ورد في هذا الشرح من شعراء، فقد صرّح ابن النحاس بأسمائهم وترتيبهم، فبعد الانتهاء من شرحه قصائد الشعراء: امرئ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد، وعنترة، والحارث، وعمرو بن كلثوم، قال: " هذه آخر السبع المشهورات، على ما رأيت أكثر أهل اللغة يذهب إليه، منهم أبو الحسن بن كيسان " [٤]، فبهذه العبارة يؤكد ابن النحاس أسماء الشعراء وترتيبهم المتسلسل في شرح ابن كيسان .

وخالف ابن كيسان بهذه الأسماء الرواية الكوفية والبصرية للقصائد؛ إذ خالف الكوفية في ترتيبها للشعراء، وخالف البصرية بأسماء شعرائها، فرواية حماد الكوفية ترتب الشعراء كالآتي: امرؤ القيس، وزهير، وطرفة، ولبيد، وعمرو، وعنترة، والحارث. أما رواية المفضل البصرية فإن ترتيبها للشعراء كان على النحو الآتي: امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو، وطرفة [٥]، ولكن يبدو واضحا أنه اعتمد على أصل الرواية الكوفية، وتوافق معها بأسماء الشعراء واختلف فقط في ترتيبهم، ويعزى هذا الاختلاف إلى بعض العوامل، منها: الذوق الأدبي الذي حكّمه ابن كيسان في تقديم شاعر على آخر، وخصوصية المدرسة البغدادية التي كان نهجها اختيار الأنسب والأصح من المدرستين الكوفية والبصرية، وأخيرا تأثره بالأحكام النقدية التي كان يطلقها أصحاب الطبقات. وأيا كانت هذه العوامل؛ فقد اعتمد الأسماء التي جاءت بها الرواية الأصلية، والتي سار عليها أكثر أهل اللغة كما قال ابن النحاس .

---

[١] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، (توفي في أوائل القرن الرابع)، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، ط١، (تحقيق: محمد علي الهاشمي)، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦، ص٢١٨ .

[٢] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ)، الشعر والشعراء، ط١، (تحقيق: عمر الطباع)، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧، ص ١٥٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١١٤ .

[٤] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، (تحقيق: أحمد خطاب)، وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٣، ص٦٨١.

[٥] القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص٢١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويجب أن نبين أن هذا الشرح لم يصلنا كاملا، فلا يوجد منه سوى مخطوطتين فريدتين، وفقد بعض الأجزاء من المخطوطة الأولى، ودُسّ في المخطوطة الثانية بعض النصوص التي تنسب لابن كيسان. ويبدو أن بعض الباحثين قد اطلع على هاتين المخطوطتين، فقيمة الشرح الأدبية واللغوية تحتم على أهل العلم ألا يتجاهلوا مثل هذا الأثر. وقد اطلع الياسري على مخطوطة برلين ولاحظ أن ما بقي من نصوصها: " أربعة عشر بيتا من قصيدة امرئ القيس، من البيت الثاني إلى البيت السادس، ومن البيت التاسع عشر إلى البيت التاسع والعشرين. وسبعة وعشرين بيتا من قصيدة طرفة، من البيت الرابع والسبعين إلى آخر القصيدة. واثني عشر بيتا من قصيدة زهير بن أبي سلمى، من البيت الرابع إلى البيت التاسع، ومن البيت الثالث والخمسين إلى آخر القصيدة. وقصيدة عنترة كاملة. وقصيدة عمرو بن كلثوم كاملة. ولكن يبدو أن قصيدة عنترة ليست من شرح ابن كيسان وإنما هي من شرح أبي أحمد الجريري، كما صرح راوي المخطوط في نهايتها " [١].

أما مخطوطة لندن؛ فقد اطلع عليها نصرت عبد الرحمن، فوجدها تضم القصائد السبع وشروحهن كاملة، للشعراء الآتية أسماؤهم: امرؤ القيس، وطرفة، وزهير، ولبيد، وعمرو، وعنترة، والحارث. ولكن استوقفه تعليق وجده مكتوبا قبل الصفحة الأولى من المخطوطة للسير (تشارلز ليان)، يشير إلى أن المعلقة الصحيحة بشرح ابن كيسان هي معلقة امرئ القيس، والمعلقات الأخرى بشرح الزوزني [٢].

فراح يتمعن في الشروح فوجد تباينا كبيرا بين شرح معلقة امرئ القيس وباقي شروح المعلقات، وقابل بين كل شروح المعلقات في المخطوطة وشرح الزوزني، فوجد المطابقة التامة بين كل المعلقات إلا قصيدة امرئ القيس، وبهذا يكون قد تحقق من أن الشروح جميعها في المخطوطة ليست من صنع ابن كيسان، وليس له سوى شرح معلقة امرئ القيس . [٣]

إن ما جاء في المخطوطتين من نتف لا يعني أن ابن كيسان اكتفى بشرح هذه الأبيات فقط، أو أنه لم يشرح القصائد السبع كاملة، فما جاء في نهاية المخطوطة من عبارة " تمّت السبع

---

[١] الياسري، أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة، ص ٩٨ .

[٢] ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت٢٩٩هـ)، شرح معلقة امرئ القيس، ط١، (تحقيق: نصرت عبدالرحمن)، دار البشير، عمان، ١٩٩٩، ص ٢١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٢ ، ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطوال الجاهليات" [١]، وما صرح به ابن النحاس: " هذه آخر السبع المشهورات، على ما رأيت أكثر أهل اللغة يذهب إليه منهم أبو الحسن بن كيسان" [٢]، وما جاء من نصوص كثيرة منقولة في شرح ابن النحاس وتنسب لابن كيسان، أكبر دليل على أنه شرح القصائد السبع كاملة.

وتعتمد مادة الدراسة التي سنستنتج منها منهج ابن كيسان في الشرح، على ما طُبع من أجزاء المخطوطتين وما قد حُقق، بالإضافة إلى ما نُقل من نصوص من شرح ابن كيسان في كتب التراث، وهي على النحو الآتي:

١- شرح معلقة عمرو بن كلثوم لابن كيسان، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، طبعة دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٠. (يضم القصيدة كاملة) .

٢- شرح معلقة امرئ القيس لابن كيسان، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، طبعة دار البشير، عمان، ١٩٩٩. (يضم القصيدة كاملة) .

٣- شرح ما بقي من قصيدتي امرئ القيس وطرفة لابن كيسان، تحقيق: محمد حسين أل ياسين، طبعة دار عمار، ٢٠٠٩. (يضم أربعة عشر بيتا من قصيدة امرئ القيس، وسبعة وعشرين بيتا من قصيدة طرفة) .

٤- النصوص التي وردت في كتاب " جمهرة أشعار العرب " لابن أبي الخطاب القرشي، (تبلغ : ثلاثة نصوص، وتشمل: بيتا واحدا لطرفة، وبيتين للبيد العامري).

٥- النصوص التي وردت في كتاب " شرح القصائد التسع المشهورات " لأبي جعفر النحاس، (تبلغ: تسعة وثلاثين نصّا، وتشمل: بيتا واحدا لزهير، وخمسة وعشرين بيتا للبيد، وبيتين لعنترة، وتسعة أبيات للحارث، وبيتين لعمرو) .

٦- النصوص التي وردت في كتاب " شرح القصائد العشر " للخطيب التبريزي، (تبلغ: اثنين وعشرين نصاً، وتشمل: خمسة أبيات لامرئ القيس، وبيتين لطرفة، وبيتا واحدا لزهير، واثني عشر بيتا للبيد، وبيتين لعمرو) .

٧- النصوص التي وردت في الجزء الثاني من كتاب " شرح الأشعار الستة الجاهلية " لأبي بكر البطليوسي، (وتبلغ بيتا واحدا لطرفة) .

---

[١] الياسري، أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة، ص٩٩ .

[٢] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص ٦٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: حياة ابن الأنباري.

أدرك ابن الأنباري أزهى مراحل الحضارة العربية الإسلامية، فعاش في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وأصبح عالما مشهورا لا يكاد يُجهل، وموسوعة ثقافية متنوعة، وأحد أئمة الكوفة في النحو واللغة والأدب وعلوم القرآن، تعلم واستقى علومه على أيدي بعض العلماء المتميزين، وحفظ علومهم وآراءهم وتعصب لها، ثم طوّر بعضها وأسقاها لجيل جديد من التلاميذ، فكان مفخرة للعلم والدين الإسلامي؛ فقد خلّف وراءه مصنفات قيّمة تشهد بعلو منزلته، وقوة منهجه العلمي.

ومن أهم هذه المصنفات كتابه: " شرح السبع الطوال "، وهو جزء من مادة هذه الدراسة، ويعد من أرقى شروح الشعر الجاهلي، وظّف فيه العديد من العناصر التي تساعد المتلقي في قراءة المعنى الصحيح للشعر، ومعالجة الكثير من القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، واشتماله على عدد هائل من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والآراء المنسوبة لأصحابها. وقبل الدخول في هذا الكتاب واستخلاص منهجه في الشرح، لابد من التعرف إلى شخصية هذا العالم وحياته وشيوخه وتلاميذه ومصنفاته، وتوضيح مصادره التي اعتمد عليها في الشرح .

نسبه .

هو محمد بن القاسم بن بشار بن الحسن [١] بن بيان بن سَماعة بن فروة بن قطن ابن دِعامة . (أبو بكر بن الأنباري) [٢]، والأنباري أبوه المتوفى سنه (٣٠٤هـ)، وأطلق هذا اللقب نسبة إلى أصله مدينة الأنبار. وتنوعت ألقاب أبي بكر في كتب التراث، فلقب بالنحوي، واللغوي، والأديب [٣]، والبغدادي [٤]، لكنه اشتهر بأبي بكر بن الأنباري حتى لا يختلط اسمه مع أبيه، أو مع أبي البركات بن الأنباري صاحب كتاب " نزهة الألباء في طبقات الأدباء "، أو مع باقي النحاة الذين اشتهروا ببعض هذه الألقاب .

---

[١] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٥٣ .

[٢] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٢٩٩ .

[٣] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١١ .

[٤] ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد، (ت ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط١، ج٢، (تحقيق: ج. برجستراسر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣، ص ٢٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مولده.

ولد ابن الأنباري في بغداد [١]، يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين، عُرف عنه أنه من أهل السنة [٢]، ومن أصحاب المذهب الحنبلي [٣]. توافرت في حياته بعض المقومات الحسنة، التي غرست في نفسه بذور العلم وحبه، فقد كان في هناءة عيش، وسعة حال [٤]، أحب العلم على يدي والده الذي اكتسب مجدا وشهرة في علوم الحديث واللغة [٥].

شيوخه وتلاميذه.

تميز ابن الأنباري كثيرا عن أعلام عصره، فقد كان الرأي فيه أنه وصل مرحلة لم يصلها أحد بعده، يقول عنه الأزهري:" لم يذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين في العراق وغيرها أحد يخلفه ولا يسد مسده" [٦]، وقد وصفه أبو العباس بن يونس بأنه:"آية من أيات الله"[٧].

تلقن العلوم السائدة في زمانه، فاحتل بها المراكز المتقدمة؛ لما كان عليه من همة وعزيمة، فقد برع في علوم القرآن، يقول عنه الأزهري: " كان واحد عصره، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه وإعرابه، ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله، وله مؤلفات حسان فيه " [٨]. وكان من أعلم الناس بالنحو والأدب، واشتملت مجالسه على الحديث والأخبار والتفاسير والأشعار [٩]. واعتنق آراء الكوفيين، وتفرد ببعض الآراء.

---

[١] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت٣٢٨هـ)، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ط٥، (تحقيق: عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٥ .

[٢] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٠ .

[٣] ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين، (ت٥٢٦هـ)، طبقات الحنابلة، ط١، ج٢، (تحقيق: أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٥٨.

[٤] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٥٤ .

[٥] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص٢١٤ .

[٦] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ط١، ج١، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون و محمد علي النجار)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٨ .

[٧] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[٨] الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص ٢٨ .

[٩] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتهر بقدرته الفائقة على الحفظ، فقد قال عن نفسه: " أحفظ ثلاثة عشر صندوقا " [١]، وصل حديث العلماء عن هذه الملكة فيه حد الخيال، فقال عنه القالي: " كان يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن" [٢]، وقال محمد بن جعفر: " كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا من تفاسير القرآن بأسانيدها " [٣]؛ مما جعل أبا العباس بن يونس يقول عنه: " آية من آيات الله في الحفظ " [٤].

وعرف عنه الزهد والتواضع والصدق والأمانة في نقل الأخبار والأسانيد، فقد حكى الدارقطني أنه قد صحّح لابن الأنباري تصحيفه في اسم أورده في إسناد حديث، فلم يغضب ابن الأنباري، وقال للمستملي: " عرّف جماعة الحاضرين أنا صحّفنا الاسم الفلاني لمّا أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية ونبّهنا ذلك الشاب على الصواب، وهو كذا وعرّف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال " [٥].

ولقد تلقى ابن الأنباري العلوم على أيدي العلماء البارزين في عصره، وحرص على تنوع علومه، فتنقل بين حلقات الدرس ينهل من كل علم بطرف، فتنوع بذلك أساتذته، ومن أشهرهم وأكثر من أخذ عنهم: والده القاسم بن محمد الأنباري، وأبو العباس ثعلب، ومحمد ابن دريد الأزدي. أما أساتذته الآخرون، فمنهم: أبو العباس بن مرداس الخطيب، وعبد الله ابن بيان، وأبو شعيب الحرّاني، وأبو بكر الدلال، وعبدالله بن عمر بن لقيط، وعبد الله بن محمد ابن ناجية، وعبيد الله بن عبد الرحمن الواقدي، ومحمد بن أحمد المقدمي ....، وغيرهم [٦].

ولعلّ هذا العدد الهائل من الأساتذة جعله يتنوع في ثقافته، ويختزل في ذاكرته الآراء المتعددة في كل مسألة؛ مما أكسبه شهرة واسعة، كما أن جهده الذي بذله في سبيل تحصيل العلم جعله من الأساتذة الذين يحتلون المراتب الأولى، فقد بدأ عملية التعليم في سن مبكرة من عمره، أي قبل وفاة والده، وكانت حلقته في جامع المنصور في بغداد تنافس حلقة والده، فقد " كان يملي

---

[١] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[٢] المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠٠ .

[٣] المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[٤] المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[٥] المصدر نفسه، مج ٤، ص ٣٠١ .

[٦] توجد قائمة بأسماء أساتذته البالغ عددهم ٤٤ أستاذا، في المرجع: موعد، محمد عطا، (٢٠٠٠)، محمد ابن القاسم ابن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة، ط١، دمشق: دار الفكر، ص ٢٩-٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى " [١]، وتعدّ حلقته من أحفل الحلقات وأملئها بأعيان الوزراء والكتاب والأشراف، وكان أسلوبه قائما على الإملاء؛ " يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتملة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه " [٢]، ولعل هذا ما ميز حلقته وجعلها جاذبة للتلاميذ .

وقد تتلمذ على ابن الأنباري عدد كبير من العلماء الذي استقوا منهجه وعلومه فتميزوا بها، من هؤلاء التلاميذ: أبو جعفر النحاس، وأبو علي القالي، وابن خالويه، وأبو الفرج الأصفهاني، وأبو منصور الأزهري، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو عبيد الله المرزباني، وأبو مسلم الكاتب، وأبو عمر بن حيويه الخزاز، ..... وغيرهم [٣].

وفاته.

توفي في بغداد في خلافة الراضي بالله تعالى، لكن المصادر اختلفت في تاريخ وفاته، وأقدمها رواية ما صرّح به أبو بكر الصولي في كتاب أخبار الراضي بالله والمتقي به، عندما تحدث عن أحداث سنة (٣٢٨هـ)، قائلا: " ومات أبو بكر بن الأنباري يوم الأضحى ودُفن في داره " [٤]، وقد وافقته في ذلك روايات كثيرة [٥]، إلا أن الزبيدي ذكر في طبقاته تاريخين لوفاته، قائلا: " توفي في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. وفي بعض النسخ: توفي في بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة يوم الأضحى" [٦]. وقد وافقه الحموي في التاريخ الأول [٧].

لكننا سنعتمد تاريخ وفاته سنة (٣٢٨هـ)، لأنه التاريخ الذي نصّت عليه أقدم الروايات، ولأن كثيرا من المصادر أجمعت عليه.

---

[١] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٢ .

[٢] المصدر نفسه، مج ٦، ص ٧١٢ .

[٣] توجد قائمة بأسماء تلاميذه البالغ عددهم ٢٨ تلميذا، في المرجع: موعد، محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة، ص ٣٣-٣٥.

[٤] الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت٣٣٥هـ)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ط٢، (تحقيق: ج. هيورث دن)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٤ .

[٥] ابن النديم، الفهرست، ص٨٢. ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص١٨٨. البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٤ . وابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج٢، ص ٦٠ .

[٦] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٥٤ .

[٧] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آثاره .

تنوعت آثار ابن الأنباري وفقا لعلومه التي برع بها، فقد أنتج مصنفات قيّمة وثرية، خدمت العلوم وأثرتها بآرائه، فكان لها أصداء من بعده، وقد بلغ عدد مصنفاته أربعين مصنفا، شملت علوم القرآن والحديث والعربية، لكن ما يؤسف عليه أن هذه المصنفات منها ما هو مفقود، ومنها ما لم يحقق وينشر، وإن ما وصل إلينا وحقق قليل من كنز وفير، خلّفه ابن الأنباري.

فمن مصنفاته في علوم القرآن والحديث: الرد على الملحدين في القرآن [١]، والضمائر الواقعة في القرآن [٢]، والناسخ والمنسوخ [٣]، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل[٤]، والهاءات في كتاب الله [٥]، والرد على من خالف مصحف عثمان، والمشكل في معاني القرآن، والهجاء، والناسخ والمنسوخ، ونقض مسائل ابن شنبوذ. وليس له في علوم الحديث سوى مصنف واحد، هو: كتاب غريب الحديث [٦] .

أما مصنفاته في علوم العربية؛ فشملت: النحو، والصرف، واللغة وغريبها، والأخبار، والأمالي. فمنها: الكافي في النحو، وشرح الكافي، والواضح في النحو، والموضع في النحو [٧]، والواسط [٨]، واللامات[٩]، وشرح الألفات المبتدآت في الأسماء والأفعال [١]، والمذكر

---

[١] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت٣٢٨هـ)، كتاب الأضداد، ط٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٦، ص ٢٨٢.

[٢] الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط١، ج٢، (تحقيق: أبو الفضل إبراهيم)، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢١٢ .

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص٢٨ .

[٤] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، (تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١ .

[٥] آل ياسين، نوار محمد حسين، (١٩٧٦)، الهاءات في كتاب الله لأبي بكر بن الأنباري. مجلة البلاغ، السنة السادسة: (٦ ، ٧) .

[٦] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

[٧] المصدر نفسه، مج ٦، ص ٧١٥ .

[٨] ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد البغدادي، (ت٥٤٢ هـ)، الأمالي الشجرية، ج ٢، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص ١٤٨ .

[٩] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمؤنث[٢]، ومسألة في التعجب [٣]، وشرح غاية المقصود في المقصور والممدود لابن دريد، والمقصور والممدود [٤]، والأضداد [٥]، والنوادر [٦]، والزاهر في معاني كلمات الناس [٧]، وقصيدة مشكل اللغة وشرحها [٨]، والحاء [٩]، وأدب الكاتب [١٠]، وشرح غريب كلام هند بن أبي هالة التميمي في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم [١١]، ورسالة في شرح معاني الكذب [١٢]، وشرح حديث أم زرع [١٣]، وشرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها [١٤]، وشرح ديوان عامر

---

[١] معصومي، أبو محفوظ الكريم، (١٩٥٩)، كتاب شرح الألفات لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي. مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، المجلد ٣٤ (ج٣): ص ٢٧٣- ٢٩٠ .

[٢] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، المذكر والمؤنث، (تحقيق: طارق عبد عون الجنابي)، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٨.

[٣] إبراهيم، محي الدين توفيق، (١٩٧٤)، كتاب مسألة من التعجب لأبي بكر بن الأنباري. مجلة آداب الرافدين، ع ٥: ص١٠-١٢ .

[٤] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

[٥] ابن الأنباري، كتاب الأضداد .

[٦] البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأونبيّ، (ت٤٨٧هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ط١، ج١، (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦، ص ١٥٩.

[٧] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، الزاهر في معاني كلمات الناس، جزءان، (تحقيق:حاتم صالح الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢ .

[٨] النجار، عز الدين البدوي، (١٩٨٩)، قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ). مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، المجلد ٦٤(ج٤) .

[٩] البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج١، (تحقيق: مصطفى السقا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥، ص٩٨ .

[١٠] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

[١١] ابن خير، أبو بكر محمد، (ت٥٧٥هـ)، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، ط٢، (تحقيق: فرنسشكة قدارة زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٩٧ .

[١٢] البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط١، ج٦، (تحقيق: عبدالسلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٨٤، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٧ .

[١٣] ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص١٩٧ .

[١٤] ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، (تحقيق:صلاح الدين المنجد)، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن الطفيل [١]، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات [٢]، وشرح شعر الأعشى، وشرح شعر زهير، وشرح شعر النابغة، وشعر الراعي [٣]، وشرح قصيدة بانت سعاد [٤]، والأمالي [٥]، والمجالسات [٦]، وأخبار ابن الأنباري [٧] .

كتابه شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات.

لم تتفق الكتب المصادر على تسمية ثابتة لهذا الكتاب، فقد أطلق عليه صاحب نزهة الألباء " السبع الطوال" [٨]، بينما أطلق عليه كل من: الخطيب البغدادي في تاريخه [٩]، وياقوت الحموي في معجمه [١٠]، والقفطي في إنباهه [١١]، اسم " الجاهليات "؛ مما جعل المحقق يوفق بين هذه التسميات ليجمعها في تسمية واحدة. فأطلق على الكتاب " شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات "، وقد تشجع لهذه التسمية؛ لأنه وجد في إحدى النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها، نسخة لعالم مجهول مختصرة لهذا الشرح، وقد كُتب في بدايتها هذه العبارة: " ذكر أبو بكر محمد ابن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في شرحه للقصائد السبع الجاهليات...."[١٢]، وفي خاتمتها كُتب: " تمت قصيدة لبيد، وعدد أبياتها ٨٨ بيتا، وتم بتمامها السبع الجاهليات بغريبها ...." [١٣].

وبهذا يكون المحقق قد جمع بين التسميات التي وردت عند المترجمين، وبعض العبارات التي وقع عليها في النسخ المخطوطة لهذا الكتاب، فاعتمد هذه التسمية .

---

[١] ابن الطفيل، عامر بن الطفيل العامري، (ت ١٠هـ)، شرح ديوانه: رواية أبي بكر بن محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، ط١، (تحقيق: كرم البستاني)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات. وهو جزء من عينة الدراسة، سنتحدث عنه فيما بعد.

[٣] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥.

[٤] البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج١ / ص٢٢، ج٩ / ص١٤٦ .

[٥] الزركلي، خير الدين، (ت ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط١٧، ج٦، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧، ص٣٣٤.

[٦] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ ,

[٧] ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص ٣٩٨.

[٨] ابن الأنباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص ١٨١ .

[٩] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[١٠] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٥ .

[١١] القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٣، ص ٢٠٤ .

[١٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص١٥ ,

[١٣] المصدر نفسه، ص١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وموضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه شرح لمجموعة من القصائد الجاهلية، وهذه القصائد هي للشعراء: امرئ القيس، وطرفة، وزهير، وعنترة، وعمرو، والحارث، وأخيرا لبيد ابن ربيعة العامري. وهؤلاء الشعراء هم أنفسهم الذين تناول قصائدهم ابن كيسان في شرحه، ويتضح أن هذه الأسماء هي التي كانت سائدة بين أهل اللغة، كما قال النحاس: " هذه السبع المشهورات، على ما رأيت أكثر أهل اللغة يذهب إليه " [١]، ولكن ابن الأنباري خالفهم فقط في الترتيب، فجعل لبيدا في آخر الشعراء، وقدم عَمْراً على الحارث، ولعل هذا التغيير يرجع إلى ذوقه أو مذهبه أو تعصبه .

وبدأ ابن الأنباري كتابه دون أن يقدم له، ويعود ذلك إلى أنه كان يملي كتبه ومصنفاته إملاء على تلاميذه، ولعلّ غياب المقدمة لم يقلل من قيمة كتابه؛ لأنه بيّن العناصر التي لابد من أن تُذكر في المقدمة في أثناء الشرح، فقد بين موضوعه، ورسم منهجه، وصرّح خلال شرحه ببعض مصادره.

واتسم شرحه بالشمولية والتنوع والاستطراد، فمن قراءة شرحه يتبين أنه "عالج النصوص من زوايا اللغة والنحو والتاريخ والأنساب معالجة كاملة، كما عقد المقارنات الأدبية التي اقتضته إيراد كثير من الشواهد النادرة التي لا تجدها في غير هذا الكتاب، وبين كثيرا من الصلات اللغوية والفنية بينها وبين القرآن الكريم والحديث النبوي. هذا كله مع التوثيق الكامل والإسناد الظاهر " [٢].

وكان واضحا في كتابه ذكر الأوجه والآراء المتعددة حول المسائل التي يتعرض لها، فقد كان يناقش بعض المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية في شرحه ويعمل على تحليلها، ثم يحاكمها فيرد بعضها ويقر بعضها الآخر، ويضيف إليها بعض الآراء الجديدة المدعمة بالحجج والبراهين. كما أغنى كتابه وزاد من قيمته بالاستطراد وذكر الأخبار والأنساب والرواية .

وتنوعت مصادر كتابه لتشمل آراء بعض الكوفيين والبصريين والأعراب ورواة التفسير والحديث، فأخذ يصرح بأسمائهم تارة، ويتجاهلها تارة أخرى، لكنه في الأغلب كان يوافق آراء الكوفيين ويدعمها، فأصبح كتابه مصدرا ثريا لمن أراد البحث في مذهب الكوفيين .

اعتمد ابن الأنباري منهج التأليف هذا في كثير من مؤلفاته بموضوعاتها المتنوعة إن لم يكن كلها، وكان يقصد من هذا المنهج الاستغناء عن الكتب القديمة جميعها المكتوبة حول

---

[١] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص٦٨١ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضوع الذي تناوله؛ بهدف الاعتماد على مؤلفه فقط، وقد أوضح عن هذا الهدف في مقدمة كتاب "الأضداد" قائلا: " وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة، وصنفوا في إحصائها كتبا نظرتُ فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءًا، وأكثرهم أمسك على الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي ومبلغ علمي؛ ليستغني كاتبه والناظر فيه عن الكتب المؤلفة القديمة في مثل معناه " [١] .

وهذا المنهج جعل شرح ابن الأنباري موسوعة تشمل كثيرا من علوم العربية، فأصبح مصدرا أساسيا للشراح من بعده، يقلدون طريقته أو ينقلون عنه، فقد نقل عنه ابن النحاس في مواضع كثيرة، يقول محقق شرح ابن النحاس: " وجدنا تقاربا كبيرا بين الشرحين فأبيات القصائد فيهما متفقة رواية وترتيبا، إلا في أبيات قليلة جاءت متقدمة أو متأخرة، وقد أشار الباحث إليها عند مقارنتها ببعضها، ثم إن كثيرا من الأشخاص والآراء اللغوية والشواهد جاءت متقاربة" [٢]، كما اعتمد التبريزي في شرحه على ابن الأنباري، فكان يأخذ عنه شرح كلمة أو كلمتين، ولم يشر إلى هذا النقل إلا في مواضع قليلة .

هذا حديث مختصر عن شرح ابن الأنباري، يكفي ليكون تمهيدا يسيرا عن جزء من عيّنة الدراسة، أما باقي الحديث عنه؛ فيكون في صلب الدراسة في أثناء النظر في منهج الشارح وخصاله، وسيكون اعتماد الباحث في الدراسة على طبعة دار المعارف التي حققها عبد السلام هارون الذي له باع واسع في عملية تحقيق التراث ونشره، لأن طبعته تتسم بالدقة والجودة والفهارس الفنية التي تخدم الباحث في سرعة الوصول إلى المعلومة .

---

[١] ابن الأنباري، كتاب الأضداد، ص ١٣.

[٢] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشروح الشعرية قبل ابن كيسان وابن الأنباري

تُعد الشروح الشعرية فنا أدبيا متميزا، غُرست بذوره الأولى مع رحلة الجمع والتدوين، التي استهدفت الشعر الجاهلي حفاظا على هذا التراث الأصيل، ونبتت البذرة، وترعرعت مواكبة له، ولمراحل تطور جمعه وتدوينه. وقد أسهم في غرس هذه البذرات جيلُ الرواة الأوائل، وتعهّدها بعدهم العلماء المتخصصون بالعناية والاهتمام، ورفدوها بألوان العلوم والمعارف كافة، وتناقلوها جيلا بعد جيل إلى أن وصلت إلى مرحلة التأليف المنهجي .

ويسعى هذا الفصل من الدراسة إلى الوقوف على هذا الفن، وبيان نشأته التاريخية وما آل إليه من تطور، بدءا ببيان الدلالة اللغوية والاصطلاحية للشروحات من مهدها الأول إلى عهد أبي بكر بن الأنباري (ت٣٢٨ هـ) بوصفه حدّ الدراسة الزماني، وبيانا لأبرز العوامل الرئيسة التي أسهمت في ظهورها، ومن ثم النظر في مجالاتها واتجاهاتها .

المبحث الأول: الشرح لغة واصطلاحا

قال ابن منظور صاحب لسان العرب في مادة (شرح): الشرح هو الكشف، يقال فلان شرح أمره: أي أوضحه، وشرح مسألة مشكلة: بيّنها، وشرح الشيء يشرحه شرحاً، وشرّحه: فتحه وبيّنه وكشفه، وكل ما فُتح من الجواهر فقد شُرح أيضاً. وتقول: شرَحت الغامض إذا فسّرتَه.[١] ويضيف إلى ذلك ما قاله ابن الأعرابي: الشرح: الحفظ، والشرح: الفتح، والشرح: البيان، والشرح: الفهم .[٢]

وبهذا، يكون الشرح قد جمع في طياته عدة معان، هي: الكشف، والإيضاح، والتبيان، والفتح، والتفسير، والحفظ، والفهم. وكل هذه المعاني تمثل الهدف الرئيس الذي يسعى الشارح إلى تحقيقه في الشروح .

وأما الشرح في الاصطلاح؛ فهو: عملية " التعليق على مصنف دُرس من جهة نظر علوم مختلفة "[٣]؛ أي أن تكون المادة العلمية (المصنَّف) ميدانا فسيحا يخوض الشارح في

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، ج٢، مادة (شرح)، ص ٥٨٧ .

[٢] المصدر نفسه، ج٢، مادة (شرح)، ص ٥٨٧ .

[٣] دائرة المعارف الإسلامية: أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، مج ١٣، (ترجمة: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد و عبد الحميد يونس)، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٣، مادة (شرح)، ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نواحيه ومراميه كافة، بقصد توضيح الغامض والغريب، وتسليم المعنى للمتلقي على نحو يسير، مستخدما بذلك أدواته المعرفية وثقافته التي يتميز بها .

ومن الجدير بالذكر أن هناك جدلا والتباسا طال مصطلح الشرح وبعض المصطلحات الأخرى كالتفسير والتأويل، فهناك من يرى أن الشرح والتفسير والتأويل مصطلحات تحمل الدلالة ذاتها، ويُعزى ذلك إلى أمرين، الأول: اشتراك المصطلحات في العمل والوظيفة، والثاني: تباين أسماء المصنفات في كتب التراجم، كأن يسمى: (شرح ديوان فلان)، وتارة يقال: (تفسير ديوان فلان)، وتارة أخرى، يقال: (تأويل ديوان فلان)، مما جعل الخلط بين هذه المصطلحات يغيّب المعنى الدقيق لها. لذا؛ فمن الأهمية بمكان تسليط الضوء على هذه المصطلحات؛ لتمييز مصطلح الشرح عن سواه .

ويبدو الفرق جليا إذا رجعنا إلى تعريف هذه المصطلحات، يقول أبو طالب الثعلبي: "التفسير: بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، والتأويل تفسير باطن اللفظ" [١]، ثم يقول: "التأويل إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل" [٢]، وبذلك يكون ربَط التفسير بتوضيح غريب الألفاظ، والتأويل ببيان المعنى المقصود، وقد أكد ذلك الراغب بقوله: " التفسير .... أكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل " [٣].

أما الشرح؛ فهو عملية شاملة " تجمع بين بيان وضع اللفظ وبين تفسير باطن اللفظ "[٤]، ويؤكد ذلك أبو الحسن بن كيسان في كتابه (شرح السبع الطوال)، فقد تناول كل بيت من هذه القصائد بالشرح المستقل، مقسما عملية الشرح إلى قسمين: تناول في الأول تفسير غريب الألفاظ وبعض ما يتعلق بالنحو، وقصر القسم الثاني على توضيح المعنى .

وبعد أن تبين أن الشرح لفظ عام يشترك فيه التفسير والتأويل، يمكن لنا أن نستنتج تعريفا خاصا للشرح الشعري؛ إذ إنه: عملية مسح شاملة للمادة الشعرية يحاول الشارح فيها توضيح الألفاظ الغريبة في كل بيت شعري، وذلك بذكر المعنى اللغوي، والأوجه الإعرابية وما

---

[١] البخاري، السيّد صدّيق بن حسن خان القنوجي، (ت ١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم، ط١، ج٢، (وضع حواشيه وفهارسه أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٢١ .

[٢] المصدر نفسه، ج٢، ص١٢١ .

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٠ .

[٤] ابن مصباح، وناس، (١٩٨٦)، ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية. الحياة الثقافية، (ع٤١): ص٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدور حول هذا الشعر من أحداث تاريخية تسهم في توضيحه، وبيان المعنى الحقيقي أو تأويل المعنى المجازي لكل بيت، شريطة أن يكون الشارح مبدعا ومثقفا كي يوصل المعنى الحقيقي للمتلقي بأبسط صورة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: نشأة الشروح الشعرية

خضعت الشروح الشعرية لمقتضيات نشوء العلم وتطوره ونموه التدريجي، فليس من الطبيعي أن يكون الكتاب الأول في علم من العلوم كاملا تاما منذ بداية وضعه، فمقتضيات نشأته تحتّم أن تكون هناك محاولات بدائية تسبق ظهور الكتاب المكتمل، بل تتكرر المحاولات وما تزال تتقدم شيئا فشيئا، وتنمو تدريجيا حتى تصل إلى مرحلة النضج والتمام.[١]

كان العربي في الجاهلية يتلقى الشعر من أفواه الشعراء مباشرة، فيفهمه دون عناء أو تكلف، ودون الحاجة إلى وسيط يعينه، فقد عاش مع الشاعر في بيئة موحدة الثقافة واللغة، متقاربة التفكير والتعبير، تربطه معه أواصر الوحدة الثقافية والفنية والموضوعية، لذا تجده ذواقا لأدبه، وخبيرا بمواطن حسنه وقبحه، عالما بأسرار بلاغته، عاشقا لسحره وجماله، فلا يجد أمامه سوى ترديده وتكراره .

وقد حافظ الشاعر على هذا التواصل، فكان يسعى دائما إلى إيصال أدبه للجمهور بسهولة ويسر، فيختار من الألفاظ والصور ما يدور في بيئتهم المشتركة، وأما إذا جاء بمعنى جديد، وأحس أن فهمه سيستغلق على مستمعيه؛ فستجده يسعى إلى توضيحه في ثنايا القصيدة ذاتها، أو بالإجابة عن أسئلة السامع في وقتها. وامرؤ القيس خير مثال على هذا، فقد رأى منظرا أثرّ فيه، وحرك مشاعره فشبّه به، فغلق على سامعيه فهمه، فسُئل عن معنى قوله **(كَرَّك لأمَيْن على نَابل)**، في بيته :

تَطعَنُهُمْ سُلْكَى ومَخْلُوجَةً كَرَّك لأمَيْن على نَابل[٢][٣]

---

[١] الصباغ، محمد بن لطفي، (١٩٨٤)، المناهج والأطر التأليفية في تراثنا. مجلة الدارة، السنة١٠، (العدد الأول): ص١٠١ .

[٢] السّهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ط١، ج٣، (تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ص٣٦٣ .

[٣] ورد البيت في الديوان برواية (لقتْلَ). انظر: امرؤ القيس، الديوان، ط ١، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال: " مررت بنابل وصاحبه يناوله الريش لؤما وظهارا، فما رأيت شيئا أسرع منه ولا أحسن فشبهت به " [١] .

وإذا تُوقي الشاعر، أو غاب عن جمهوره، قام رواته أو بعض أفراد قبيلته بدور الوسيط بين شعره والجمهور، يروون شعره، ويشرحون غامضه، فكل شاعر له "رواة يصحبونه ويلازمونه في حله و ترحاله، يحفظون شعره ويروونه وينشدونه في المجالس والمحافل" [٢]، وهم على علم بكل ما كان يحيط به، ويفهمون معجمه اللفظي والمعنوي، ويعرفون مناسبة القصائد، وما يدور حولها من أحداث، وما فيها من صور ومعانٍ وتشبيهات، فيسهل عليهم تبسيط الشعر وتقديمه للناس .

كذلك كانت القبيلة "السجل الأصلي لآثار أدبائها، يحفظونها عن ظهر قلب، ويذيعونها في الآفاق، ويرددونها في كل مكان، ويتلقاها الأبناء عن الآباء بافتخار" [٣] ، فإذا ما صعب شيء من هذا التراث رواية أو تفسيرا، سعى أحد أفرادها إلى توضيحه للجمهور؛ لارتباطهم مع الشاعر في اللغة والثقافة، ومعرفتهم بمآثره ومفاخره .

وبعد أن جاء الإسلام وانتشر نوره وعمّ الأمصار، تحول هذا المجتمع الجاهلي المنغلق إلى مجتمع إسلامي منفتح، فالتقى " التراثان: الجاهلي التليد، والإسلامي الجديد. وامتزجا معا، وكان لهذا الامتزاج أثر ملموس في الحياة الأدبية والثقافية عامة، وفي الشعر خاصة، ظهر ذلك واضحا في اللفظ والمعنى والشكل والمضمون، وفي أغراض الشعر وموضوعاته" [٤]، فاستمرت بذلك عملية شرح الشعر بالطريقة نفسها، يُنشد الرجل الأبيات في موقف أو حدث ما، فلا يجد إلا من استوقفه ليسأله عن غريب الألفاظ، فإذا أجاب استقام فهم البيت .

وقد وضح هذا الأمر في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، فحين كان يسمع الشعر، ويستغلظ عليه بيان بعض ألفاظه، لا يجد أمامه سوى أن يسأل عنها، فحين سمع عدي بن أبي الزغباء ينشد في أثناء قتاله للمشركين :

---

[١] السّهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص٣٦٣ .

[٢] الأسد، ناصر الدين، (١٩٩٦)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٨، بيروت: دار الجيل،ص٢٣٧.

[٣] الجندي، علي، (١٩٦٦)، تاريخ الأدب الجاهلي، ط٢، ج١، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، ص١٦٧ .

[٤] العمري، أحمد جمال، (١٩٨١)، شروح الشعر الجاهلي، ط١، ج١، القاهرة: دار المعارف، ص٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنـــا عَـــدِيٌ والسَّـــحْـــلْ أمْـــشِـــي بِـــها مَشْـــيَ القَـــحَلْ [١]

فلما انتهى القتال، ناداه الرسول صلى الله عليه وسلم، وسأله: " ما السحل ؟ قال: الدرع. قال عليه السلام: نِعْم العديّ، عديّ بن أبي الزِّغْباء" [٢].

واستمر هذا الاهتمام بالشعر رواية وشرحا إلى عهد الخلفاء الراشدين. قال ابن سلام: "كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر" [٣]، فقد استعان بألفاظ الشعر في تفسير مفردات القرآن، فكلما سُئل عن مفردة استشهد عليها ببيت من الشعر، وقد سار على نهجه ترجمان القرآن – عبدالله بن عباس – في هذا الأمر، فهو القائل: "إذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب " [٤].

وتواصلت هذه العناية بالشرح إلى عهد الأمويين، ولكن الشروح ظلت محافظة على شكلها الأول البسيط، وهو "سؤال حول كلمة أو استفسار عن واقعة، أو استعلام عن رواية أو قائل بيت، أسئلة واستفسارات يمليها حب الاستطلاع وحب الاستفهام والتعرف، لاستكمال المتعة الفنية والنفسية الناجمة عن سماع الشعر" [٥]، إلى أن جاء عصر التدوين في منتصف القرن الثاني، فنهضت جماعة من الرواة والعلماء بهذه الشروح، تناقلها الخلف عن السلف، ورواها الجيل بعد الجيل، حريصين عليها معنيين بها. وقد قُسم هؤلاء العلماء وُفقا للتسلسل الزمني إلى طبقات وأجيال [٦]، وامتازت كل طبقة بجهود ومهارات ساعدت في تطور الشروح، وكان هذا التطور ملحوظا بين الطبقات، فقد اعتمدت كل طبقة على جهود سابقيها، وعلى ثقافة وعلوم أصحابها، فزادت على الشروح وطورتها إلى أن وصلت بها إلى مراحل متقدمة من النضوج.

---

[١] الواقدي، محمد بن عمر، (ت ٢٠٧ هـ)، كتاب المغازي، ط١، ج١، (تحقيق: مارسدن جونس)، مطبعة جامعة إكسفورد، ١٩٦٦، ص٨٢ .

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٨٢ .

[٣] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، ج١، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص ٢٤١ .

[٤] السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، (ت ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط١، ج٢، (تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت)، ص٣٠٢.

[٥] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص١٩٠.

[٦] انظر: قباوة، فخر الدين، (١٩٩٧)، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ط٢، دمشق: دار الفكر، ص٣٩-٨٩ . والعمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص١٩٤-٢٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الجيل الأول من هذه الأجيال يسمى جيل " الرواة العلماء "[١]، وكان على رأسه أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، الذي اشتهر بجمع أشعار العرب الجاهلية وشرحها [٢]، أما بقية الجيل؛ فهم على الأشهر: حماد الراوية (ت١٥٥هـ)، والمفضل الضبي (ت١٦٨هـ)، وخلف الأحمر (ت١٨٠هـ).

قام هذا الجيل بعملية جمع الشعر وتدوينه، فسعى إلى جمع أكبر قدر ممكن من الشعر، وقامت عملية الجمع هذه على جانبين مهمين: " تحصيلي وتفسيري "[٣]، ولكنهم ركزوا على الجانب الأول، فتنوعت مصادرهم التي استقوا منها، وأهمها رحلاتهم إلى البادية؛ إذ وجهوا ركائبهم صوب الصحراء لجمع اللغة، وروايات الشعر والأخبار من أفواه الأعراب الذين ظلت لغتهم صافية سليمة، وبعضهم قصر العناء، فأخذ الرواية عن الأعراب الذين قصدوا المدن للرزق، وقِسمٌ منهم اعتمد على النقل من "الدواوين والمجموعات المكتوبة التي توارثوها عمن قبلهم "[٤].

أما الجانب التفسيري الذي قاموا به، فاقتصر على معرفة المعاني، وتفسير الغريب من الألفاظ، ولكن هذا الجانب كان اجتهاديا يسيرا؛ لأن أصحابه كانوا رواة أكثر من أن يكونوا رجال لغة ومعان، فانحصر همهم الأساسي بين الجمع والتدوين، وقد انتشرت مظاهر هذا الجانب في كتب التراث على شكل تعليقات لا تتعدى تفسير اللفظة أو اللفظتين، فهذا أبو عمرو ابن العلاء تلفت نظره كلمة (منشم) في بيت زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عَبْساً وذُبيانَ بَعدَما ... تفانَوْا ودَقّوا بينَهُم عِطرَ مَنْشِمِ [٥]

فيفسرها بقوله: " هو من التنشيم في الشر وهو الابتداء به "[٦].

وفي بيت أبي ذؤيب الهذلي :

---

[١] الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٢٥٢.

[٢] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٢، ص ١٢٩ .

[٣] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص ١٩٤.

[٤] الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ١٥٥.

[٥] الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي، (ت ٤٧٦هـ)، شعر زهير بن أبي سلمى، ط٣، (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٥.

[٦] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، (ت ٢٧٦هـ)، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، ط١، ج٢، (تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى اليماني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤، ص٨٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكَلَ الحميمَ و طاوَعَتْهُ سَمْحَجٌ مِثْلُ القَنَاةِ وأرغَلتْه الأمْرُعُ [١،٢]

سأل أبو حنش حمّاد الراوية عن تفسير هذا البيت، قائلا: "ما أرغَلتْه ؟ فيفسره حماد بقوله: أطابت عيشه وأخصبته، وعيش أرْغَلْ، واسعٌ " [٣].

وفي بيت الرَّيْب بن شَريق :

دَلَفْتُ لَه بابيضَ مَشْرَفيٍّ أَلَمَّ على الجَوانِح فاختَلاها [٤]

يقول المفضل الضبي في تفسيره: "دلفت من الدليف، وهو مشي سريع في تقارب خطو" [٥] .

وفي بيت امرئ القيس :

نَمُشُّ بأعْرافِ الجيادِ أكُفَّنا إذا نحنُ قُمْنا عن شواءٍ مُضَهَّبِ [٦]

يفسره خلف الأحمر، قائلا: " نَمُشّ: أي نمسح، ومنه سُمّي منديل الغَمَر مشوشاً " [٧].

وإذا تطور الشرح قليلا عند هذا الجيل، تجدهم يقدّمون شرحا مختصرا لمعنى البيت مِنْ دون التعرض لأجزائه وعناصره، والأمثلة كثيرة على ذلك، فبيت المثقب العبدي :

يُصيخُ لِلنَّبْأةِ أسْمَاعَهُ إصَاخَةَ النَّاشِدِ للمُنْشِدِ [٨]

---

[١] العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله، (ت٣٨٢هـ)، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج١، (تحقيق: السيد محمد يوسف)، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت)، ص ١٧٧.

[٢] أما في الديوان فجاءت رواية البيت: (الجميم) و(أرْغَلته). أنظر: الهذلي، أبو ذؤيب خويلد بن خالد ابن محرث بن مخزوم، الديوان، ط١، (تحقيق: أنطونيوس بطرس)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٤٧.

[٣] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ص ١٧٧.

[٤] الضبي، المفضل محمد بن يعلى بن عامر، (ت ١٦٨هـ)، أمثال العرب، ط١، (تحقيق: قصي الحسين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣، ص٣٢. وابن المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين، (ت٤١٨هـ)، كتاب الإيناس بعلم الأنساب، ط٢، (تحقيق: إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠، ص٤٢.

[٥] المفضل الضبي، أمثال العرب، ص٣٢ .

[٦] امرئ القيس، الديوان، ص ٥٤ .

[٧] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢، ص٣٧١ .

[٨] ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير، ج ٢، ص ٧٣٥. ولم يرد في ديوان المثقب العبدي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أبو عمرو بن العلاء في تفسيره: " إذا سمع صوتا أمال أذنه، وتسمّع كما يصيخ طالب الضالة لمعرّفها " [١].

وفي بيت الأعشى :

سَاعَـةَ أكبَـرَ النَّهَـار كـمَا شـ ـدَّ مُخِيـلٌ لبُـونه أعتامـا [٢]،[٣]

يفسره خلف الأحمر، بقوله: " رأى خال السحابة فأشفق منها على بهمه فشدها " [٤].

ثم جاء الجيل الثاني من أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، وأبي زيد الأنصاري (ت٢١٥هـ)، والأصمعي (ت٢١٦هـ)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، وأبي نصر الباهلي (ت٢٣١هـ)، وابن الأعرابي (ت٢٣١هـ)، وأبي عمرو الشيباني (ت٢٣١هـ)، وغيرهم. وهم تلاميذ لأعلام الجيل الأول، تلقفوا التراث الشعري الذي جمعه شيوخهم، والملاحظات التفسيرية التي دُوّنت حوله، فتعاملوا معها بكل ما لديهم من علم وثقافة ومهارة، فانتقلوا بالشرح من مراحله الأولية التي ذكرها الباحث إلى مرحلة أكثر تقدما.

ولم تبقَ الحصيلة الهائلة التي اكتسبها أصحاب هذا الجيل جامدة ثابتة، و لم يكن التعامل معها مقتصرا على الحفظ فحسب، بل تعدى إلى الزيادة والتحقيق والتدقيق؛ فقد اتجه أصحاب هذا الجيل إلى البادية ليجمعوا روايات أكثر، وتردّدوا على مجالس العلم والحلقات للتزوّد في علومهم، وقرؤوا ما ورثوا من مصنفات علمية ليتنوعوا في المصادر ويخدموا الشعر وشرحه، فأدى كل هذا النشاط إلى "ظهور كثير من الخلافات العلمية، وتباين في الآراء والتفاسير، وكثرة التأويلات والاجتهادات ...، وامتد هذا الخلاف ليعارض أحيانا أقوال وشروح أساتذتهم، ويشمل معاصريهم على اختلاف ميولهم ونزعاتهم " [٥].

---

[١] ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير ، ج ٢، ص ٧٥٣ .

[٢] ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، ط١، ج٣، (تحقيق: محمد علي النجار)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٢٨٧.

[٣] أما في الديوان، فجاءت رواية البيت: (شلّ) و (لنوئه أغناما). أنظر: الأعشى، ميمون بن قيس، (ت ٧هـ)، الديوان، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٢٠٣.

[٤] ابن جني، الخصائص، ج٣، ص ٢٨٧ .

[٥] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظهر علماء هذا الجيل شخصياتهم العلمية والأدبية، وبراعتهم في المناقشة والتحليل. حين درسوا صنيع أساتذتهم السابقين، فاختلفوا معهم في الرواية وتفسير بعض المعاني، فهذا أبو زيد الأنصاري يختلف مع أستاذه أبي عمرو بن العلاء في رواية بيت امرئ القيس :

تَـأوَّبَنِي دائِـي القَـديمُ فَغَـلَّسَا أحَـاذِرٌ أنْ يَرْتَـدّ دائِي فَأنْكَـسَا [١]

قال أبو زيد الأنصاري: " هذا تصحيف، لأن المتأوّب لا يكون مُغلّسا في حالٍ واحدة، لأن غلّس، إنما هو آتٍ في آخر الليل، وتأوّب جاء في آخر النهار، وإنما هو (فعَلّسَا) أي اشتد وبرح " [٢].

كما اختلف الأصمعي أيضا مع أستاذه أبي عمرو بن العلاء، ولكن في المعنى وتفسير بعض الألفاظ، ففي بيت أوس بن حجر :

لَعَمْـرُكَ ما ضَيَّعْـتُها غيْرَ أنّـها أتَتنِي فَـوَارى عَرِيَـة فالمُـجَلّل [٣]

فسّره أبو عمرو بقوله: " عرية: بعيدة، يقول جاءت من بُعد، والمجلّل: اسم رجل" [٤]، فخالفه الأصمعي في هذا التفسير، وقال: "عريها ما عرى منها لسمنة، والمجلل ما ألبس جلا" [٥].

أما اختلافهم مع معاصريهم؛ فقد كان واضحا وحادا، شمل جوانب عديدة من عناصر شرح الشعر، فقد اختلفوا في رواية الألفاظ، والأوجه الإعرابية، وما يتبع ذلك من تغيير في الشرح، وتغيير في مقصد الشاعر. كما اختلفوا حول المعنى وإن اتفقت الروايات عند العلماء، والسبب في هذا الخلاف بين أصحاب هذا الجيل يرجع إلى " كثرة المصادر، وتعدد الروايات، وتباين الاهتمامات، وتغاير التخصصات، وأخيرا الاختلاف المذهبي والإقليمي" [٦]، لذا يمكن أن نستشف من هذا الخلاف السمات الفنية للشارح، ونوعية اهتماماته وحصيلته العلمية، ومدى تمكنه من مادته وتخصصه .

---

[١] امرئ القيس، الديوان، ص ١٠٦ .

[٢] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج١، ص ١٣٩ .

[٣] الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ)، التنبيه على حدوث التصحيف، (تحقيق: محمد حسين آل ياسين)، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٢٠ . ولم يرد البيت في الديوان .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٢٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٢٠ .

[٦] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتعددت أمثلة هذا الخلاف في مصنفات علماء هذا الجيل، أو ما نُقل عنهم، فقد اختلف أبو عمرو الشيباني مع الأصمعي حول رواية بعض الألفاظ في أبيات قالها لقيط بن زُرارة في يوم جبله، رواها أبو عبيدة :

يا قــوْم قــد حَرَّقْتُموني باللّــومْ ولَم أُقــاتِل عامــراً قبــلَ اليَــومْ [١]

شَتّــانَ هَــذا والعِنــاقُ والنَّــوْمْ والمَشْرَبُ البــاردُ في ظــلِّ الدَّوْمْ

وقال في تفسير (في ظل الدوم): " يعني في ظل نخل المُقْلْ. فقال الأصمعي: قد أحال ابن الحائل (يعني أبا عبيدة) في قوله، لأنه ليس بنجد دوم، ويوم جبلة بنجد، وإنما الرواية (في الظل الدوم)، أي الدائم، كما قالوا: زائِرٌ وزَوْر، ونائِمٌ ونَوْم " [٢].

وفي بيت الأعشى اختلف الأصمعي وأبو عبيدة وقطرب، فكل منهم كان يحاول إيجاد معنى لهذا البيت، يقنع به نفسه ليقنع به الآخرين، يقول الأعشى :

أثــوَى وقصَّــرَ ليــلة لــيُــزَوَّدا ومَضَى فأخْــلفَ من قُتَيْلة مَوْعِدا [٣]

اختلف أصحاب المعاني حول تفسير هذا البيت، فقد قال بعضهم: كيف أخلف من قتيلة موعدا، وهو لها عاشق، والعاشق لا يُخلِفُ، وكيف يُخلِفُها ؟ ... ، وإنما ثَوى وقصَّرَ ليُزَوَّد. فحاول الأصمعي أن يجد مخرجا للشاعر، فقال: فأخلف؛ أي فصادَف مَوعدَها خُلْفاً، كما يقال: أبْخَلْتُهُ وأجْبَنْتُهُ. أما أبو عبيدة وقطرب فقد اختلفا معه، إذ قالا: فأخلفَ؛ أي واستخلفَ عن قُتَيْلة مَوعِدا، أي لمّا ثَوَى عندها فأقامَ وعَدَتْهُ موعِدا آخر، فأخلفَ منها مَوعِدا غيرَ الأول [٤].

أما في بيت امرئ القيس :

أرَى أمَّ عــمْرو دَمْعُها قدْ تَحَــدَّرا بُكاءً على عَمْرو ومَا كانَ أصْبَرَا [٥]

---

[١] الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، ص ١١٦. والبيتان وردا عند: ابن منظور، لسان العرب، مج ١٢، مادة (دوم)، ص ٢٥٠، برواية (أحرقتموني) و (والظل الدوم). أما البيت الثاني، فقد ورد عند: الجاحظ، البيان والتبيين، ج٣، ص ٢٢٠ .

[٢] الأصفهاني، التنبيه على حدوث التصحيف، ص ١١٦ .

[٣] الأعشى، الديوان، ص ٥٤ .

[٤] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج٢، ص ٣٨٨ .

[٥] امرؤ القيس، الديوان، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنلاحظ اختلافا حول الإعراب ، فقد تنازع الأصمعي وأبو عبيدة حول نصب (أصبرا)، فيرى الأصمعي أن الشاعر نصبها على التعجب، بينما يقول أبو عبيدة: (ما) نفي، أراد: وما كان يشرُ أصبَر منها حين بكَى، ويقال: رجلٌ أصبَر في معنى صَبور، وأكرَم في معنى كريم...، فكأنه قال: ما كان صَبوراً. ثم قال متهكما على تفسير الأصمعي: وكيف يتعجّب من صبرها وقد تحدَّر دَمعُها ؟ [١] .

ولم يقتصر نشاط هؤلاء العلماء في شروحهم على الخلاف فحسب، بل تعدى إلى التعريف بالشعراء، وتقديم الأخبار التي لها صلة بمناسبة القصيدة، فهم يعدّون هذه الأمور جزءا مِنَ الشرح؛ لأنها تساعد في فهم القصيدة. وقد تحدث ابن الأعرابي بمثل هذه العناصر قبل شرحه لأبيات ابن الخطيم ، فقال: " سُبيع بن الخطيم التميميّ، فرسه نحلة، ويقال له: فارس نحله، خطب إلى عمه، فقال له: نعم أزوجك بنتي على أن تعطيني فرسك نحله، فأبى ثم قال هذه الأبيات " [٢]. وشمل نشاطهم أيضا توظيف مخزونهم الثقافي في الشرح، إذ اعتمدوا في تدعيم آرائهم اللغوية والنحوية على الشواهد، في الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأمثال، والمقولات عن العرب .

وسلّم علماء هذا الجيل (جيل الأصمعي وطبقته) الشروح الشعرية إلى تلامذتهم علماء الجيل الثالث، ومنهم: يعقوب بن السكيت (ت٢٤٤هـ)، ومحمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، وأبو عثمان المازني (ت٢٤٩هـ)، وأبو عكرمة عامر بن عمران (ت٢٥٠هـ)، وأبو حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ)، وأبو الفضل الرّياشي (ت٢٥٧هـ)، وأبو الحسن الطوسي (معاصر للسكري). وكانت الشروح في هذا الوقت قد وصلت قمّتها، فاشتملت على "ذخيرة ضخمة من الشعر، ومحصولا وفيرا من الدواوين والمجموعات الشعرية، والاختيارات المفسّرة التي تختلف في مصادرها ورواياتها وشروحها، وآراء العلماء، والأساتذة، وملاحظات الرواة حولها " [٣].

وتقبّل هؤلاء العلماء هذه المادة الوفيرة، وجعلوها مادة للدراسة، فاتبعوا معها منهجا علميا يقتضي تحليلها بموضوعية مستفيضة، وتقديم الآراء التي تزيل أخطاء السابقين، وتُجنّبهم الوقوع في العثرات، فيكون عملهم في "تحليلها تحليلا منهجيا يجلي خصائصها، ويبرز سماتها،

---

[١] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج٢، ص ٢٩٨ .

[٢] ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد، (ت ٢٣١ هـ)، أسماء خيل العرب وفرسانها، ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر أحمد)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص٩٦ .

[٣] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص ٢٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويوضح ملامحها وقسماتها وعناصرها المتعددة من لغة ونحو ونقد وأخبار وأنساب،... فما وافق الصواب أيدوه وأثبتوه وأذاعوه، وما جانب الصواب وشطّ عن الحقيقة، رفضوه ونقدوه، وعللوا لذلك " [١].

واشتملت شروحهم على نقل شروح أساتذتهم كاملة، كأنْ يُورد البيت ويذكر شرح أستاذه، ثم يصرّح قائلا: " هذا قول الأصمعي "، أو يقول: " حكاها ابن الأعرابي "، وبعضهم تعدى ذلك فأضاف بعض التعليقات التي تكمل عمل أستاذه، ومِنْ ذلك ما جاء في كتاب النقائض، حول بيتي عميرة :

كَـأنّي إذ مَنَـحْتُ عليكَ فَضْـلي مَنَحتُ علـى مُقَـطّـعَةِ القُلُـوبِ [٢]
أرَيْـنِبِ خُـلّـةٍ بـاتَـتْ تَعَـشّى أبَـارِقَ كُلّـهَا وَ خُـمّ جَـدِيـبُ

قال أبو عبيدة في تفسير " أرَيْنِبَ خُلّة ": كأني حُمّلتُ مِنّتي أرَيْنِبا لا جَزَاءَ عندها ولا شُكْر. فأضاف محمد بن حبيب إلى هذا الشرح قوله: " الأرنبُ أخورُ الوَحْش وإنّ القُنْبَرَةَ تطمعُ فيها حتى تضْربها، والأبارقُ جمع أبْرَق، وهو رَمْل وحِجارة " [٣].

واتضح عند هؤلاء العلماء حرصهم على تفسير جميع الأجزاء في البيت الشعري، فقد قال الطوسي في شرحه بيت بشر بن أبي خازم :

عَفَـتْ سُلَيْس رامَـةٌ فَكَـثيـبُها وَشَطّتْ بها عَنْكَ النّـوى وشُعُوبُها [٤]،[٥]

" عفت: درست ، تعفُو عفاء ، وعفا الرجل عن أخيه يَعْفو عفواً، وعفا شعره كثُر، وعَفَاه الناس أتَوْهُ طالبين لِنوالِهِ، وأعتفوه أيضا، ورامَة: بلد، وشطت: بعدت تشط شطا. والنوى: وجهك الذي تريده والنية مثله. والشعوب جمع شعب، ويقال: " ما أدري أين شَعَب أي: أين

---

[١] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢٤٧ .

[٢] أبو عبيدة، معمر بن المثنى، (ت ٢٠٩هـ)، كتاب النقائض، (تحقيق: بيفان)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص ٥٧. ووردت الأبيات بلا نسبة عند: ابن منظور، لسان العرب، مج٨، مادة (قطع)، ص ٣٣٧، برواية (تغشى).

[٣] أبو عبيدة، كتاب النقائض، ص ٥٧ .

[٤] الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار، (ت ٣٠٤هـ)، شرح ديوان المفضليات، ط١، م٢، (تحقيق: محمد نبيل طريفي)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٦٤٠ .

[٥] ورد في الديوان برواية: (عفت من سليمى رامة فكثيبها). أنظر: الأسدي، بشر بن أبي خازم، الديوان، ط٢، (تحقيق: عزّة حسن)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢، ص ١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذهب " [١]. ولم ينس الطوسي ما سمعه من أستاذه حول هذا المعنى، فقال: " قال ابن الأعرابي: شعبه أي قبيلته، وشعبه أي بلده الذي شعب إليه، وشَعَبْتُهُ شُعُوب أي أهلكته المنية وهي لا تنصرف، والمنية تُدعَى شَعُوب، ولا تُجرى للتأنيث " [٢].

وتُعد الرواية أبرز ما جاء في شروحهم، فقد كانوا يذكرون كل ما أتى به الرواة أو أساتذتهم من روايات، ويتحرون الأمانة العلمية معها، فيسندون كل رواية إلى صاحبها إن كان معلوما لديهم، ويحاول بعضهم نقد هذه الروايات، واختيار أقربها إلى الصواب، وفي بعض الأحيان يقدم المسوغات لهذا الاختيار، ففي بيت الأعشى :

عَلَـيْهِ سِـلاحُ امْـرئٍ حَـــازِم تَمَهَّلَ فِـي الحَـرْبِ حتّى امْتُـحِنْ [٣].[٤]

قال الرياشي: " لم يعرفه الأصمعي، والرواية: (حتى أتَّخَنْ): أي صار رزينا، وهي افتعل من الثخانة، وتجوز: (أتَّخَنْ). قال المازني: ولا أنكر (أمْتَحَن)، بالحاء غير المعجمة أن يكون رواية، ومعناه: خُلِّصَ. ومنه قوله تعالى[٥]: " أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى "، وقال آخر: بل اختُبِرَ، من قوله عز وجل [٦]: " فامتحنوهن " [٧].

وانتقلت الشروح الشعرية بعد ذلك إلى الجيل الرابع، جيل الأحول الكوفي (ت٢٥٩هـ)، وأبي سعيد السكري (ت٢٧٥هـ)، وابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، والمبرد (ت٢٨٥هـ)، والمفضل بن سلمة (ت٢٩٠هـ)، وثعلب (ت٢٩١هـ)، وابن كيسان (ت٢٩٩هـ)، ومن في طبقتهم. وكان إرث هذا الجيل أكبر عددا وأكثر تنظيما من إرث الأجيال السابقة، فقد ورثوا "صنيع العلماء السابقين في شكل دواوين ومختارات شعرية، مجموعة مصنفة، مشروحة مذللة، وقد غلب على هذه الدواوين التي صنعوها تعدد الروايات، وتباين الشروح، واختلاف الآراء؛

---

[١] الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٦٤٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص٦٤١ .

[٣] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج٢، ص ٣٦٨ .

[٤] وفي الديوان يروى: (ماجد) و (حتى اثخَن). أنظر: الأعشى، الديوان، ص ٢١١ .

[٥] القرآن الكريم، سورة (الحجرات)، الآية رقم (٣) .

[٦] المصدر نفسه، سورة (الممتحنة)، الآية رقم (١٠) .

[٧] العسكري، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، ج٢، ص ٣٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نتيجة لاختلاف مصادر العلماء السابقين ومذاهبهم، ولون ثقافاتهم، ونوع تخصصاتهم واهتماماتهم " [١].

وقد تعددت الدواوين التي ورثوها بتعدد الرواة والشراح، فكل شاعر تجد لديوانه نسخا متعددة، تختلف باختلاف راويها أو شارحها، كديوان امرئ القيس صنعه الأصمعي، وأبو عمرو الشيباني، ومحمد بن حبيب، وابن السكيت [٢]. وديوان زهير بن أبي سلمى صنعه ابن السكيت، والطوسي [٣]. وديوان الحطيئة صنعه الأصمعي، وابن السكيت، وأبو عمرو الشيباني، والطوسي[٤]. وديوان الخنساء الذي صنعه ابن الأعرابي، وابن السكيت [٥].

واقتصر جهد هذا الجيل بناء على ما سبق على " تصنيع الشروح "، فنظروا في الدواوين المتعددة للعمل الفني الواحد، وانتقوا منها أحسن ما فيها، ففاضلوا بين رواياتها، واختاروا أجودها وأقربها إلى مقصود الشاعر، وأكملوا ما وجدوه في حاجة إلى ذلك، ومازجوا بين المذاهب العلمية والفنية (البصرية والكوفية)، فاتحدت المسائل، وظهر تصنيعهم شاملا، قلما تظهر فيه شخصية المصنع، وهذه الدواوين التي أخرجوها لا تبرز طابع العَالِم أو مذهبه، ولا تتسم بالسمة الفردية الإبداعية، وإنما يغلب عليها التصنيع الجماعي [٦].

وقد اتضح جهد هؤلاء الشراح عند من درس الدواوين والشروح التي صنعوها، فعلى سبيل المثال، يقول ناصر الدين الأسد عن عمل السكري في مصنفاته: " لا ينفرد برواية متميزة يختص بها وتنسب إليه، وإنما يجمع روايات متعددة، بصرية وكوفية، ويأخذها عن رواة من تلامذة هاتين المدرستين، وربما أضاف إليها ما يصل إليه من غيرهم " [٧]، ويوافقه في هذا الرأي الدكتور عبد القدوس أبو صالح، حين قال عن عمل الأحول في تصنيع الدواوين: "ولما

---

[١] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢٥٩ .

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص ١٧٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٧٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٧٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٧٩ .

[٦] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢٧٤ .

[٧] ابن الخطيم، قيس، الديوان: عن ابن السكيت وغيره، ط١، (تحقيق: ناصر الدين الأسد)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان الأحول يصنع شروحه من جميع الروايات، فإنه كان يقارن بين الشروح، ويفاضل بينها، مشيرا إلى ما يردّه أو يرجّحه منها، أو مدليا بتوجيهٍ للمعنى من عنده " [١].

ومن ثم انتقلت الشروح الشعرية إلى الجيل الخامس، جيل أبي محمد الأنباري (ت٣٠٤هـ)، وأبي عبد الله اليزيدي (ت٣١٠هـ)، وأبي بكر بن دريد (ت٣٢١هـ)، ونفطويه (ت٣٢٣هـ)، وأبي بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، وغيرهم، وكانت الأمور قد اتضحت أكثر، فقد وُضعت العلوم في هذا العصر، ووضحت منازع العلماء حولها، فتغيرت غاية الشروح، فبدلا من أن يسعى الشارح إلى توضيح الأشعار وتفسير غريبها، أخذ ينشر مذهبه وآراءه في علمه وتخصصه، ويوضح للجمهور ذلك من خلال التطبيق العلمي على المادة الشعرية، فوجد الشارح في هذا العمل متنفسا لرصيده الثقافي. " فرجال اللغة يحمّلون الشعر ذخيرتهم اللغوية، وعلماء الإعراب والصرف يجعلونه معرضا للآراء والخلافات المذهبية، والمؤرخون يعلقون به طرائف الأخبار والأنساب والأحداث، وأصحاب المعاني يغوصون على معانيه فيبدون دقائقها وظلالها الموحية، وأرباب النقد يعرضونه على موازينهم، فيميزون الخبيث من الطيب، وبذلك تقود الشرح اتجاهات بارزة، تغلب على كل منها نزعة مستبدة، تُخضع الشعر والتفسير لسلطانها، وتجعل الشروح غاية في ذاتها، بعد أن كانت وسيلة وأداة " [٢].

وتصدى علماء هذا الجيل لشرح الشعر، فبرز كل منهم في علمه، وأخذت منازعهم واتجاهاتهم وميولهم تظهر في مصنفاتهم، فصُبغت هذه الشروح بألوان من العلوم، فكان أبو محمد الأنباري وابن دريد يمثلان العناية باللغة والتاريخ، واليزيدي ونفطويه يلتزمان جانب المعاني، أما أبو بكر بن الأنباري، فكان يجمع بين اللغة والنحو.

ويتضّح في هذا الجيل توسع الهدف في شروحه، فبعد أن كان الشارح يسعى إلى كشف الغامض وتفسير الغريب كي يشعر الجمهور بالمتعة، أصبح الشرح وسيلة للتعليم والتثقيف يستغله الشارح لنشر مذهبه وآرائه بين الجمهور، لذلك تجده " يتعمق في دراسة اللغة ويحللها تحليلا لا يُبقي على جزء منها، مع تحديد معانيها المختلفة في أوضاعها المختلفة، ويتفلسف في تفسير النحو، مع ذكر الآراء المختلفة والتوضيحات الإعرابية والتأويلات المذهبية ليضع كل ذلك بين يدي القارئ، ويجتهد ثم يعمل عقله. حتى يصل إلى اختيار ما يقتنع به وما يحتمل أن يكون

---

[١] أبو صالح، عبد القدوس، (١٩٧١)، شرح ديوان ذو الرمة لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ص٥٦ .

[٢] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أقرب للصواب، ويتفنن في استخراج المعاني وتأويل معان جديدة تكون أقرب إلى مقصد الشاعر، ويستشهد عليها بالشواهد المختلفة من آي الذكر الحكيم، ومن الحديث النبوي الشريف، ومن الشعر والأمثال" [1]. فيجد طالب العلم نفسه بين مائدة ضخمة تضم أدسم المواد العلمية، التي هي حصيلة الجمع والجهد والتمحيص والتدقيق، ليختار منها ما يناسب عقله، ويشبع ذوقه، ويلائم ميوله .

وأخيرا نخلص من هذا العرض التاريخي إلى أن الشروح الشعرية مرت بمراحل وتقلبات في نشأتها إلى أن وصلت إلى صورتها في عهد أبي بكر بن الأنباري، فبدايتها كانت تفسير اللفظة أو اللفظتين، ومحاولة معرفة قصد الشاعر، وتعرضت بعدها لعملية رصد واسعة تسعى إلى جمع وتدوين ما في جُعب الرواة والأعراب من أشعار وأخبار وتعليقات تفسيرية، فتلقف العلماء المتخصصون هذه المادة الضخمة محاولين الاجتهاد في تفسير بعض محتوياتها وتوظيف ما عندهم من علوم لتوضيحها، وحاول بعدها تلاميذهم المزج بين آرائهم فيما دار حول هذا الشعر، فتوسعت أكثر المادة الشعرية، فتلقفها جيل حاول تنسيقها وانتقاء ما يراه مفيدا فيها ليبسّطها للمتلقين، إلى أن جاء مطلع القرن الرابع الهجري فوُضعت العلوم المتنوعة، ورُسمت قواعدها، واشتد حولها الخلاف والتباين في الآراء والأفكار، فتسلّم جيل ابن الأنباري هذه الشروح وجنح بها عن غاياتها السابقة، فاتخذها وسيلة وأداة لتوضيح مذهبه، وإبداء رأيه في قضايا الخلاف جميعها .

---

[1] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ص٢٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: العوامل التي مهدت لظهور الشروح الشعرية

لم يكن تأليف الشروح الشعرية عملا اعتباطيا، وإنما وُجدت بعض العوامل التي عبّدت طريقها وأنارت دربها، وكان من هذه العوامل ما هو رئيسٌ هدفه الشرح نفسه، ومنها ما كان ثانويا يتخذ من الشرح وسيلة لتحقيق أهداف أخرى، لكننا لن نتطرق في هذا التمهيد لدراسة هذه العوامل الثانوية لأن التمهيد يدرس الشروح الشعرية قبل عهد أبي بكر ابن الأنباري (ت٣٢٨هـ)، بينما ظهرت هذه العوامل بعد ذلك الوقت، لذا سنكتفي بذكرها فقط، وهي (حاجة الشعر الجديد إلى الشرح والنقد، وتدارك ثغرات شروح الأسلاف، وتأييد بعض الشعراء والدفاع عنهم). أما العوامل الرئيسة التي سنتناولها بالتفصيل؛ فهي: (النص الديني، وعناية الخلفاء والأمراء بالشعر، وحلقات العلم والمجالس الأدبية) .

١- النص الديني

استعان المسلمون بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالشعر العربي في تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فهو المعجم الذي حفظ لغة العرب، ورصد تعبيراتها، ومثّل أساليبها، بعد أن اتسعت رقعة البلاد الإسلامية بالفتوحات، وفسدت السليقة بتمازج الأقوام.

وتنبه المفسرون الأوائل إلى تأثر اللغة العربية، وما آل إليه المسلمون من ضعف ومشقة في فهم القرآن الذي يبسّط لهم أمور دينهم، لذا بينوا أهمية هذا الشعر والحفاظ عليه من الاندثار على مر الزمن، والرجوع إليه فيما أشكل عليهم من القرآن. يقول ابن عباس – رضي الله عنه: " إذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر فإنه ديوان العرب"[١]، وقد قام بهذا العمل قبلهم، فكان " يُسأل عن القرآن كثيرا، فيقول هو كذا وكذا، أما سمعتم الشاعر يقول: كذا وكذا"[٢].

ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ازدادت الحاجة أكثر إلى فهم مفردات القرآن، وبدأت تنمو البذرة التي غرسها الصحابة عند جيل العلماء في القرن الثاني ، فظل توضيح معنى اللفظ القرآني مرتبطا بالشعر تماما كما كان في عهد ابن عباس. وقد انتشر هذا بكل وضوح في كتب

---

[١] الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (ت ٥٠٢ هـ)، شرح ديوان الحماسة، ط١، ج١، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٨، ص٣ .

[٢] الزهري، محمد بن سعد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ)، كتاب الطبقات الكبير، ط١، ج٢، (تحقيق: علي محمد عمر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التفسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء (عالم اللغة والقراءات)، يُسأل عن قوله تعالى: " فعززنا بثالث " [١]، فقال: المعنى شددنا [٢]، وأنشد :

أجد إذا ضـــمررت تعـــزز لحمـــها وإذا تشـــد بنسعـــها لا تنـــبس [٣]،[٤]

وكذلك استُعين بالشعر على إيضاح مفردات الحديث الشريف، فمثلا غموض كلمة " في أثره " في الحديث الشريف: " من سرّه أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه" [٥]، يفسرها أصحاب غريب الحديث بقولهم: " يُنسَأ في أثره، ومعناه يُؤَخّر في أجله، وسُمِي الأجَلُ أثراً؛ لأنه تابعُ الحياة وسائِقُها. قال كَعبُ بنُ زُهَيْر:

يَسْعَى الفتَى لأمُـور ليس يُدْرِكُـها والنَّـفْسُ وَاحِـدَةٌ وَالهَمُّ مُنْتَشِرُ " [٦]،[٧]

لقد امتدت يد الاهتمام بالشعر في الدين لتتعدى فهم الألفاظ المجردة في القرآن والحديث، لتشمل توضيح المسميات الدقيقة التي بدأت تظهر في الشريعة، ويدور الخلاف حول فهمها فهما صحيحا. ولعلّ ما يؤكد هذا الاهتمام المحاورة التي دارت بين أبي عمرو بن العلاء، وعمرو ابن عبيد (مؤسس حركة الاعتزال)، حول نظام الجزاء الإلهي؛ إذ قال عمرو بن عبيد: " إن الله منجز وعده ووعيده، فردّ عليه أبو عمرو بن العلاء لائما: إنك أعجمي ولا أعني لسانك، ولكن فهمك وعلمك، إن العرب لا تَعدّ ترك الإيعاد ذمّا وتعدّه مدحا، على عكس الوعد" [٨]، مشيرا إلى بيت عامر بن الطفيل:

---

[١] القرآن الكريم، سورة (يس)، الآية رقم (١٤) .

[٢] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص١٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٦ .

[٤] ورد في الديوان برواية: (عَنْسٌ). انظر: المُتَلَمِّسُ الضُّبَعي، جرير بن عبد المسيح، (ت ٥٨٠ م). الديوان: رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، ط١، (تحقيق: حسن كامل الصيرفي)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٨٠ .

[٥] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧هـ). غريب الحديث، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ص١٤٢ .

[٦] المصدر نفسه، ج١، ص١٤٢ .

[٧] السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله، (ت ٢٧٥هـ)، شرح ديوان كعب بن زهير، ط١، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠، ص٢٢٩ .

[٨] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٤٠هـ)، مجالس العلماء، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٦٢، ص ٧٨-٧٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يرهب ابنُ العمّ ما عشت صَولتي و لا أختَتِي من صــولة المتهــدّد [١،٢]
وإنــي و إنْ أوعــدتــه أو وعــدته لمخلف إيعادي ومُنْــجِزُ مَوْعِــدِي

إن خدمة الشعر العربي للنصوص الدينية دفعت العلماء إلى الاهتمام به، وتسليط الضوء على روايته وتفسير غامضه، فبعد أن جمعوا التراث الشعري ودوّنوه في دواوين واختيارات، عملوا على انتقاء العيون من هذا الشعر، وإقامة الدراسات والشروح عليه، وتبسيطه وتفسيره للعامة من الناس؛ كي يساعدهم في فهم النصوص الدينية. وقد أفصح العلماء عن هذا الهدف، ولكن في وقت متأخر، فبعد أن ظهرت الشروح المنظمة في أواخر القرن الرابع، ذكروا ذلك في مقدماتها. يقول الخطيب التبريزي في مقدمة شرحه للحماسة مشيرا إلى غايته الدينية من تأليف هذا الشرح: " ..... وأشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة، وهما قطبا كل علم، وأصلا كل فهم، إذ كانا طريقا إلى معرفة الخالق تعالى، وشكر نعمته، وسبيلا إلى إدراك السعادة والفوز بجنته، ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب الدال على الخطأ من الصواب، وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات، المفصحة عن المجاز والاستعارات، وعلم الأشعار إذ كان يستشهد بها في كتاب الله عز وجل، وفي غريب أخبار رسوله – صلى الله عليه وسلم " [٣].
وكذلك صرّح الأعلم الشنتمري على نحو مباشر في مقدمة شرحه للحماسة عن الغاية نفسها، قائلا: " وتجردت للتصنيف فيما يؤدي إلى البيان النيّر الجليّ الموصل إلى العلم بكتاب الله تعالى، وحديث رسوله الأمين المرتضى، فوضعت في ذلك دواوين مختلفة، من بين نحو مبين، وشعر مفسّر " [٤].

وبذلك يظهر جليا أن النص الديني قام بدور مهمٌ في ظهور الشروح الشعرية، فالحاجة إلى خدمته أنتجت هذه الشروح إسهاما في سد الفجوة بين اللغة الفصحى (لغة النص الديني)، ولغة التخاطب اليومي الناتجة عن تمازج الأمصار الإسلامية، وتعدد المستويات اللغوية.

---

[١] الزجاجي، مجالس العلماء ، ص ٧٨ .

[٢] وفي الديوان: يروى (منيّ صولة) و (لأخلف إيْعادي وأنْجزُ مَوْعِدِي). انظر: عامر بن الطفيل، الديوان، ص ٥٨.

[٣] الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج١، ص١ .

[٤] الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي، (ت ٤٧٦هـ) ، شرح حماسة أبي تمام، ط١، ج١، (تحقيق: علي المفضل حمودان)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢، ص٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- عناية الخلفاء وولاتهم بالشعر.

كان اهتمام الخلفاء ورجال الدولة بالأدب ذا أثر كبير في ظهور الشروح الشعرية، وتمثل هذا الاهتمام برواية الشعر، وجذب الرواة والعلماء إلى حواضر الخلافة، وإغرائهم بالمميزات وتقديمهم في المجالس، وتقديم العطايا لهم، واختيارهم مؤدبين لأولادهم في اللغة والأدب، وتوفير سبل الراحة التي تضمن لهم جو البحث والتأليف، وكان هذا الاهتمام بارزا في الدولتين: الأموية والعباسية.

فخلفاء بني أمية واظبوا على رواية الشعر الجاهلي، وتعلموا ما به من أخبار وأحداث، لأنه الوصلة بينهم وبين أجدادهم من العرب، فإذا أنشدوا بيتا من الشعر وغاب عنهم قائله أو خبره، بعثوا في طلب الرواة والعلماء حتى يعرفوا قائله، وإذا وجدوا الجواب الشافي عند من سألوا عمت الفرحة في نفوسهم، وسالت أيديهم بالعطايا والهدايا. وقد تحدث الأصمعي عن شغف بني أمية بالشعر وروايته ومعرفة أخباره، قائلا: " كانوا ربما اختلفوا وهم بالشام في بيت من الشعر، أو خبر، أو يوم من أيام العرب، فيبردون فيه بريدا إلى العراق " [١]، وقال غيره: " كنّا نرى في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس " [٢].

وكان حرصهم على هذه الجوانب نابعا من الحرص على اللغة العربية أيضا، والحفاظ على إجادة النطق بها، فكانوا يعدّون " اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه، وأقبح من التفتيق في الثوب النفيس" [٣]، وكانوا يدركون أن النطق السليم للعربية من "صفات الأرستقراطية العربية، لذا كان سادة البيت الأموي يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشؤوا في جو عربي بدوي، وحتى يدرجوا على استخدام العربية على النحو الذي كان معروفا عند البدو" [٤].

---

[١] العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، (ت ٣٨٢هـ)، كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه، ط١، ج١، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨. ص٤ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٢٤٥ .

[٣] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، ط١، ج٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥، ص ١٥٨.

[٤] هنطش، محمد أحمد، (١٩٨٩)، الروابط اللغوية وظهور حركة التنقية في صدر الإسلام. مجلة البحث العلمي، السنة الثامنة (١٨)، ص١٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وازداد اهتمام بني أميّة بتعليم أبنائهم التعليم الصحيح، فاختاروا لأبنائهم المؤدبين الذين يُلمّون بعلوم الشعر وروايته، وحرصوا على أن يكون من العلوم التي يستقيها أبناؤهم، فقد كان عبد الملك بن مروان يوصي معلم ولده بذلك، فيقول: " روّهم الشعر، روّهم الشعر، يمجدوا وينجدوا " [١]. وقال مرة أخرى لمؤدب ولده: " أدبهم برواية شعر الأعشى فإن لكلامه عذوبة"[٢].

وانعكس الاهتمام الذي حظي به الشعر وعلومه في الدولة الأموية على الشعراء والعلماء والرواة، فقد ضربوا باب المنافسة والتميز فيما بينهم، وراح كل منهم يهتم بجمع الشعر وروايته ومعرفة غريبه، وحرص كل منهم على أن يكون ما عنده من روايات انفراديا لا يعلم به غيره، حتى يذيع صيته في ترؤس هذه العلوم، ويكون مطلبا للخلفاء، فتنهال عليه هداياهم وعطاياهم.

وبلغ الاهتمام بالشعر ذروته عندما قامت الدولة العباسية، فوصلت العلوم والآداب إلى مراحل النضوج والتطور، وذلك لأن العباسيين " رأوا آثار بني أمية، وأرادوا أن يطمسوا عليها، ويُنسوا الناس أخبارهم، ولا يدعوا للرواة بابا من ذكرهم " [٣]، وكان للمنافسة بين الدولتين أثر في خدمة العلوم وتطورها .

وتنوعت مظاهر اهتمام العباسيين بالعلوم والأدب، وأولها استدعاء العلماء المتميزين الذين اشتهروا في علومهم إلى حواضر الخلافة، فالخليفة المأمون "لم يزل منذ دخل العراق يراسل الأصمعي في أن يجيئه من البصرة، وكان لا ينفك يعد أصحابه به في مجالسه، ويقول: كأنكم بالأصمعي قد طلع " [٤].

كما كانوا يهتمون بالحلقات العلمية ويوفرون لها الأماكن الجيدة، ويغدقون على أساتذتها بالرواتب الجزلة، فقد كانت " حلقات المساجد أشبه بمعاهد عليا، لم تكن دورا للعبادة فحسب، بل كانت أيضا جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم في كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى، يتحلقون فيها طلابه من حوله، وكان عادة يستند إلى اسطوانة في المسجد، ثم يملي محاضراته

---

[١] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، ط٣، ج٦، (تحقيق: عبد المجيد الترحينـي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٢٤ .

[٢] المصدر نفسه، ج٦، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

[٣] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص ٤٠٨ .

[٤] المصدر نفسه، ج١، ص ٤٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطلاب يكتبون " [١]، وقد خُصّص لهؤلاء الأساتذة رواتب شهرية أو سنوية من الدولة مقابل الاستمرار في هذه الحلقات، فكان الموفقي يجري على ثعلب راتبا سنيّا [٢]، وكان المقتدر يجري على ابن دريد اللغوي خمسين دينارا في كل شهر [٣]. كما سهّلت الدولة لطلاب هذه الحلقات وأساتذتها الحصول على الورق لكتابة كل ما يدور فيها ورصده، فبعد أن كانت الكتابة على الجلود والقراطيس مرتفعة الثمن، نقلت الدولة العباسية في عهد الرشيد صناعة الورق إلى بغداد؛ فقد " أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي مصنعا للورق، فرخّص ثمنه، وانتشرت الكتابة فيه لخفته، وسرعان ما كثرت الكتب والمصنفات، كما كثر الوراقون الذين يعيشون من نسخها، وأنشأ كثيرون منهم دكاكين للتجارة فيها " [٤]، مما سهّل عليهم الحصول على الورق.

واهتمت الدولة أيضا بإنشاء المكتبات العلمية، وحرصت على أن تضم فيها الكتب والمصنفات باختلاف فنونها وموضوعاتها، فكانت بمثابة مركز ثقافي يرتاده المثقفون، ومستودع لحفظ الكتب من الضياع، وقد أنشِئت " على مشارف القرن الثالث الهجري أول مكتبة ضخمة في تاريخ العرب، وهي بيت الحكمة أو خزانة الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون" [٥].

وفتح الخلفاء وولاتهم باب التحفيز للعلماء، فكان العالم منهم إذا ألّف مصنفا، عرضه عليهم أو قدمه هدية لهم فيُغدَقُ على هذا المؤلف العطايا الجزيلة. وعندما " عمل أبو عبيدة كتاب غريب الحديث عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه، وقال: إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق ألا يُحوج إلى طلب المعاش، فأجرى له عشرة آلاف درهم كل شهر"[٦]. وأهدى الجاحظ مؤلفاته إلى الولاة فأهدوه الكثير من الأموال، " فقد أهدى كتابه الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار، وأهدى كتابه البيان والتبيين إلى

---

[١] ضيف، شوقي، (١٩٧٣)، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ط١، القاهرة: دار المعارف، ص١١٨.

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٢، ص ٢٧٠ .

[٣] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ٤، ص ٣٢٦ .

[٤] ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص١٢٣ .

[٥] الحلوجي، عبد الستار، (١٩٦٧)، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري. مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثالث عشر (ج٢): ص ٢٩٧.

[٦] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ١٤، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحمد بن أبي دؤاد فأعطاه أيضا خمسة آلاف دينار" [١]، ويبدو من هذه الروايات أن العادة عند العلماء كانت تأليف المصنفات وإهداءها إلى رجال الدولة ليتقربوا منهم وينالوا الرواتب والهدايا.

وأشعلت هذه المظاهر اهتمام الخلفاء ورجال الدولة في نفوس الشباب والناس محبة العلم والعكوف عليه، وجعلت الرواة والعلماء يتسابقون في الحفظ والجمع والتدوين، من أجل الشهرة والغنى والثراء، وكان لهذا أثر كبير في شحذ الهمم للبحث والتحصيل والتأليف، فجُمع بذلك كثير من الشعر الجاهلي بروايته المختلفة، وفُسر كل ما جاء به من غريب، ودُرّس في حلقات الدرس، وحُفظ في مكتبات الدولة .

٣- حلقات العلم والمجالس الأدبية.

ازدهرت المجالس الأدبية وحلقات العلم في منتصف القرن الثاني الهجري، فتنوعت وكثرت بكثرة العلماء وتنوع علومهم، فهناك حلقات متخصصة لعلم واحد كالتفسير، أو الحديث، أو اللغة، أو النحو، أو الصرف، أو السيرة، أو التاريخ، أو التراجم. وهناك حلقات متنوعة تجمع علمين أو أكثر من هذه العلوم السابقة، وكان المسجد مقرا لها.

انتشر حب العلم في ذلك الوقت، فحرص التلاميذ على أن يلتحقوا بحلقات العلماء الثقات، فكل عالم ذاع صيته، وتميّز علمه وثقافته، وانفرد بحفظه لعلوم لم يحفظها غيره، تكتظ حلقته بالطلاب، مثل: أبي عمرو بن العلاء والأصمعي، وأبي عبيدة، وغيرهم .

وأسهمت هذه الحلقات وما دار فيها من تبادل للعلوم في ظهور الشروح الشعرية. ولكي نعي ذلك لا بد مِنَ التّعرف إلى طريقة أخذ العلم في هذه الحلقات ؟

يقول ناصر الدين الأسد في مصادر الشعر الجاهلي: " كان العالم الحق الجدير بالثقة هو العالم الذي يتصل بالعلماء من ذوي السن، فيحضر مجالسهم ويلازمهم ويستمع إليهم ويأخذ عنهم. والكتاب في كل ذلك أو في أكثره هو الوسيلة أو الأداة: يقرأ على شيخه، أو يستمع إلى بعض من يقرأ. وقد تكون في يده نسخة أخرى من الكتاب يتابع قراءة القارئ، والشيخ يستمع ويصحح الخطأ، ويشرح الغامض، ويذكر من وجوه الخلاف ما بلغ إليه علمه، ويتحدث عما حول النص من جو تاريخي، وقد يقوده اللفظ أو الخبر إلى لفظ في بيت آخر، أو إلى خبر في حادثة أخرى، فيستطرد، ثم يعود إلى موضعه الأصيل" [٢].

---

[١] ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ص ١٢٠ .

[٢] الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص١٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونستطيع من الفقرة السابقة أن نستخلص المراحل التي مرت بها عملية تأليف الشروح الشعرية في حلقات العلم، فلا بد للمتعلم أولا مِنْ أن يحصل على نسخة للمادة الشعرية التي يريد شرحها، إما أن يحصل عليها من " الوراقين الذين كانوا يسعون إلى الرواة ويحصلون على ما يمكن أن نسميه حقوق النشر" [1]، أو أنه يقصد حلقات الرواة نفسها ويكتب رواياتهم للنص الشعري، وبذلك يكون الشارح قد امتلك نسخة من القصائد التي يريد شرحها.

ويوثق الشارح بعد ذلك رواية هذه الأبيات، وتكون هي الرواية الأصلية التي اعتمد عليها في شرحه، ومن ثم يتردد على حلقات الرواة الأخرى أو على تلاميذهم، فيقرأ هذه الأبيات عليهم أو يسمعها منهم، ويسجل اختلاف الرواية في مواضعه، ويرجع كل اختلاف إلى قائله، وبذلك يكون قد حقق ووثق رواية المادة الشعرية.

وينتقل الشارح بعد ذلك إلى حلقات العلماء المتخصصين، ليقيد تعليقهم على المادة الشعرية، فإن أراد بحث الغريب في الشعر قصد حلقات اللغويين، وإن أراد الإعراب قصد حلقات النحويين، وإن أراد الأخبار والنسب قصد حلقات الإخباريين والنسابة، فما عليه سوى أن يسمع لهم أو يقرأ عليهم، ويسجل كل تعليق وملاحظة عند كل بيت شعري، ويضيف أي استطراد وشاهد عليه، ويحرص على أن ينسب كل رأي لقائله.

ويتحقق التلميذ بعد ذلك من هذه الملاحظات، فيسمع رأي عالم آخر فيها، ويوثق هذا الاختلاف في الرأي، وقد يجري عملية مقارنة بين هذه الآراء، فيرفض أحدهما أو يميل إليه ببرهان ودليل، ويقيد هذا في نسخته الأصلية.

ولا أعني بهذا التحليل أن تأليف الشروح كان غير مقصود لذاته، بل العكس صحيح، فالتلميذ هدفه أصلا تأليف الشرح على مادته التي اختارها، ولكن ما دفعه إلى اتباع هذه الطريقة هو أن مصادر المعرفة والعلم في ذلك الوقت كانت تتم بالنقل من الكتب وهي غير محمودة، أو بالسماع من الرواة والعلماء، فهم من نقلوا العلوم من أفواه أهلها بالرواية، ومن ثم قعدوها.

ولكي ندعم هذا التحليل ونقويه أكثر، سيورد الباحث سندا لشرح ديوان شعري، يفصل في رجاله وكيفية أخذهم ونقلهم الشرح، وهذا السند لشرح ديوان المفضليات لأبي محمد القاسم ابن محمد بن بشار الأنباري (ت٣٠٤هـ)، وقد كان السند على لسان ابنه محمد: " قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، أملى علينا عامر بن عمران أبو عكرمة الضبيّ هذه القصائد

---

[1] الحلوجي، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص٣٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختارة المنسوبة إلى المفضل بن محمد الضبي إملاء مجلسا مجلسا من أولها إلى آخرها، وذكر أنه أخذها عن أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، وذكر أنه أخذها عن المفضل الضبي. قال أبو محمد: وكنت أسأل أبا عمرو بُندار الكرخيّ، وأبا بكر العبديّ، وأبا عبد الله محمد بن رستم، والطوسيّ، وغيرهم، عن الشيء بعد الشيء منها، فيزيدونني على رواية أبي عكرمة البيت والتفسير، وأنا أذكر ذلك في موضعه إن شاء الله. فلما فرغنا منها صرت إلى أبي جعفر أحمد ابن عبيد بن ناصح، فقرأتها عليه من أولها إلى آخرها شعرها وغريبها، فأنكر على أبي عكرمة أشياء أنا مبينها في مواضعها، ومسند إلى أبي جعفر ما فسر وروى في موضعه إن شاء الله" [1].

يتبين من الإسناد أن ابن الأنباري حصل على المادة الشعرية (المفضليات) برواية متواترة عن صاحبها (المفضّل الضبي)، التي نقلها عنه تلميذه (أبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي)، فأملاها على (أبي عكرمة الضبيّ)، الذي أملاها أخيرا على ابن الأنباري، وبهذا أصبح يملك نسخة خطية منْ ديوان المفضليات .

أخذ ابن الأنباري بعد ذلك يُحقق القصائد التي كانت في نسخته ويوثقها، ثم أخذ يتردد على حلقات بعض العلماء من تلاميذ رواة الجيل الثاني، (الكرخي، والعبديّ، والطوسي، وابن رُستم، وغيرهم)، فقوّموا رواية (أبي عكرمة الضبّي)، وأشاروا إلى المواضع التي اختلفت فيها الرواية، وأضافوا إليها بعض شروح الأبيات وتفسير غريبها، ونسب كل هذا لأصحابه في مواضعه.

فلما انتهى ابن الأنباري من ذلك، قصد حلقة (أبي جعفر بن ناصح) أحد تلامذة الأصمعي، فقرأ عليه كتابه كاملا، ولم يخل الشرح من الانتقادات، فدوّن كل ما فسّره وصحّحه في موضعه متحريا الدقة في الإسناد. ويكون ابن الأنباري بهذا قد ألف شرحا لديوان المفضليات احتوى على روايات عدة، وشروح وتفسيرات متنوعة.

ويتبين من ذلك أن المجالس الأدبية وحلقات العلم منَ العوامل الرئيسة التي ساعدت في ظهور الشروح الشعرية .

---

[1] الأنباري، شرح ديوان المفضليات، م١، ص ١٩-٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: مجالات الشروح الشعرية واتجاهاتها

خضع اختيار الشارح للمادة الشعرية لمعايير عدّة، منها ما هو شخصي مرتبط بالشارح، ومنها ما يتصل بالشعر وما دار حوله من جدل، ولو لم يلتزم الشارح بهذه المعايير لوجدتَ أعماله شملت كل ما دوّن من التراث الشعري.

وحرص الشراح على اختيار المادة التي لها أثر وهوى في نفوسهم. فمن الشعر ما يطرب له السامع، فيشدّ انتباهه ويستحوذ على قلبه ووجدانه، ويختلف هذا الشعور من شخص إلى آخر؛ لأنه يخضع للذوق الفني، والذوق هو "فطرة وموهبة كامنة تعين على الإحساس بمواطن الجمال في القول، وبواعث الحس فيه، والتمييز بين قول وقول، ومنزلة من منزلة " [١]، فهناك من الأبيات ما فيها من الصور والأساليب والتعابير التي تستهويك بمجرد سماعها، بينما تمر على الآخرين مرور الكرام غير مخلفة أي أثر في نفوسهم.

ومن الشراح من أحب الشعر من حب الشاعر، فراح يفسر معانيه انطلاقا من هذا الحب، و بعضهم بدا وكأنه محامٍ له، فتراه ولج في ميدان الشرح بنيّة الدفاع عن هذا الشاعر الذي هُضم حقه، فجاء ليرد عليه حقه [٢] .

أما المعيار الحقيقي الذي يتعلق بالشعر؛ لدى الشارح فقد اتجه إلى اختيار الشعر ذي القيمة الفنية، والمليء بالقضايا اللغوية والنحوية والتاريخية، بحيث "يمنح الشارح فرصة العمل لإبراز اليد الطّولى في الأدب واللغة " [٣]. كما حرص على أن يكون هذا الشعر مما كثر فيه الخروج عن المألوف، فدار حوله الجدل والخلاف، حتى يبيّن رأيه ومذهبه في الأمور الخلافية بين علماء عصره.

ودارت مجالات الشروح الشعرية حول أربعة أنماط، هي: المختارات الشعرية، والدواوين، والقصائد المطولة، وبعض الأبيات المتفرقة في كتب التراث.

وحظيت المختارات الشعرية باهتمام بالغ؛ لأنها من عيون الشعر القديم وخضعت لعمليات تنقية وتصفية على يد نخبة من العلماء مراعين فيها الدقة والحس والجمال، ومن هذه

---

[١] درويش، محمد طاهر، (١٩٧٩)، في النقد الأدبي عند العرب، ط١، مصر: دار المعارف، ص٥ .

[٢] تحريشي، محمد، (١٩٨٩)، النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سوريا، ص ٦٧.

[٣] المصدر نفسه، ص٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المختارات وشروحها:(شرح السبع الطوال لابن كيسان، وشرح المفضّليات لأبي محمد الأنباري، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي) .

وبلغت الدواوين الشعرية مركزا متقدما لدى الشرّاح؛ لما لها من دور فاعل في خدمة اللغة والتاريخ، فضلا عن أهميتها في توضيح معالم حياة الشاعر، وما يستخدم من صور بليغة وأساليب متينة وألفاظ وتعبيرات جزلة، مثل: شرح ثعلب على ديوان زهير، وشرح ديوان النابغة لابن السكيت، وغيرهم. أما ديوان القبيلة؛ فيبيّن بيئتها، ومآثرها ومفاخرها، وعهودها ومواثيقها، ولم يصل إلينا من هذه الدواوين إلا ديوان هذيل، الذي عُنِيَ بشرحه أبو سعيد السكري.

واهتم الشراح بالقصائد المطولة، لأنها تحظى بقيمة تاريخية وعلمية، إضافة إلى أن أصحابها اكتسبوا الشهرة والتميز في ميدان الشعر، كلامية الشنفرى التي تعد من أروع الأمثلة في وصف البيئة الصحراوية، وتصوير نفسية الإنسان الجاهلي. وكذلك قصيدة البردة لكعب ابن زهير التي امتدح فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم ، فألقى الضوء على علاقة الإسلام بالشعر، فكان لهاتين القصيدتين أثر كبير في نفوس الشراح، منْ بينهم: المبرد، وابن دريد [1].

أما الأبيات الشعرية المتفرقة في كتب التراث، فقد لقيت اهتماما جيّدا بقدر ما كانت تخدم علوم اللغة والأدب؛ إذ استخدمها المؤلفون شواهد يقتبسون منها قواعدهم، أو عيّنات يبرهنون بها على صحة علومهم، فانصب جهدهم على ذكر البيت، وتوضيح موضع الشاهد وتفسير بعض غريبه، كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وغيرهم في مؤلفاتهم، ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى الشراح المتخصصين، فقاموا بجمع هذه الشواهد الشعرية، وتأليف الشروح عليها.

وبعد أن انتهينا من الحديث عن مجال الشروح الشعرية، ننتقل للحديث عن مناهج الشراح. فالمنهج كما عرفه الصبّاغ: " هو الخطة التي يسير عمل المؤلف وفقها ليسجل ما انتهى إليه علمه من نتائج " [2]، فكل ما يتبعه الشارح من خطوات سواء كانت شكلية أو علمية، وكل ما يتوصل إليه من نتائج يدخل ضمن إطار المنهج.

ولدراسة هذا المنهج الذي كان يسلكه الشارح ويسير وفقه، لا بد من تقسيمه إلى ركنين أساسيين، الركن الأول: الطريقة، نعني بها مسلكه في تناول القصائد، وكيفية عرضه لشرحها. والركن الثاني: الاتجاه، ونقصد به الاتجاه العلمي الذي كان يقصده الشارح حين يتصدى لشرح الشعر .

---

[1] بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج١، ص ١٠٧ ، ١٥٨ .

[2] الصباغ، المناهج والأطر التأليفية في تراثنا، ص٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلك الشارح في عرضه لشرح القصائد طريقتين متباينتين، الطريقة الأولى هي أن يُورد النص الشعري كاملا، ثم يذكر في نهايته كل الشروح والتعليقات التي يريد ذكرها على الأبيات، وهذه الطريقة كانت قديمة في أول عصور التأليف، وجاءت متأثرة بطريقة تفسير القرآن؛ " حيث تتلى الآيات أولا، ولا يجوز أن يقطع السياق الكريم إلا بعد أن يتم المعنى، ومن ثم يأتي التفسير"[١]، وقد اتبع أبو زيد الأنصاري هذه الطريقة في نوادره، فكان يُورد المقطوعات الشعرية بعد التعريف بقائلها، ثم يؤخّر الشرح إلى ما بعد الأبيات.

وقد تكون هذه الطريقة علمية وحسنة إذا كانت الأبيات المشروحة مقطعات قصيرة يمكن تذكر ملامحها. أما إذا كانت القصائد المشروحة طويلة، فإن سلبيات هذه الطريقة تبدو جلية، فلن يُعطيَ الشارحُ كل بيت حقه من التفسير، بحيث ينسى تفسير بعض الأبيات أو يتجاهلها، أو لا يلتزم بترتيب الأبيات في أثناء الشرح. كما أن هذه الطريقة تحتاج جهدا كبيرا، إذ " تتطلب من السامع حفظ الأبيات المفسّرة كلها، ومن القارئ الرجوع إلى الأبيات مرارا، ليتم استيعاب المعاني، وهذا أمر يعسر تحقيقه على الشادين الضليعين " [٢].

والطريقة الثانية وهي الشائعة، أن تُشرح القصيدة بيتا بيتا؛ أي أن يعقب الشرح كل بيت شعري، فيأتي بعده برواياته وشرحه وتفسيره، وتنسب هذه الطريقة للأخفش، ولكن اختلف في تحديده إن كان الأخفش الأكبر(ت ١٧٧ هـ) أم الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، فالسيوطي ينسبها للأخفش الأكبر [٣]، بينما ينسبها أبو العباس ثعلب للأخفش الأوسط [٤]، وقد وقف فخر الدين قباوة على هذه القضية، فقدّم الحجج والبراهين التي ترجح رواية ثعلب [٥]، فتكون بذلك بداية ظهور هذه الطريقة في أوائل القرن الثاني الهجري .

ويبدو أن هذه الطريقة لاقت استحسانا كبيرا عند كثير من الشراح، فهي الطريقة الشائعة في أغلب الشروح الشعرية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى اقتناع الشراح بوحدة البيت، لأن القصيدة الجيدة في نظرهم تكون أبياتها قائمة بذاتها تركيبا ومعنى، إضافة إلى مراعاتهم الذوق

---

[١] الشطي، سليمان علي حسن، (١٩٧٨)، شروح المعلقات ، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر، ص٥٤ .

[٢] قباوة، فخر الدين، (١٩٧٥)، رواد شرح الشعر. مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق، م٥٠ (ج٣): ص٦٢٧.

[٣] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج٢، ص ٤٠٠ .

[٤] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٧٦ .

[٥] قباوة، رواد شرح الشعر، ص ٦٢٨-٦٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبي السائد؛ فقد شغف جمهور المتعلمين بهذه الطريقة، وهو الجمهور المعني بهذه الشروح. ويوضح التبريزي هذا في مقدمته لشرح الحماسة، قائلا: " فرأيت أكثر من يقرأ عليّ هذا الكتاب (المتعلمين) يرغب في شرح كل بيت بعده " [١].

أما الركن الثاني من منهج الشراح؛ فهو الذي يُعنى بالاتجاهات العلمية التي يقصدها الشارح في شرح الشعر، وقد تنوعت هذه الاتجاهات بتنوع ثقافة الشارح وميوله، فأوائل الشراح كانوا من العلماء، وتخصص بعضهم في علم محدد، بينما تنوعت ثقافة أغلبهم لتشمل عددا من العلوم، فانعكست هذه العلوم على الشروح؛ مما أدى إلى تنوّع الاتجاهات، وكأنها "متون من اللغة أو النحو أو التاريخ أو النقد، يصل بين أجزائها أبيات من الشعر، وكثيرا ما تطاولت متون الشرح هذه على الأشعار فطغت عليها " [٢]. ويؤكد الجاحظ هذا التنوع في اتجاهات الشروح قائلا: " طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتّاب " [٣]. ومن هذه الاتجاهات الشائعة في الشروح:

الاتجاه التاريخي :

من مظاهر هذا الاتجاه في الشروح الشعرية، التعريف بالشعراء أصحاب القصائد، وبالأعلام والقبائل والأماكن التي يرد ذكرها في القصائد، والحديث عن مناسبات القصائد، وتفسير أي أحداث تاريخية ترد فيها، ثم التحقق من الرواية الأصلية لهذه القصائد. فالنص الشعري تدور حوله على الأغلب جملة من الأحداث والوقائع، أو قد يتأثر ببعض العوامل التي تخل بأجزائه، فإذا لم يبسطها الشارح للمتلقي؛ فإنه سيواجه صعوبة في توجيه فهم الشعر.

يقوم الشارح عند التعريف بالشعراء بذكر نسب الشاعر كاملا، وذكر أقوال العلماء في هذا النسب إلى أن يصل إلى مرجعه، ويحرص على توضيح ما يتخلل هذا النسب من ألقاب وكيف تكونت هذه الألقاب، بل قد يتعدى الأمر به إلى أن يبحث في الأصول اللغوية لاسم

---

[١] الخطيب التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ص ٦ .

[٢] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ٩١ .

[٣] القيرواني، ابن رشيق، (ت ٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ط١، ج٢، (تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٤، ص١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر ليعرّف بمدلولاتها اللغوية والمعنوية. كما يتناول التعريف بالأعلام ويعرف المشهور والمغمور منها، ويبين علاقتها بالشاعر، وكذلك يفعل مع القبائل والأماكن.

وينتقل الشارح بعد ذلك إلى الحديث عن مناسبة القصائد قبل أن يتعرض للشرح، لأن معرفة المناسبة التي قيلت فيها القصيدة تقدم " دورا كبيرا في معرفة الجو العام لهذه القصيدة، بل هي بمنزلة معرفة نصف ما يدور فيها من معانٍ غامضة " [1]، فتغني بذلك عن تفسير كثير من ألفاظ الشعر .

وأخيرا يذكر الشارح بتفصيل أو بإشارات موجزة كل الأخبار والأحداث التاريخية التي ترد في الشعر في أثناء عرضه لشرح القصيدة، وكأنه بهذا العمل يفرش للقصيدة بساط التسهيل، بحيث يضع الجمهور في تصور عام حول مضمون هذا الشعر، فتسهل عليه عملية الشرح، وعلى المتلقي الفهم .

ومن الشروح التي ظهر فيها هذا الاتجاه بوضوح، شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، وشرح المفضليات لأبي محمد الأنباري، فقد اشتمل الأول على حشد هائل لأيام العرب وأحداثها وأنسابها وأعلامها، واشمل الشرح الثاني على جمهرة ضخمة من الأخبار والأنساب، بصورة كادت تطغى على تفسير الغريب وإيضاح المعنى .

الاتجاه اللغوي :

كان الشراح في هذا الاتجاه يؤمنون بقضية اللفظ والمعنى، وأن لغة الشعر تحتوي على معنى حقيقي وآخر مجازي، لذلك انقسم حديثهم في شرح البيت الشعري إلى قسمين: قسم يهتم بالمفردات وشرح كل ما ينتابها من تطور وتغير، وقسم آخر يهتم بالمعنى العام للبيت يذكر فيه المعنى الحقيقي والمعنى المجازي إن وُجد. وقد اتجه الشراح لمعالجة هذه المظاهر بسبب التطور الذي واكب اللغة بعد انتشار الإسلام، وتضخم عدد الأعاجم في المجتمع الإسلامي، وانصراف الناس عن حياة البداوة ومتطلباتها؛ لذا كان حضور هذا الاتجاه أو بعض مظاهره ضروريا في كل الشروح .

وسعى الشارح في هذا الاتجاه إلى تفسير غريب اللغة بإسهاب، ويعتمد في ذلك على آراء علماء اللغة والشعر، ويبحث في قضايا اللغة وفقهها، كالتطور الدلالي للفظ، والمشترك اللفظي، والترادف، والأضداد، وتغير اللهجات، وضبط الكلمات، والدخيل والمعرّب، والمستعمل

---

[1] تحريشي، النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمهمل، والخاص والعام من الألفاظ ....، وغيرها مما يخص المفردة. ومن ثم ينتقل ليشرح معاني الصور الشعرية التي يصعب على القارئ فهمها، فأحيانا يشرح شطر البيت، وأحيانا أخرى يسوق المعنى العام للبيت، ويستشهد عليه مِنَ القرآن الكريم أو مِنَ الشعر.

ومن الشروح التي انتشر فيها شرح الغريب بكثرة، شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى لأبي العباس ثعلب، وشرح ديوان النابغة الذبياني لابن السكيت .

الاتجاه النحوي :

يشمل هذا الاتجاه علمي النحو و الصرف باعتبارهما علمين مكمّلين لبعضهما، ولكن الصرف يبدو أنه كان أكثر ظهورا في الشروح الشعرية، فعمل الشارح على تناول مسائله بالتيسير والإسهاب مدعومة بالتقعيد والتمثيل.

كان هذا الاتجاه في بدايته لكشف المعاني وتفسير بعض العبارات، ويقدم الشارح فيه الإعراب وبعض الإيضاحات التي تزيل اللبس وتسهل فهم المعنى، لذلك تجده في الشروح الأولى محدودا عابرا لا يظهر إلا في مواطن متفرقة، ولكن بعد أن اشتغل علماء النحو في الشروح الشعرية، واستعانوا بثقافتهم التي استقوها من شيوخهم، أظهروا براعتهم وجندوا مهارتهم في معالجة القضايا الخلافية، فأصبحت الشروح "وسيلة لاجتلاب الآراء والمذاهب وعرض الأقوال والأحكام " [1].

ومن مظاهر هذا الاتجاه أن يستعرض الشارح بعض مسائل النحو والإعراب والصرف، ويحرص في اختياره لها أن تكون مسائل دقيقة فيها إشكال أو غير شائعة في الاستعمال، ثم يبدأ بعرضها فيفند أقواله فيها، ويستشهد على مقولاته بآراء علماء النحو من بصريين وكوفيين مرجحا هؤلاء حينا وهؤلاء حينا آخر، وفقا لقناعاته أو للمدرسة التي يميل إليها، أو أنه يبقى على الحياد تاركا أمر الترجيح للمتلقي .

ولقد ظهر هذا الاتجاه النحوي بوضوح عند المبرد، عندما شرح القصائد في كتابه (الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف)، وظهر عند أبي بكر بن الأنباري في كتابه (شرح القصائد السبع الطوال) .

---

[1] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه النقدي والبلاغي

اعتمد أصحاب هذا الاتجاه في البداية على الذوق الفني للشارح، فبدأ يظهر على شكل أحكام نقدية يطلقها الشارح من خلال تأثره بالبيت الشعري، وتكون هذه الأحكام إما في شكل إعجاب به أو إنكار له. وقد تناول الشراح هذا النقد لما له من دور في عملية توضيح المعنى، خاصة إذا كان النقد حول العناصر البلاغية .

ساعدت حركة التأليف في علم النقد على الارتقاء بهذا الاتجاه، وكانت هذه الحركة تواكب الشروح الشعرية، فنهضت بها من البدايات إلى مرحلة النضوج؛ لأن هذه الحركة " خلّفت مؤلفات كثيرة زودت شراح الأشعار بمادة غنية من النقد. فابن سلام، وابن قتـيبة، وابن المعتز، يعرضون في مصنفاتهم النقدية لكثير من أشعار القدماء والمحدثين بمقاييسهم، فيبدون جودة ما يستحسنون، ورداءة ما يستهجنون " [1]، فاستعان الشراح بالأساليب النقدية لهؤلاء العلماء، وأخذوا هذه المقاييس ليصدروا بها الأحكام على الأشعار في الشرح .

وتنوعت مظاهر الاتجاه النقدي والبلاغي ، فمنها ما يتصل بنقد الشعر، ومنها ما يدور حول نقد الشراح السابقين. ومن مظاهر نقد الشعر تتبع الشعراء في مواطن الخطأ والصواب، ومواطن الجودة والإصابة، والموازنة بين الأشعار لمعرفة الجيد من الرديء، والتمييز بين السرقة والأخذ والصدق والكذب، وتوضيح وجوه البيان في الشعر كالتشبيه والاستعارة والكناية، وتحديد ما في الكلام من حذف وتقديم وتأخير وتكرار. أما ما يدور حول نقد الشراح؛ فيتمثل في إدراك أخطائهم، أو إكمال نواقصهم، أو الرد على أقوالهم، أو معارضة مذاهبهم. وقد ظهر هذا الاتجاه بشكل واضح عند ابن المعتز في كتاب (البديع)، وعند المبرد أيضا في كتاب (الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف) .

وفي نهاية حديثنا عن مجالات الشروح واتجاهاتها، يتبين للباحث أن الشارح فيها كان يسير وفق خطة منظمة أخرجت الشروح على نحو منهجي، فعملية اختيار المادة الشعرية خضعت لمعايير مختلفة حرصت على اختيار الجيد والمفيد من الشعر، وطريقة عرض الشرح كانت تلائم الذوق الأدبي السائد في العصر؛ لتحظى بإعجاب الجمهور. أما الاتجاهات والعلوم التي سار وفقها الشارح في شرح الشعر، فجاءت متنوعة مواكبة لعلوم العصر وثقافة الخلاف .

---

[1] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص١٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه التاريخي عند ابن كيسان وابن الأنباري

بدأ الاتجاه التاريخي واضحا في شرح السبع الطوال، واستعان به ابن كيسان وابن الأنباري للكشف عن مقاصد الشعراء، وعن المعنى العام للأبيات الشعرية. ويتمثل هذا الاتجاه في جانبين: أولهما الجانب التاريخي، والثاني: الرواية الشعرية، فقد كان لهما دور بارز في عملية الشرح؛ إذ ساعدا الشراح في خدمة متلقي هذا الشعر الجاهلي وإيصال المعنى له. وبناء عليه فسيكون هذا الفصل قائما على دراستهما، ومعرفة دورهما في صقل المعنى، والمنهج الذي اتبعه كل من ابن كيسان وابن الأنباري في عرضهما.

المبحث الأول: الجانب التاريخي.

يُحاط النص الشعري بسلسلة من العوامل التي تساعد في نشأته، فقريحة الشاعر لا تتفجر بالمعاني إلا بسبب بعض المشاعر والأحداث والوقائع التي تحيط به أو يمرّ بها، وعادة الشعراء تصوير هذه الأحداث على نحو كلام منظوم، ومقفى، ويكون تجسيدا لهذه الأحداث.

ومن اللافت للنظر حرص العرب في الجاهلية على تسجيل واقعهم بتصوير الحروب والأيام، وتسجيل الأخبار والمناقب والمآثر، كالفخر بالانتصارات وبالآباء والأجداد، والتغني بالعشق والمغامرات، ومدح السادة والملوك والأبطال أو رثائهم، وكانت الغاية من ذلك تخليد هذه الشخصيات والأحداث، ولم تكن لهم وسيلة في تحقيق أهدافهم سوى الشعر. يقول الجاحظ: " كل أمة تعتمد في استيفاء وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها "[١]، وجاء ابن قتيبة يؤكد أن ما قامت به العرب، كان لحفظ تاريخها ومآثرها من الضياع، فيكون الشعر شاهدا واضحا، وحجة قاطعة عليه، فقال: " الشعر معدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والسور المضروب حول مآثرها، والخندق المحجوز حول مفاخرها، والشاهد العدل على يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام"[٢] .

---

[١] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، الحيوان، ج١، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ص٧١ ، ٧٢ .

[٢] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص١٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان الديوان الذي خلّده العرب يحوي القصص التاريخية والأنساب والأماكن التي تعد جزءا من أدبهم، وذات دلالة كبيرة على عقليتهم وحياتهم. لتمثل الجانب التاريخي في الديوان، لذلك اهتم الشراح بها، وأدركوا أنها من العناصر الأساسية المهمة التي تكشف غوامض النص. ففي بعض الأحيان يحتوي البيت الشعري على كلمات غريبة، ومع هذا يكون غامض المعنى، ولا يُكشف عن هذا المعنى إلا بشرح إخباري، قد لا يتعدى حد الإشارة إلى الأحداث التي أشار إليها الشاعر، وهُويات الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الأبيات وعلاقتهم بالشاعر، وتحديد الأماكن التي دارت فيها هذه الأحداث؛ لذلك كان على شارح الشعر أن يلمّ بالأخبار والأنساب والبيئة الجغرافية التي تخص الشاعر حتى تكتمل عملية الشرح على أكمل وجه.

الاتجاه التاريخي عند ابن كيسان :

نلحظ من خلال استقراء ما تبقى من شرح السبع الطوال لابن كيسان اهتمامه بتوضيح الجانب التاريخي، وتمثل هذا الجانب بعناصر أساسية يكمّل كل منها الأخر، وقد تُرجمت بأشكال متنوعة، منها: التعريف بنسب الشاعر، والتعريف بالأعلام والقبائل الوارد ذكرهما في ثنايا الشعر، والتعريف بالأماكن، وأخيرا توضيح ما يتضمنه الشعر من أحداث. وسيعرض الباحث كل شكل من هذه الأشكال مستقلا، ويوضح كيف تناوله ابن كيسان.

أولا: التعريف بنسب الشاعر.

حرص ابن كيسان على التعريف بنسب الشاعر، وجعله أول اهتماماته في الشرح؛ لما له من دور مهم في خدمة المعنى، فهو بمنزلة العتبة للنص، والتمهيد لكشف خفايا المعاني فيه، وفائدته تتجلى في معرفة القبيلة التي ينتمي إليها الشاعر وأبناء عمومته وقرابته مع القبائل الأخرى، والأحلاف والمواثيق التي تلتزم بها قبيلته، وعلاقته بالشخصيات الحاضرة في الأبيات، والأماكن التي يرد ذكرها في النص إن كانت مراعيَ أو مواضع تتنقل فيها قبيلة الشاعر، أو مواضع بعض أحداث القصيدة؛ بهدف الإفادة في فهم الأبيات.

وعطفا على ما سبق واظب ابن كيسان على استهلال شرحه للقصائد بذكر نسب شاعرها، فاستهل شرحه لقصيدة عمرو بن كلثوم بتعريف نسبه، قائلا: " قال عَمرو بنُ كُلثوم ابن مالك ابن عتّاب ابن سعد بن زُهَير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن وائـــل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسَد بن ربيعة بن نِزال بن معدّ ابن عَدْنان بن أُددَ بن الهَمَيسَع بن نَبْت " [١] .

أما إذا كان نسب الشاعر يدور حوله بعض الخلاف في الأسماء وترتيبها أو زيادتها ونقصانها، فأمانته العلمية التي تحلى بها أجبرته أن يورد الروايات الأخرى وينسبها لمصدرها حتى يبرئ ذمته، ويخرج نفسه من المسؤولية، فيجعل الخيار والتحكيم للمتلقي ليعتمد الرواية التي يرتضيها. وورد مثل هذا الخلاف حول نسب امرئ القيس، فقد رفعه ابن كيسان إلى أن وصل به إلى سيدنا نوح عليه السلام، قائلا: " امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو ابن حُجْر الأكبر بن عمر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كِنْدة وهو ثَوْر بن مُرَتّع بن عُفَيْر ابن الحارث بن مُرّة بن عَدِيّ بن أُدَد بن زيد بن عمرو بن الهُمَيْسع بن عريب بن عمر بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بر أرفخْشَذ بن سام ابن نوح عليه السلام " [٢]، ثم وثّق هذه الرواية فحدد مصدرها بقوله: " هكذا رواية الطُّوسيّ "[٣].

وبعد أن ذكر ابن كيسان رواية الطوسي، جاء برواية أخرى للنسب مصدرها " بُندار "، وقد اختلفت عن سابقتها بسقوط بعض أسماء الأجداد، فلم يكمل النسب كما فعل في الرواية الأولى، بل اكتفى بذكر موضع الخلاف، فقال: " وفي رواية بُندار: هو امرؤ القيس بن حُجْر ابن الحارث الملك بن عمر بن معاوية بن ثور بن مُرَتّع، وهو عمر بن معاوية بن ثَوْر، وهو كِنْدة بن عُفَيْر بن عَدِي بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد " [٤].

ويكون ابن كيسان بذكره الروايتين قد حدّد موضع الخلاف حول النسب، وأضاف إليه بعض التوضيحات التي قد تفيد فيه، فزاد بعض الألقاب، وكشف عن أصل بعضها، وتعدى به الأمر إلى معرفة سبب التسمية بالألقاب وشهرتها، فقد حدد أول الملوك في قبيلة كندة، بقوله: "الحارث الملك " [٥]، وكشف عن حقيقة اسم كندة، قائلا: " الحارث بن معاوية بن كِنْدة وهو ثَوْر بن مُرَتّع " [٦]. وعلّل التسمية بهذا الاسم بقوله: " إنما سُمّي ثَوْر بن عُفَيْر كِنْدة، لأنه كَنَد أباه؛ أي

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٤١ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٤٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٣.

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٣ .

[٥] المصدر نفسه، ص٤٣.

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٢٠٠٦٤

كَفَره " [١]، ولعله أضاف هذه الملاحظات خشية أن ترد في الأبيات على حقيقتها فلا يتعرف إليها متلقي الشعر. وكان أحيانا يذكر اسم أم القبيلة التي ينتمي لها الشاعر ليعرف أخواله، فمن عادة الشعراء الفخر بأخوالهم. يقول ابن كيسان في نسب امرئ القيس: " وأمّ مُرَّة مُدِلَّة، وهي مَذْحِج"[٢]، وتجاوز به الأمر إلى معرفة السبب في تسميتها بهذا الاسم، بقوله: "وإنما سمّيت مَذْحِج لأنها وُلِدَت على أكَمة يقال لها مَذْحِج " [٣].

ثانيا: التعريف بالأعلام والقبائل الواردة في ثنايا الشعر

ذكر أصحاب السبع الطوال في أشعارهم أسماء كثيرة لبعض الشخصيات والقبائل، وعدم التعرف إلى هوية هذه الأسماء وعلاقتها بالشاعر، أو حتى سبب حضورها في الشعر، سوف يعيق المعنى ويقيّده. ولما كان الهدف الرئيس للشراح هو الكشف عن المعاني، أدركوا الالتزام بتعريف هذه الشخصيات والقبائل الوارده في الشعر أو الإشارة إليها.

والتزم ابن كيسان بمنهج التعريف بالأعلام في شرحه، فراح يكشف عن هوية الأعلام في الشعر، وقد عرّف الأعلام المشهورة تاريخيا بإيجاز، وكان يرى أن إسهابه في تعريفهم ليس له جدوى؛ لذا تجده يشير فقط إلى كنيتها أو مكانتها التي اشتهرت بها، أو يذكر الحدث الذي اكسبها هذه الشهرة على مر التاريخ، ففي بيت عمرو بن كلثوم:

١٨- أبَا هِنْـدٍ فَلاَ تَعْجَـلْ عَلَـيْنَا وَانْظِـرْنَا نُخَبِّـرْكَ الْيَـقِيـنَا [٤]

ورد ذكر (أبا هند) وهي شخصية الملك العربي المشهور بالقوة والظلم وقد عرف بهذه الكنية، فحرص ابن كيسان على أن لا يُكثر واكتفي بتعريفه: " أبو هند: عمرو بن هند الملك، وهو أبو المنذر " [٥].

وفي أبيات أخرى من المعلقة ورد أيضا أعلام مشهورة، فعرّفها كما فعل في البيت السابق، مشيرا إلى بعض ما اشتهرت به، فحين ورد اسم (مهلهل)، ترجم له بقوله: " مهلهل

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٣ .

[٣] المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٥٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن ربيعة صاحب حرب وائل أربعين سنة بدم أخيه كليب " [١]، وورد اسم (كليب)، فترجم له: " كليب بن ربيعة، قاتله جساس وعمرو " [٢]. فهو يرى أن ذكر الحدث أو اللقب الذي اشتهر به الشخص، يكون بمنزلة التعريف الكامل له.

أما إذا وردت شخصيات لها علاقة بالشاعر؛ فيكتفي بذكر صلة القرابة التي تربط بينهما أو تحديد القبيلة التي تجمعهما، ففي شرحه لبيت عمرو بن كلثوم:

٥١- وَعَـتَّابـاً وكُلـثومـا جَمِـيعاً بهم نِلْـنا تُـرَاثَ الأكْـرَمِينا [٣]

اكتفى ابن كيسان بتحديد صلة القرابة بين هذه الأسماء والشاعر، قائلا: " عَتَّابٌ: جَدُّ عمرو بن كلثوم. وكلثوم: أبو عمرو " [٤]. وقد تكررت هذه الحالة في أبيات أخرى، فلم يكن من ابن كيسان سوى تحديد القرابة أو القبيلة، فعندما فخر عمرو بوراثة المجد من (علقمة ابن سيف) قال ابن كيسان: " علقمة بن سيف، من تغلب " [٥]، وعندما خاطب طرفة بن العبد (ابنة معبد) في قصيدته، ترجم لها ابن كيسان قائلا: " خاطب ابنة أخيه " [٦]، وتحديد ابن كيسان لهذه العلاقات والقبائل يجعل من نسب الشاعر الذي استهل به الشرح وكأنه نسب لهم.

وهناك من الأسماء التي تجاهلها ابن كيسان في الشرح، فبعضها مكرور سبق تعريفه[٧]، وبعضها الآخر واضح لا يحتاج إلى تعريف، فقد فخر عمرو بن كلثوم بأحد أجداده، قائلا:

٤٢- برَأسٍ منْ بني جُشَم بن بكـر نَـدُقُّ به السُّـهُولةَ وَالحُـزُونا [٨]

فجاء الاسم معرفا (جشم بن بكر)، ومطابقا لما في نسب الشاعر، فتجاهل ابن كيسان تناوله، واحتسبه غنيا عن التعريف.

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٨٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٩٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٨٨ .

[٦] ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن احمد، (ت ٢٩٩هـ)، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ط١، (تحقيق:محمد حسين آل ياسين)، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩، ص ٥٢ .

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ١١٢.

[٨] المصدر نفسه، ص٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما القبائل التي ذكرها الشعراء في قصائدهم ، فاكتفى ابن كيسان بتعريفها أنها قبيلة أو حي كبير، فقد ذكر عمرو بن كلثوم بني الطماح ودُعمي في شعره قائلا:

٧٣- ألا أبْلِـغ بَنِى الطَّـمَّاح عَـنَّا وَدُعْـمِيًّا فَـكيفَ وَجَدتُمُونَـا [١]

فقال ابن كيسان: " بنو الطماح ودُعْميّ: قبيلتان من إياد " [٢]، وعندما ذكرت قضاعة في بيت آخر عرّف بأنها: " حي عظيم " [٣].

لقد حاول ابن كيسان من خلال تعريفه بالأعلام أن يضفي على شرحه سمة المتعة والتشويق، فذكر في تعريفه لبعض الأعلام أخبارا متفرقة ذات صلة بهم، كي تسلي المتلقي وتعينه على فهم المعاني التي يقصدها الشاعر. فالشعراء كانوا يستحضرون في أشعارهم أسماء خُلد ذكرها واشتهرت ببعض الأخبار، ويتخذون منها وسيلة للمدح والفخر إن كانت أخبارهم حسنة، وأداة للهجاء إن كانت أخبارهم سيئة، لذلك حاول ابن كيسان في شرحه أن يسرد هذه الأخبار، حتى يوضح المعنى الصحيح الذي قصده الشاعر.

وفي الأغلب اكتفى ابن كيسان في شرحه للأبيات التي تحوي هذه الأسماء بسرد بعض الأخبار التي تخصها، ففي بيت عمرو بن كلثوم:

٥٢- وَذَا البُـرَةِ الذي حُدِّثتَ عَنْـهُ به نُحمَى نَحـمِى المُحْجَرِيـنَا [٤]

اكتفى ابن كيسان في شرحه بالإشارة إلى خبر (ذو البرّة)، قائلا: " رجل من تغلب كان يسمى " بُرةَ القنفذ "، قال أبو العباس: كان على أُذنه شعر على إطارها. وقال بندار: كان ذو البرة رجلا من تغلب قُتِل أخوه، فخَزَمَ أنفه بحلقة حديد وآلى أن لا ينزعها أو يقتل ثأرَ أخيه وسبعة من ولد أبيه ، فوفى بنذره، ونزعها، فسُمّى ذا البرة " [٥]. ومن خلال هذا الشرح يكون قد وضح معاني العزة والأنفة التي قصد الشاعر الفخر بها .

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١٠٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٠٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٦٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٩٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٩٠ ، ٩١ . ومثال آخر: ص٤٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا: التعريف بالأماكن

أحب الشاعر الجاهلي بيئته الصحراوية، فكان يذكر في أشعاره الأماكن والمواضع والجبال التي يتجول بينها، فهي مجاله الفسيح يمارس فيها صيده وغزوه وغارته، ومسرحه الذي يصور فيه أحداثه ومغامراته؛ فأصبح شعره مليئا بهذه الأسماء وكأنه معجم جغرافي لبيئته، وسجل تاريخي لحياته .

وقارئ الشعر إن لم يعرف ماهية هذه الكلمات، ويدرك أنها أسماء لمواضع في بيئة الشاعر، سوف يصعب عليه فهم هذا الشعر وإدراك معناه، لذلك حرص ابن كيسان وهو كفيل بكشف المعنى على التعريف بهذه الأسماء، وتحديد جغرافيتها إن كانت مواضع أو جبالا أو هضابا أو مياها، ولعل حفظه للشعر الجاهلي وروايته أعانته في التعرف إلى هذه الأماكن.

لذلك كان تعريف الأماكن في شرح ابن كيسان منتشرا في مواضع متعددة، وشمل التعريف بالأراضي والبلدان، فعندما ذكر بعضها في قول امرئ القيس:

٦٩- فأضْحَى يسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيفَةٍ يَكُبُّ على الأذقان دَوْحَ الكَنَهْبَلِ [١]

٧١- وتَيْماءَ لم يَتْرُكْ بها جذْعَ نَخْلَة ولا أُطُما إلا مَشِيداً بِجَنْـدَلِ

عرّف بها ابن كيسان قائلا: " كُتَيفة : أرض" [٢] و" تَيْماء : بلد " [٣].

ويبدو أن ابن كيسان كان دقيقا في تعريفه للأماكن، وحريصا على تحديد طبيعتها، ففي الشعر وردت أسماء كثيرة، مثل: الدخول، وحومل، وضارج، والعذيب، ووجرة، فيكتفي بتعريفها بقوله: "مواضع" [٤]، وأسماء أخرى مثل: مأسل، وقطن، والستار، ويذبل، والقنان، وثبير، وطمية، وفتاق، فيعرّفها بأنها: "جبال" [٥]. وقد يتعدى به الأمر أحيانا فيصف هذه الأماكن وصفا موجزا، فيقول: " الشعبتان: أكمة لها قرنان ناتئان" [٦]، " وظبي: اسم كثيب من الرمل بعينه" [٧].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٣، ١٠٤ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٠٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٤ ، ٦٩ ، ١٠٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص١٠٧،١٠٥،١٠٤،١٠٢،٤. والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ٢، ص٥٤٤.

[٦] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص ٥٤٥ .

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا دار حول هذه الأسماء خلافات في طبيعتها، وهذا الخلاف لا يكون إلا في التضاريس المتقارب شكلها، فكان ابن كيسان يذكر أوجه هذا الخلاف ولا يرجّح شيئا منها إن كان المعنى لا يتأثر، ففي بيت طرفة بن العبد :

٧٩- فدَرَّني وخُلقي إنّني لكَ شـــاكرٌ ولو حلَّ بيتي نائياً عند ضَـرْغَدِ [١]

قال ابن كيسان: " وضرغد: جبلٌ. ويُقالُ: حرّةٌ، يُقال لها حَرَّةُ ضرغد " [٢]. وامتد الخلاف أيضا حول شكل الكلمة، ففي أسماء بعض الأماكن اختُلف في ضبط الحركات، فاضطُر ابن كيسان إلى ضبط هذه الأسماء، وذكر الآراء الأخرى حول ضبطها، ففي بيت لبيد بن ربيعة:

١٨- بمشـــارق الجبلين أو بمُحَـجّر فـتَضَمّنَتْهَا فـــردةٌ فَرُخـامـــها [٣]

قال أبو الحسن: " بمُحَجِّر: بالكسر، اسم موضع، قال: ورُوي عن الأصمعي أنه كان يفتح الجيم " [٤].

وقد كان ابن كيسان يستعين أحيانا بالشرح اللغوي في تعريفه ببعض الأماكن، فيشرح معناها اللغوي إذا كانت في غير الشعر، ثم يوضح أنها جاءت في البيت الذي يشرحه اسما لموضع في بيئة الشاعر. ويعد هذا الشرح اللغوي وصفا جغرافيا لطبيعة هذا الموضع، ففي بيت آخر للبيد :

١- عَفَتِ الدِّيَـــارُ مَحَـلُّهَا فَمُقَامـــها بِمِـنىً تَأَبَّـدَ غَولُـها فَرِجامُـــها [٥]

قال أبو الحسن: " أكثر أهل اللغة يقول: الغَول: ما انهبط من الأرض في غير هذا البيت، فأما في هذا البيتِ فإنه يعني " بغَولها ورجامها " موضعين " [٦].

---

[١] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٦ . وأمثلة أخرى: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٧. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٧٥ .

[٣] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٣٧٧.

[٤] المصدر نفسه، ج١ ، ص ٣٧٧ .

[٥] المصدر نفسه، ج١ ، ص ٣٥٩ .

[٦] المصدر نفسه، ج١ ، ص٣٦٠ . وأمثلة أخرى في: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص١٠٧،٤٦،٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا: توضيح ما يتضمنه الشعر من أحداث .

اعتمد ابن كيسان على هذا العنصر في شرحه، فمعرفة الشعر وفهمه تقتضي التعرف إلى مَا يتضمنه الشعر من أحداث، فكان يشير إلى الأحداث بشرح مختصر إلى حد ما يفي بالغرض ويكشف المعنى. يقول في شرح بيت عمرو بن كلثوم:

٥٧- ونَحنُ الحابسُونَ بِذِى أرَاطـى تَسَـفُ الجِلـَّةُ الخُـورُ الدَّريـنا [١]

" ذو أرَاطى: موضع حبسوا به إبلهم وأقاموا عليها "، ثم يزيد في المعنى العام للبيت فيوضح ما فعلوه في هذا الموضع، والسبب الذي دفعهم لهذا الأمر، " يقول: حبسنا أموالنا في السنة الشديدة القحطة، وصبرنا على ذلك لئلا نغلب على ديارنا. أو يقول: صبرنا حتى ظفرنا بأعدائنا " [٢] .

أما في مواضع أخرى؛ فكان يتسلسل في ذكر وقائع الأحداث مع التسلسل في تناول الأبيات، ويكون شرحه في كل بيت جزءا من هذه الأحداث، وفي النهاية يكتمل شرحه للحادثة في مقطوعة شعرية، فعندما فخر عمرو بن كلثوم بإحدى حروبه في جملة من الأبيات، تحدث ابن كيسان عن وقائع هذه الحرب من خلال شرحه لثلاثة أبيات من القصيدة، وهي كما يأتي: [٣]

٦٠- وكـنَّا الأيْمَـنِينَ إذَا التَقيـنَـا و كـان الأيْـسَرِينَ بَنُـو أبـيـنَا

التفسير: يصف حربا كانوا فيها، فكانوا هم وبنو أبيهم – يريد بكر بن وائل- على الميسرة، وبنو تغلب على الميمنة. ويقال: على يمين الملك ويساره في الحرب.

٦١- فَصَالوا صَـوْلَة فِيمَن يَلِيـهِمْ وَ صُـلْنَا صَـوْلَة فِيـمَنْ يَلِـينَا

التفسير: صالوا: أي وثبوا، وساوروا، من المساورة والمصاولة والمواثبة، أي: عَالوهم بأنفسهم ليقهروهم ويغلبوهم. فيمن يليهم، أي: فيمن يليهم من أعدائهم.

٦٢- فَـآبُـوا بالنِّـهابِ وَبالسَّـبَايا وَ أبْـنَا بالمُـلُوكِ مُصَـفَّدِيـنَا

التفسير: آبوا: رجعوا، أي: رجعت بكر بن وائل بالنّهاب، أي: ما انتهبوا من مال أعدائهم. وبالسبايا، أي: بالنساء اللاتى سُبين، واحدتهن سبيّة، كقولك: مطيّة ومطايا." وأبنا "،

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٦ ، ٩٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠١ . ومثال آخر: ص ١٠٩-١١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي: رجعت تغلب بالملوك، أي: قد أسرنا ملوك أعدائنا. " مصفدين ": مُغَلّلين مقيّدين في الأصفاد". وبهذا الشرح يكون حديث ابن كيسان عن الأحداث منثورا بين شرح الأبيات، فيظهر دور المتلقي في قراءة هذه الشروح لمعرفة وقائع الأحداث.

وقبل النهاية من الحديث عن الجانب التاريخي في شرح ابن كيسان يجب التنويه إلى أمرين استغنى عنهما في شرحه، أولهما: الاستغناء عن الإسناد في رواية الأنساب والأخبار، فهذه العلوم تقتضي ذكر الأسانيد ليتاح للمحقق الترجيح بين الروايات وأخذ الصحيح منها ونبذ الضعيف والسقيم. ولكن يبدو أن ابن كيسان اتبع مبدأ رواة القرن الثالث، الذين "استثقلوا طول سلاسل الإسناد، وتراءى لهم أن وظيفتهم الأساسية تعدو ذلك إلى الاهتمام بأقوال العلماء وحشد آرائهم في تفسير الشعر والحكم عليه، أما أحكام الأسانيد وضبطها؛ فقد وليا في عهد التدوين والجمع والاستقصاء الذي كان دأب السلف الأول من الرواة " [١]، أو قد يكون تأثر بأستاذه المبرد الذي اشتهر بهذا الأمر، فقد ذكره نفطويه، قائلا: " ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وأبي العباس بن الفوات " [٢].

أما الأمر الثاني؛ فهو الاستغناء عن ذكر مناسبات القصائد وهي في غاية الأهمية لفهم إشارات النص وتلمس مقاصده، ولعل ما دفعه لذلك حرصه على الالتزام بالمنهج الذي قرر اتباعه في تأليف شرحه، الذي صرح به في نهاية الشرح. وجاء في آخر مخطوطة لندن: " قال أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي رحمه الله: اختصرنا غرائب هذه القصائد السبع المشهورة ليخف على المتعلمين " [٣]. وبذلك يكون ابن كيسان قد تعمد تجاهل مناسبة القصائد حتى لا يُثقل على المتعلم، وعوضه عن ذلك بتعريف الأنساب والأعلام والأماكن والأحداث الواردة في القصائد والتي بدورها قد توضح مناسبة القصيدة.

ونخلص من العرض السابق أن الاتجاه التاريخي كان واضحا في شرح ابن كيسان استعان به، ووظف عناصره في الكشف عن المعنى وتوجيهه التوجيه الصحيح، فاستهل بنسب الشاعر قبل الدخول في الشرح، وبين ما به من خلاف، وأضاف إليه بعض التوضيحات والفوائد التي قد تساعد في عملية الفهم، ثم تناول التعريف بالأعلام والقبائل والأماكن التي وردت في

---

[١] حمروني، الطاهر، (١٩٨٥)، منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر، ط ١، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص ١١٣ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٧ ، ص ٨١ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر، فكشف عن علاقتها بالشاعر، والعلة من ذكرها في القصيدة، أما حديثه عن الأحداث؛ فقد كان موجزا يضفي المتعة والتشويق للقارئ، ويعطيه المفتاح لفهم الأبيات.

الاتجاه التاريخي عند ابن الأنباري

حرص ابن الأنباري في شرحه على الجانب التاريخي، فقد أسهب واستطرد كثيرا في عناصره، وجعله من العناصر المهمة التي اعتمد عليها في تسهيل شرح الشعر؛ لذلك يعد شرحه من الشروح ذات الطابع التاريخي، وليس هذا أمرا غريبا بالنسبة له، فقد استقى بعض علومه وثقافته من والده القاسم الذي يُعد من الإخباريين المشهورين [١]، فضلا عن أنه خاض في البحث والتأليف في هذا المجال، ومن كتبه " أخبار ابن الأنباري " [٢].

واهتم شارحنا بشعراء القصائد اهتماما واضحا تمثل في تخصيص وريقات قبل البدء بشرح كل قصيدة تكون بمنزلة التمهيد أو المقدمة لشرحها، فجاءت هذه المقدمات ثرية متنوعة تناول فيها عناصر هذا الاتجاه لتشمل: التعريف بالشاعر، واستحضار الأخبار، وذكر مناسبات القصائد، وتوضيح الأحداث التي وردت في الشعر، وأخيرا التعريف بالأعلام والقبائل والأماكن الواردة في ثنايا الشعر. وسيتناول الباحث هذه العناصر بالتفصيل، ويوضّح منهج ابن الأنباري في عرضها.

ويرى الباحث إن أهم ما امتاز به ابن الانباري في هذا الجانب؛ هو حرصه على سرد الأسانيد كاملة في رواية الأنساب والأخبار والأشعار، ولم يكن يستثقلها في الشرح، ولعل شهرته في حفظ عشرين ومائة تفسير من تفاسير القرآن بأسانيدها [٣]، وحديثه مع أبي الحسن الدارقطني[٤] حول مسألة السند والتحقق منه، دليلان واضحان على اهتمامه بالسند في رواياته.

أولا: التعريف بنسب الشاعر.

اهتم ابن الأنباري بنسب الشاعر كثيرا، فقبل البدء بعملية الشرح كان في الأغلب يستهل حديثه بنسب الشاعر، فقد استهل شرحه لقصائد عنترة [٥]، وعمرو [١]، والحارث [٢]، بالحديث

---

[١] ابن النديم، الفهرست، ص ٨١ .

[٢] ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص ٣٩٨ .

[٣] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٠ .

[٤] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١٢ ، ٧١٣ .

[٥] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٩٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن أنسابهم، ولكنه في بعض الأحيان كان يؤخر النسب لحديثه عن بعض الأخبار المهمة أو مناسبات القصائد، فخبر مقتل طرفة [٣]، وخبر زهير مع أخواله، ومناسبة قصيدته [٤]، تقدمت على التعريف بنسبهما لما تحتله هذه الأخبار من أهمية.

وكان من عادة ابن الأنباري أن يذكر النسب متسلسلا من أوله إلى آخره، فقال في نسب الحارث: " حارث بن حلّزة بن مكروه بن بُدَيد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جُشَم ابن دُبيان بن كِنانة بن يشْكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمىّ بن جَديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان بن أدَد " [٥]. وقد ذكر نسب طرفة [٦]، وزهير[٧]، وعنترة [٨]، وعمرو [٩]، ولبيد [١٠]، بهذه الصورة .

وإذا كان اسم الشاعر طويل، وتدور في محيطه قضايا خلافية كثيرة، فإنه يحرص على أن يقسّم الاسم إلى أجزاء، يتناول كل جزء منه على حدة يناقش كل القضايا فيه، فيذكر الآراء التي تدور حول كل قضية، وامتاز بأن ينسب كل رأي لصاحبه حتى يخلي مسؤوليته، فالقضايا الخلافية عادة تثير جدلا ونقدا قد يصل إلى حد الطعن، فقد تناول ابن الأنباري نسب امرئ القيس بهذا الشكل [١١]. وتوقف عند كل لقب كان يواجهه من ألقاب الشعراء وأجدادهم، وعلل سبب التسمية بهذه الألقاب، فتوقف عند هذه الألقاب: (المقصور، وآكل المرار، ومرتّع، وكندة، ومذحج) في نسب امرئ القيس [١٢]، وعلى لقب (الطيّان) في نسب لبيد العامري [١٣]، كما

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٣٦٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٣١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١١٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٣٦ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٣١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١١٧ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٣٧ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٢٩٣ .

[٩] المصدر نفسه، ص ٣٦٩ .

[١٠] المصدر نفسه، ص ٥٠٥ .

[١١] المصدر نفسه، ص ٣ ، ٤ .

[١٢] المصدر نفسه، ص ٣ ، ٤ .

[١٣] المصدر نفسه، ص ٥٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرص على ذكر الكنية التي يُنادى بها الشاعر، فكان عنترة يكنى بأبي المغلّس [١]، وكان لبيد يكنى بأبي عقيل[٢].

وتطور به الأمر إلى ممارسة فنونه اللغوية والنحوية والصرفية في أثناء تعريفه للشعراء، فقد استعان ببعض المباحث اللغوية في نسب الحارث بن حلزة، قائلا: " الحِلّزة ضرب من النبات. قال: ولم يُسمع فيه غير ذلك " [٣]، واستعان بالصرف في نسب عنترة، قائلا: " عنترة يكون مشتقاً من العنتر، وهو الذباب، فيكون فعْلة من ذلك. وقد يجوز أن يكون عنترة فنعلة من العتيرة، وهي التي تُنحَر للآلهة أولّ ما تنتج. ويجوز أن يكون عنترة مشتقاً من العَنْر، وهو الذَّكَر، ويكون مشتقاً من العِنْرة، وهي شجرةٌ صغيرة تكون بنجد وتِهامة كثيرة اللبن " [٤]، أما خبرته النحوية؛ فقد جندها في إعراب اسم امرئ القيس، قائلا: " امرؤ القيس بمنزلة عبد الله وعبد الرحمن. وفي إعرابه أربعة أوجه، يقال: ....." [٥]، وذكر الوجوه الأربعة مع ذكر الأمثلة.

ثانيا : استحضار الأخبار .

اشتهر ابن الأنباري عن غيره من الشراح في هذا الجانب، وأسهب فيه كثيرا، فذكر الأخبار التي كانت مشهورة في سجل الشاعر، ليعطي تصورا عاما عن حياته، فالأخبار تكشف عن علاقات الشاعر وصداقاته وأعدائه ومناقبه وانتصاراته، وتوضح مكانة قبيلته وعلاقتها بالقبائل الأخرى، وقد تمتد هذه الأخبار لتتداخل أجزاء منها في الحديث والتمهيد عن مناسبة القصيدة.

كان هدف ابن الأنباري من التوسع في هذا العنصر أن يجعل شرحه كالموسوعة، من يقرؤه يحصّل كل ما يحتاج إليه من معرفة، فلا يكون بحاجة لمصادر أخرى يرجع إليها ويبحث فيها عن معلومات تخص الشعر والشاعر، وكان هذا هدفه العام في مصنفاته كلها، يجعل من

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٢٩٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٠٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٣٢ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٩٤ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كتبه مصدرا مُغنيا عن كل المؤلفات السابقة في مجالها، وقد أفصح عن هذا الهدف في مقدمة كتابه الأضداد [١].

وكان في الأغلب يذكر الأخبار قبل الشروع في عملية الشرح بشكل متسلسل لا يفصل بينها إلا بالسند، وأحيانا أخرى كان يُعَنْوِنُ للخبر الذي يذكره حتى يميّزه ويلفت انتباه القارئ إليه. ومن الأخبار التي سردها في مقدمات القصائد مرتبة وفق ترتيب الشارح لأصحابها، ما يأتي: خبر مقتل حجر والد امرئ القيس [٢]، وخبر ثأر امرئ القيس لأبيه وما قيل في ذلك من الشعر[٣]، وخبر مقتل طرفة بن العبد علي يد المكعبر وهروب صديقه المتلمس[٤]، وخبر زهير ابن أبي سُلمى مع أخواله بني مُرّة وسبب إقامته عندهم وتركه لقبيلته مزينة [٥]، وخبر عنترة ابن شداد بعد اعتراف أبيه بنسبه [٦]، وخبر منافرة عمرو بن كلثوم مع رجل من بني تيم ابن ثعلبة [٧]، وأخيرا خبر لبيد بن ربيعة وخاله الربيع بن زياد العبسي في حضرة النعمان ابن المنذر[٨].

وحرص ابن الأنباري في هذه الأخبار أن يتخللها كثير من الأبيات الشعرية التي قيلت فيها، بعضها للشعراء أنفسهم ، وبعضها لشخصيات شاركت في الخبر، وكان يهدف من سردها إلى وصف نفسية الشاعر في كل خبر، وتوثيق مجريات هذه الأخبار، والتحقق من الشخصيات التي شاركت فيها.

كما اتخذ هذه الأبيات وسيلة وأنموذجا للحديث عن منهجه في الشرح، وبما أن شرحه افتقد المقدمة المنهجية التي عادة ما يفصح المؤلف فيها عن منهجه؛ فقد استعان بهذه الأبيات وراح يدرب المتلقي على منهجه، ففي أثناء سرده لهذه الأبيات كان يتناول البيت تلو البيت، ويفسر الغريب فيه، ويستطرد حول ما فيه من القضايا اللغوية والنحوية والصرفية والبلاغية، ثم

---

[١] ابن الأنباري، كتاب الأضداد، ص١٣ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤-٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٨-١٣.

[٤] المصدر نفسه، ص ١١٥-١١٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٩٣-٢٩٤ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٣٦٩.

[٨] المصدر نفسه، ص ٥٠٥-٥٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجمل هذا كله بنثر المعنى العام للبيت. كما كان يعرب بعض أجزاء البيت، ويوضح اختلاف الرواية في بعض مواضعه، ويعرّف ببعض الشخصيات الواردة فيه، ويدلل على كل هذه الآراء بالأدلة والبراهين المتنوعة لتشمل الآيات القرآنية والأبيات الشعرية. وهذا هو المنهج الذي اتبعه في شرحه للقصائد.

وهناك جانب آخر من الأخبار كان مهما وذا فائدة، استحضره ابن الأنباري ليحقق فيه بعض أهدافه، وهذا الجانب لم يكن ضمن مقدمات القصائد، وإنما نثره ابن الأنباري بين الأبيات المشروحة. وفي أوساط الشرح إذ كان يورد بعض الأخبار التي لا تمت بصلة للبيت الشعري إلا أنه كان يربطها بها، كأن يستحضرها مثالا أو أداة لتفسير بعض ألفاظ البيت، ففي شرحه لبيت طرفة بن العبد:

٨- وتَبْسِمُ عَنْ أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّرًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدِى [١]

تحدث ابن الأنباري عن قدرة الشاعر الباهرة في الوصف، فذكر هذا الخبر باعتباره مثالا على الوصف، قائلا: " وقال ابنُ الأعرابيّ: نزلَ معاويةُ بن أبي سفيانَ بامرأة من العرب فقال لها: هل من قِرًى ؟ قالت: نعم يا أميرَ المؤمنين. قال: وما هو ؟ قالت: خبزٌ خَمير، وحَيْسٌ قطير، ولبنٌ هَجير، وماءٌ نَمير. قال: أحسنتِ الصّفة فعجِّليه. فأتت به، فلمّا رفعَ يدَه قال: سلي حاجتَكِ في نفسك. فسألتْ في الحيّ أجمعين " [٢]. وفي بيت آخر له أيضا استحضر خبرا يعينه في تفسير أحد الألفاظ، قائلا: " قوله نداماى، إنما سُمّي النديم نديمًا لندامة جذيمة حين قتَل نديميه مالكًا وعقيلا اللذين أتياه بعمرو ابن أخته فسألاه أن يكونا في سَمَرِه، فوجَد عليهما فقتلهما وندم، فسُمّي كلُّ مُشاربِ نديمًا " [٣].

ويتّضح أن إقحام ابن الأنباري لهذه الأخبار في عملية الشرح لم يكن اعتباطيا وإنما كان يهدف إلى خدمة عملية التعليم وإثرائها، فطول المتابعة بطريقة واحدة يُثقل على المتعلم، ويُشعره بالملل، ويُسهّل تعرضه للشرود؛ لذا استحضر ابن الأنباري هذه الأخبار كي يشوق ويمتع المتلقي، ويشد انتباهه وتركيزه، فيجدد روح الاستقبال لديه.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا : مناسبة القصائد .

اهتم ابن الأنباري بذكر مناسبة القصائد قبل الشرح، فهي تُعد من أهم العناصر التي تساعد في عملية فهم المعنى فهما صحيحا، لأنها " توضح العوامل المؤدية إلى خلق النص، المسببة لولادته، المهيجة لقرائح الشعراء، المحفزة لهم على الإبداع والنظم " [١]، فحديث الشارح عنها يقطع نصف الطريق في عملية الشرح؛ لأن المتلقي سيستقبل باقي عوامل الشرح بكل سلاسة، فلن يعيق الفهم بالوقوف كثيرا عند بعض الأحداث.

تنوع ابن الأنباري في تعامله مع عرض مناسبات القصائد، فلم يعنون لها بعبارة (مناسبة القصيدة) كي يستدل عليها المتلقي، وإنما عرضها ضمن أخبار الشاعر، بحيث تكون في الغالب آخر الأخبار التي تسبق شرح القصيدة مباشرة .

كما أسهب في ذكر بعض المناسبات، وأوجز في بعضها، وتعدّى به الأمر أحيانا إلى تجاهلها، مكتفيا بأخبار شعرائها، فقد أسهب في مناسبة القصائد عند كل من: امرئ القيس[٢]، وزهير [٣]، وعمرو، والحارث [٤]، وأوجز في مناسبة قصيدة عنترة، قائلا: " قال عنترة أول ما قال من الشعر يذكر قتل معاوية بن نزّال وغيره " [٥]. أما مناسبة قصيدتي طرفة ولبيد، فقد تجاهلهما واكتفى بذكر أخبارهما لينوبا عن ذكر المناسبة، ويكونا تمهيدا للقصيدتين.

رابعا: الأحداث التي وردت في الأبيات .

عمد ابن الأنباري إلى الوقوف عند الأحداث التي تمر به في أثناء شرحه للشعر، فلو لم يقف عندها ويوضحها للمتلقي سيكون المعنى مستغلقا عليه، ولم يكن يتناول هذه الأحداث إلا بإيجاز حتى لا يشتت المتلقي، ففي بيت الحارث بن حلزة:

٧٨- وفككنا غُلَّ امرئ القيس عَنــــهُ بَــعْدَ ما طــالَ حَبــسُهُ والعَــناءُ [٦]

---

[١] العمري، أحمد جمال، (١٩٨٣)، منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، ط ١، القاهرة: دار المعارف، ص١٦٦ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣-١٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٣٦ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٧٠-٣٧١.

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شرح ابن الأنباري هذا الحدث بإيجاز، قائلا: " يعنى بامرئ القيس بنَ المنذر بن ماء السماء، وهو أخو عمرو بن هند من أبيهِ، وكانت غسان أسرته يوم قُتِلَ المنذر أبوه، فأغارت بكر بن وائل مع عمرو بن هند على بعض الشام فقتلوا ملِكًا لغسَّان واستنقذوا امرأ القيس، وأخذ عمروٌ ميسونَ بنتَ ذلك الملك التي ذكرها الحارث " [١].

وفي بيت عنترة بن شداد :

٧٠- ولقد شَفَى نفسِي وأبــرأ سُقْمَهـا قِيــلُ الفوارس ويكَ عَنتَرُ أقــدِمِ [٢]

قال ابن الأنباري: " وقال أبو جعفر: أصل هذا الفَرَح أنه أقرَّ به أبوه، فلما قالوا: ويكَ عنتر أقدِمْ، والذي قال له أقدِمْ أبوه، قال له: ويك عنتر أقدمْ فاذهبْ بالحُرَم والمال! فقال: العبد لا يُحْسن الكر، إلاَّ الحَلَبَ والصَّرّ. فأعادَ عليه مراراً، فلمَّا تخوَّفَ أن يَذهب الحُرَمُ قال: أي بُنَيَّ، أمَا ترى؟ قال: الآنَ نعمْ. فعندها قال: وأبرأ سُقْمَها ! فركب فرسَه عُرياناً وأخذَ قناتَه فردَّ الطَّعْنَ وقتلَ مَن قتَل " [٣].

فابن الأنباري لم يتجاهل توضيح الأحداث التي ترد بالشعر، وإنما عمل على توضيحها بإيجاز ليكون شرحه وافيا كاملا، لا يصعب على المتلقي شئ منه.

خامسا: التعريف بالأعلام والقبائل والأماكن الواردة في ثنايا الشعر.

تعامل ابن الأنباري مع الأعلام الواردة أسماؤهم في الشعر بحالات متنوعة، فتارة يوجز بتعريف مختصر له، تكون بذكر القبيلة التي ينتمي إليها، أو تحديد القرابة التي تجمعه بالشاعر، وتارة أخرى يسهب في ترجمته فيذكر نسبه وبعض أخباره، وتقلبه هذا يعود للفائدة التي سيقدمها هذا التعريف لخدمة المعنى. ففي بيت طرفة بن العبد:

١- لِخَــوْلَةَ أطــلالٌ ببُرْقَــةِ ثَهْــمَدِ ظَلِلْتُ بــها أبــكِي وأبكِي إلى الغَدِ [٤]

عرّف ابن الأنباري بخولة، قائلا: " خولة: امرأةٌ من كلب " [٥]. وقد يمتد به التعريف بالقبيلة التي ينتمي إليها هذا العلم فيرفع النسب، ومثله في بيت طرفة الذي ذكر فيه " حُدوج

---

(١) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٩٧. وانظر أمثلة أخرى: ص ٢٧٥ ، ٢١٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٩ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٠ . وانظر أمثلة أخرى: ص٢٠٤ ، ٤٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣٢ ، وانظر أمثلة أخرى: ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المالكية "، فقال ابن الأنباري: " والمالكية: من بنى مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة. وقال الطوسيُّ: نسبها إلى مالك بن سعد بن ضُبيعة " [١].

واكتفى ابن الانباري أحيانا في تعريفه للأعلام بأن ذكر قرابتها بالشاعر، كأن يقول: أبو الشاعر أو جده [٢] أو أخوه [٣]، أو يبيّن أن الشخصية تنتمي إلى قبيلة الشاعر، فيقول: " رجل منهم "، كما في بيت عمرو بن كلثوم:

٥١- ورَثْـنا مَجدَ عَلْـقمةَ بن سَيفٍ أبـاحَ لنا حُـصونَ المـجْدِ ديـنا [٤]

قال ابن الأنباري: "علقمة: رجلٌ منهم " [٥] .

وقد يتوسع ابن الأنباري في التعامل مع الأعلام التي تدور حولها بعض أحداث الشعر، فالأعلام المرتبطة بالأحداث التي يسردها الشاعر، تستوجب على الشارح أن يعرف بها، ويذكر خبرها حتى يتيسر فهم المعنى، ففي قصيدة الحارث بن حلزة:

٨١- ومعَ الجَون جَـون آلِ بني الأوْ سِ عَـنـودٌ كـأنّـها دَقـواءُ [٦]

قال ابن الأنباري في تعريف الجَون : " ملكٌ من ملوك كندة ، وهو ابن عم قيس ابن معديكرب، وكان النبي صلى الله عليه وسلم تزوّج بنتَ عبد الرحمن بن الجون، وكان عبدالرحمن مسلما، وبنو الأوس من كندة، وكان الجون جاء يمنع بني عمرو بن حُجْر آكل المرار ومعه كتيبة خَشْناء، فهزمَتْه بكر وأخذوا ابن الجون فأتَوا به المنذر. وقوله " ومع الجون " يقول: كان الجون مع ولد عمرو بن حجر ومعه هذه الكتيبة " [٧]. فكان تعريفه لهذا العلم مفتاحا لفهم السبب الذي جعل الشاعر يستحضره في البيت.

أما إذا ورد خلاف بين العلماء حول الأسماء التي ترد في الشعر، فإن الأمانة العلمية التي عُرف بها ابن الانباري تحتم عليه أن يذكر كل هذه الآراء، ولكنه لا يرجح أحد هذه الآراء

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٠٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص٤٠٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص٤٠٥ . وانظر أيضا: ص٢٠٢.

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٩٨ .

[٧] المصدر نفسه، ص٤٩٨ . وانظر أيضا: ص٢٥٣، ٣٦٣ ، ٥٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لسببين، أولهما: أن هذه الآراء متقاربة، وثانيهما: أن الشارح يحاول أن ينمي الذوق الخاص عند المتلقي، خاصة أن جمهوره من المتعلمين. ويكون الشارح بذلك قد اتخذ الشرح وسيلة للتمرين وتنمية المهارات، ومن أمثلة هذا ما جاء في بيت زهير بن أبي سُلمى :

١٩- تَدَارَكْتما عَبْساً وذُبيانَ بعدَ ما تَقــانَوْا وبَقَّوْا بينَهمْ عِــطْرَ مَنشَمِ [١]

قال ابن الانباري: " قال أبو جعفر: يصف قوماً تحالفوا ثم أخذوا العطرَ بأيديهم ليتحرَّموا به، ثم خرجوا إلى الحرب فقتلوا جميعاً فتشامت العربُ بها، واسمها مَنْشَمَ. وقال الأصمعي في عطر منْشَم: زعموا أنَّها امرأة عطَّارة، فتحالفَ قومٌ فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يُقاتلوا حتى يموتوا، يقول: فصار هؤلاء بمنزلة أولئك في شدّة الأمر. قال: وقال أبو عمرو بن العلاء: عطر منشم إنما هو من التنشيم في الشَّر، ومنه قولهم: " لما نَشَّم الناس في عثمان رضى الله سبحانه عنه ". وقال أبو عبيدة: مَنْشِم اسمٌ وضع لشدة الحرب، وليس ثَمَّ امرأة، كقولهم: " جاءوا على بَكْرة أبيهم " وليس ثَمَّ بكرة. وقال أبو عمرو الشيباني: مَنشم امرأةٌ من خزاعة كانت تبيع عِطراً بمكّة، فإذا حاربوا اشتَرَوْا منها كافوراً لموتاهم فتشأموا بها. وقال ابن الكلبي: منشِم امرأة الوجيه الحميرى " [٢].

وحرص ابن الأنباري في الغالب على تعريف القبائل التي ترد في الشعر باعتبارها جزءا متصلا بالأعلام، وتوضيحها يساعد في كشف معاني الأبيات، فكان يكتفي بوصفها قبيلة أو حيًّا، كأن يقول: " الطماح ودعمي : حيان من إياد " [٣]، أو يعرفها بوصفها قوما من بني فلان، كأن يقول في شارق الشقيقة: " بنو الشقيقة قوم من بني شيبان " [٤]، ولكن إذا جاء الشاعر بإشارة إلى القبيلة ولم يصرح بها، كان ابن الانباري يوضحها ويحيلها إلى قبائل بعينها، كأن يصف الأحلاف في بيت زهير بن أبي سُلمى :

٢٦- ألا أبْلِغ الأحلافَ عَنّي رسَــالة وذُبْــيانَ هَلْ أقسَمْتُمُ كُلَّ مُقْــسَمِ [٥]

قائلا: " الأحلاف: أسدٌ وغطفان " [٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٦١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٦١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٩١ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٩٣ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٦٥ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما تعريفه للأماكن، فكان له منهج خاص جرى فيه على أحوال مختلفة، فتارة يكتفي برصد المكان، إذ كان يقول: " موضع أو واد أو جبل " [١]، وتارة يكتفي بالإشارة إلى المكان بانه معروف ومشهور، أو أن يذهب إلى أبعد من ذلك فيصف المكان أو يحدد موضعه وأهله [٢]، وأحيانا يغوص أكثر في توصيف الموقع المكاني له. ففي بيت زهير بن أبي سلمى:

٢- ديـــارٌ لـــها بالرَّقمَـتَيْن كأنَّـــها مَـــراجِعُ وَشْمٍ في نَواشِـــرِ مِعصَمِ [٣]

يقول ابن الأنباري: " قال الأصمعي: الرقمتان إحداهما قرب المدينة، والأخرى قرب البصرة. وقال الكلابيّ: الرقمتان بين جُرثُم وبين مَطلع الشمس بأرض بني أسد، وهما أبرقان مختلطان بالحجارة والرَّمل. والرَّقمتان أيضاً: حذاء ساق الفرو، وساق الفَرْو: جبلٌ في أرض بني أسد. والرقمتان أيضا بشطّ فلج أرض بنى حنظلة " [٤].

ونخلص في نهاية المطاف أن ابن الأنباري برع في الاتجاه التاريخي في شرحه، فقد خاض في كل عناصره تارة موجزا وتارة مسهبا، فعرّف بنسب الشعراء، وذكر كنياتهم وألقابهم، وناقش بعض القضايا الخلافية والصرفية والنحوية في أسمائهم. ثم سرد الأخبار المهمة التي اشتهر بها الشعراء، وتحدث عن وقائعها وشخصياتها، وحقق كل ذلك بالأبيات الشعرية التي قيلت في هذه الأخبار. كما استعان ببعض الأخبار في إثراء شرحه، فنثر في طياته بعض القصص المشوقة والممتعة التي تسلّي المتلقي عادة وتعمل على شدّ انتباهه إذا شعر بالملل والكلل.

وعرض ابن الأنباري بإيجاز لبعض مناسبات القصائد والعوامل التي أسهمت في إيجاد النص، وبعض الأحداث التي ترد في ثنايا الشعر، وجعلهما وسيلتين تكشفان مجريات النص وتسلسل الأحداث فيه. وأخيرا عرّف بكل ما يعترضه من أعلام وقبائل وأماكن في الشعر، لتستقيم عملية الشرح وتحقق هدفها المنشود.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٤٨ ، ٣٠٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٩٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٣٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الرواية الشعرية

يعود الفضل في حفظ تراثنا الجاهلي إلى الرواية الشفوية، فهي التي حفظته من الضياع، فانتقلت به من عقول الرجال الرواة الذين تناقلوه جيلا بعد جيل إلى صفحات التدوين في القرن الثاني الهجري، وقد استغرقت هذه العملية حقبة زمنية طويلة إلى أن وصل لنا الشعر بشكله الحالي، وتعرّض خلالها لآثار شكلية وجوهرية، تمثلت في الزيادة والنقصان والتغيير عن أصوله التي كان عليها، وتم ذلك بفعل عوامل السرقة والنسيان والانتقام، وتفاوت تأثير هذه العوامل بفعل الزمن، فتارة تشتد، وتارة تضعف، لذلك جعل الباحث دراسة الرواية الشعرية في الشرحين من جوانب الاتجاه التاريخي.

وأخذ الاختلاف في شعرنا الجاهلي يتبلور في شكلين متباينين، أولهما: الاختلاف في نسبة الأثر الشعري إلى قائله، كأن تسقط بعض أبيات القصائد، أو يلفق بعضها، فينتج عن ذلك خلل في النسبة والترتيب، والثاني: الاختلاف في لفظ الأثر الشعري ونصه، فتجد البيت يُروى بلفظ في رواية، وبلفظ مُغاير في رواية أخرى [١].

وترجع أسباب الاختلاف في نسبة الأبيات الجاهلية إلى قائلها إلى قضيتي: الوضع، والانتحال. وقد أشبعت هاتان القضيتين بدراسات مستفيضة من قِبَل القدماء والمحدثين، لذلك لا حاجة للحديث عنهما تجنبا للتكرار [٢]. أما الاختلاف في ألفاظ البيت الشعري، فأسبابه متنوعة، تتعلق بالشاعر نفسه، وبرواته، أو بذوق العربي الذي يتمثل بالشعر، أو بعلماء اللغة والنحو، أو بالنسيان والتصحيف اللذين يصيبان الأبيات.

وكان الشاعر في الجاهلية ينشد شعره مقدما، فيذيعه بين رواته وأفراد قبيلته كي لا ينساه، ثم يعمل على تنقيحه وإعادة النظر فيه، فيضيف على الرواية الأولى أو ينقص بعض

---

[١] حسين ، مصطفى، (١٩٧٨)، رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع، ط١، القاهرة: دار النهضة العربية، ص٨١.

[٢] ارجع إلى: الجمحي، محمد بن سلام، (ت٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، ج١، (تحقيق: محمود شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٥-٥٠. وطه حسين، (١٩٢٧)، في الأدب الجاهلي، ط٢، دار المعارف: القاهرة، ص١٥٩-١٩٢. والرافعي، تاريخ آداب العرب، ج١، ص٣٥٩-٣٧١. وجواد علي، (د.ت)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، (د.ن)، ص ٣٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعديلات منها، وبعد أن ينتهي من هذا التنقيح يذيع رواية جديدة مغايرة للأولى، فتأتي القصيدة بذلك على روايتين [١].

والرواة كذلك، يوظفون خبرتهم بالشعر، فيتلقون رواية الشاعر ويعملون على تقويم ما بها من اعوجاج، ويذيعونها بين الناس برواية مخالفة لروايتي الشاعر الأولى والثانية، ودليل ذلك قول ابن مقبل: " إني لأرسل البيوت عوجا، فتأتي الرواة بها قد أقامتها " [٢]. وهواة الشعر أيضا كانوا يعتمدون في تناقل الشعر على الحفظ والسجية، فتأثرت بذلك ألفاظ الشعر. يقول ابن هشام مؤكدا ذلك: " كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلٌّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات " [٣]، فالعربي في أثناء تمثله بالشعر كان يغيّر كلمة بأخرى تماشيا مع سجيته أو هواه، كما فعل أبو تمام في اختيار قصائد الحماسة.

أما علماء اللغة والنحو، فكان لهم دور في " توسيع الهوة في موضوع الخلاف اللفظي؛ لأنهم في سبيل التماس الشاهد الذي يؤيدون به ما أثبتوه، صاروا يعمدون إلى المحرّف المصحّف، فيسوقونه ويبنون على روايتهم له قاعدة " [٤].

وكان لكل هذه الاختلافات التي تطرأ على الشعر، أثر سلبي في المعنى الشعري، فالشاعر عندما كتب قصيدته قصد فيها معانيَ محدّدة، سردها متسلسلة متناسقة؛ الحدث تلو الحدث، ولكن عندما يختلف ترتيب الأبيات في قصيدته، فيسقط بعض أجزائها، أو يتخللها أبيات دخيلة، فمن الطبيعي أن يتغير المعنى الذي كان يقصده. وقد أشار ابن طباطبا لهذا الأمر، قائلا: " أحسن الشعر ما ينتظم القول فيه انتظاما يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قُدّم بيت على بيت دخله الخلل " [٥]، والأمر ذاته ينتج عندما تتغير لفظة من ألفاظ البيت الشعري، ولو جاءت متناسقة في الوزن، فكل شاعر له أسلوب في اختيار ألفاظه، يستحضر اللفظة ويوظفها لأداء معنى يريده، ويكون حريصا دائما على أن تكون اللفظة مناسبة في إيصال المعنى.

---

[١] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٩، ص ٣٣٠ .

[٢] ثعلب، مجالس ثعلب، ج ٢، ص ٤٨١ .

[٣] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص ٢٦١ .

[٤] حسين، رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى السابع، ص ٨٥-٨٦ .

[٥] ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد، (ت ٣٢٢هـ)، عيار الشعر، ط ١، (تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنبّه الرواة العلماء إلى هذا الأثر الذي تركه اختلاف الروايات على المعاني، فراحوا يجمعون دواوين الشعراء للحد من هذه الاختلافات، وكانوا على " حذر دائم تُجاه ما يُنقل إليهم، ويحصرون أذهانهم، ويوجهون كل وعيهم إلى كل ما يسمعون من الأعراب أو الرواة، فيمحصون ويقابلون بين مختلف الروايات، ولا يقبلون شيئا إلا بعد التحقيق والتثبت من صدقه وحقيقته، خوفا من نقد الزملاء أو تشنيع الأعداء، وحبا في الشهرة بالأمانة والنزاهة والدقة " [١]، فنتج عن ذلك ظاهرة واضحة في الدواوين، هي "أن الراوية حين يروي ديوان شاعر، إنما يرويه عن روايتين أو أكثر من علماء الطبقة الأولى فيورد قصائد الديوان التي انعقد على صحتها الإجماع أولا، ثم يضيف إليه قصائد أخرى رواها أحد الرواة وحده، ولم يروها غيره، أو ينصّ على أن تلك القصيدة قد تنسب إلى شاعر معين، وهو غير صاحب الديوان "[٢]؛ مما تسبب في تعدد نسخ الدواوين الشعرية لكل شاعر، كديوان امرئ القيس، وزهير، ولبيد، والأعشى، ودريد ....، وغيرها من الدواوين [٣].

هذا التعدد جعل شراح الشعر في حيرة من أمرهم، فعندما يتناول الشارح ديوانا يريد شرحه، لا يعرف أي النسخ هي الأوثق التي عليه أن يعتمد عليها، ليحقق هدفه ويصل إلى المعنى الذي يقصده الشاعر، فأي تغيير في الديوان، قد يُغيّر المعنى، أو يجنح به عن الصواب؛ لذلك لم يقف الشراح مكتوفي الأيدي، وإنما حرصوا على الاستمرار في العمل الذي سار وفقه العلماء، فراحوا يذكرون الروايات المختلفة للقصائد وللأبيات في نسخ الديوان المتعددة، ولكن مواقفهم في التعامل مع هذه الروايات كانت متباينة، ففريق منهم "التزم الحياد واكتفي بذكرها دون المفاضلة بين رواية وأخرى، أو الإشارة على القارئ باعتماد رواية عن غيرها، وفريق آخر راح يفاضل بين الروايات التي يوردها، وينبه القارئ على ما وهم فيه الرواة " [٤]. وهذا التباين في المنهج أدى إلى تعدد الشروح للعمل الواحد، وميّز كل شرح عن الآخر.

وباستقراء شرحي السبع الطوال لابن كيسان وابن الأنباري، سيقف الباحث على منهج الشارحين من الرواية، ويُبيّن موقفهم من القارئ في توجيهه إلى الرواية الصحيحة للقصائد.

---

[١] الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ج١، ص ١٩٨ .

[٢] العمري، شروح الشعر الجاهلي، ج١، ٦٩ .

[٣] ابن النديم، الفهرست، ص ١٧٧- ١٨٠ .

[٤] ابن مصباح، ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج ابن كيسان في الرواية .

اهتم ابن كيسان بمنهج خاص في التعامل مع الرواية، فاعتنى بترتيب أبيات القصيدة، والتحقق من نسبتها إلى الشاعر، لتأتي كما كانت عليه في أصلها فلا تختل معانيها المتسلسلة. واهتم أيضا بذكر الروايات المختلفة لألفاظ الأبيات، التي لم ينسبها في الغالب لأصحابها، وإنما اكتفى بالإشارة إليها.

أولا: التحقق من نسبة الأبيات للشاعر.

سار ابن كيسان على منهج العلماء في تحقيق النصوص، وهو أن يعتمد أصلا ويقابله بعدة فروع، لكنه خالف العلماء في أنه اكتفى بفرع واحد، وراح يقابله بالأصل، فقد اعتمد رواية بُندار رواية أصلية للقصائد. أما الرواية الفرعية، فكانت رواية المبرد، لذلك لن يكون في متن القصائد خلافات كثيرة حول ترتيب الأبيات ونسبتها للشعراء؛ لأن الروايتين متقاربتان.

إن ما يثبت أن رواية بندار كانت الرواية الأصلية عند ابن كيسان، قوله في آخر شرحه لقصيدة عمرو بن كلثوم: " قال أبو الحسن: هذا آخر الذي قرأته على بندار "[١]، ولعل ما دفعه لأن يعتمدها رواية أصلية هو تلمذته على يد بندار. والشهرة الواسعة التي كان يحظى بها بندار في مجال الرواية، فقد قال عنه أبو العباس الأموي: " كان بندار بن لرّة الأصبهاني أحفظ أهل زمانه للشعر وأعلمهم به "[٢]، وكان الطوسي يوصي أصحابه بالأخذ عنه، قائلا: " هو أعلم مني ومن غيري فخذوا عنه "[٣].

وما يثبت أن رواية المبرد هي رواية فرعية، إلحاقه بيتين إضافيين على رواية بندار، من رواية المبرد، فقد قال بعد انتهائه مما قرأه على بندار: " قال أبو الحسن: أنْشَدَنا أبو العباس المبرِّد، رحمه الله: [٤]

٨٧- كأنّي عِنْدَ جَمْرَةَ في مُـقامي ألا حُـيِّيت عَـنَّا يـا مـَدِينَـا

٨٨- خَـلَقْنا عِـنْدَه حَتَّـى كـأنَّا ألا هُـبِّي بـصَحْنِكِ فـاصْبَحِينَا

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص١١٧ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج ٣، ص٧٧ .

[٣] المصدر نفسه، مج ٣، ص ٧٦ ، ٧٧ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص١١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبذلك يكون ابن كيسان اعتمد الرواية الكوفية في شرحه باعتبارها رواية أصلية، وعدّ الرواية البصرية هي الفرعية، وهناك دليلان يثبتان بأن روايته الأصلية هي الكوفية، أولهما: أن بندار كان أميل إلى المذهب الكوفي عن البصري، وثانيهما: إشارة تلميذه ابن النحاس إلى أن روايته كانت كوفية؛ إذ قال في شرحه لبيت لبيد رقم (٨١) متعجبا: " وأنشد الكوفيون بعد هذا بيتا لم ينشدناه ابن كيسان"[١]. فقد أوضح بتعجبه أن رواية ابن كيسان كانت مثل رواية الكوفيين.

واستطاع ابن كيسان في مفاضلته بين الروايتين، أن ينوه إلى أن الأبيات التي يشوبها اللبس، أو يدور حولها بعض الشكوك؛ فيشير إلى ما هو زائد أو منحول، ففي قصيدة عمرو ابن كلثوم أشار بعد البيت رقم (٨٥) إلى الأبيات الدخيلة على متن القصيدة، قائلا: "ويُزاد فيها :

٨٦- مَـلأنا البَرَّ حَتَّـى ضَاق عَـنَّـا وَ بَحْرُ الـماءِ نَمْلَـؤُه سَـفِينَا " [٢]

أما الأبيات المنحولة، فقد أشار إليها في بيت طرفة بن العبد :

١٠١- ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهِلاً ويأتيكَ بالأخـبار مَنْ لمْ تُـزَوّدِ [٣]

بأنه من الأبيات المنحولة قائلا: " وكان رؤبةُ ينشدُ هذا البيتَ " [٤].

كما حرص ابن كيسان على أن لا يسقط آخر الأبيات من القصيدة أو أن تتداخل القصائد مع بعضها بعضا بفعل عوامل الزمن وطرق الحفظ، فكان أحيانا يختم القصيدة بعبارة توضّح نهايتها، وتكون بمنزلة الفاصلة بينها وبين القصيدة الآتية، فاختتم قصيدة طرفة بن العبد بعبارة: "تمَّتْ قصيدةُ طرفة بن العبدِ والحمد لله وحدَه " [٥]، حتى لا تسقط أبياتها الأخيرة عن المتن، أو تتداخل أبياتها مع قصيدة زهير التي تعقبها.

---

[١] ابن النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ٤٤٣ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١١٧ .

[٣] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص٥٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص٥٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: الروايات المختلفة للبيت الشعري

إن الوصول إلى المعاني الصحيحة في الشعر كان هدف ابن كيسان من الشرح، وقد دفعه هذا الهدف إلى إثبات الروايات المختلفة كافة، التي قد يأتي عليها البيت الشعري، ليحتوي أي معنى قد تقدمه الرواية المختلفة، فجاءت الروايات موزعة في الشرح تترجح مواضعها، لتكون تارة في أول شرح البيت، وتارة في ثناياه، وتارة ثالثة في آخره.

وتمثل إثباته لهذه الروايات التي تطال مكونات البيت، في أن يسجّل كل خلاف حول الحرف أو حركته [١]، أو حول اللفظة أو الجملة [٢]، فيذكر موضع الخلاف في مكانه، أو يُضطر لإعادة رواية البيت كاملا [٣]، أو إعادة شطره [٤].

كما كان تعامل ابن كيسان مع هذه الروايات قائما على الحيادية والاستقلالية، فلم يرجح شيئا من هذه الروايات، وإنما فتح المجال للقارئ كي يحكّم عقله في التأويلات التي يقدمها له في كل رواية، لذلك لم يسند الروايات إلى أصحابها حتى لا يتأثر القارئ بالعصبيات التي كانت سائدة في ذلك العصر، فقد يتأثر بعصبيته الإقليمية أو القبلية أو المذهبية إذا سمع بأصحاب الروايات.

لذلك اقتصر تعامله معها في حدود توضيح المعاني والأوجه النحوية التي تختلف باختلاف الحركات الإعرابية، فإذا كانت الرواية لا تغير المعنى كان يكتفي بذكرها أو التصريح بعدم تأثيرها، وكان يقول بعد ذكره للرواية الأخرى: " المعنى واحد أو المعنى متقارب "، ففي بيت امرئ القيس:

٥- كَـدَأبِكَ مِـن أمِّ الحُوَيرِث قَـبلَها وجَـارَتِها أمِّ الـرَّبَـابِ بِمَأسَـلِ [٥]

صرح بأن الرواية الأخرى لا تؤثر في المعنى، قائلا: " كَدَأبك: أي كعادتك؛ ويُروى: كَدِينِكَ، وهو مثله في المعنى؛ وكذلك الدَّيدَن " [٦].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٥٤، ٦٤، ٩٨. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٥١، ٦٧، ٦٨.

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٥. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٦٠، ٦١.

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٠ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٧ ، ٨٣. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٧.

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي بيت آخر لامرئ القيس:

٦٥- أعِنّي على بَـرْق أريكِ وميضَهُ كَـلَمْع اليَـدَيْن فـي حَبِيٍّ مُـكَلَّل [١]

يصرح بأن المعنى متقارب، فيقول: " ويُروى: « أصاح تَرَى بَرْقاً »، ومعنى قوله: «أصاح تَرَى بَرْقاً» و« أعِنّي على بَرْقٍ » متقارب " [٢].

وإذا جاءت الروايات الأخرى لألفاظ البيت تغيّر في المعنى العام له، فإنه يشرح المعنى في الأوجه المختلفة كلها، وكأنها جزء من البيت، لكنه لا يبين أسباب هذا الاختلاف، وبهذا يكون قد نثر روايات البيت ومعانيها أمام القارئ كي يختار ما هو مناسب منها.

ويظهر ذلك في شرحه لبيت امرئ القيس :

٤٤- ألا أيُّها الليلُ الطَّويلُ ألا انْجَـلي بِصُبْح وما الإصْباحُ فـيكَ بأمْـثَل [٣]

" ويُروى: وإنْ كُنْتَ قد أزْمَعْتَ ذلكَ فافْعَل .

قال أبو الحسن: ومعنى هذا البيت أن الليل لما اعتمده بالطّول ليختبر ما عنده، أظهرَ جَزَعه، وسأله أن يَنْجلي، أي ينكشف له عن الصُّبح. ثم قال: وما الإصباح فيك بأمثَلَ منك فيما يُصيبني من الوَجْد على هذه المرأة؛ أي استوى عليّ فيها الليل والنهار. ومن قال: « وإن كنتَ قد أزْمَعْتَ ذلكَ فافْعَل »، أي إن كنت أزمَعْت على أنْ تَنْجَلي، فعجّل ذلك استراحة معه إلى الخروج إلى حالة من حالته التي هو عليها " [٤].

أما إذا جاء اختلاف الرواية في الحركة الإعرابية لبعض الألفاظ، فاعتنى ابن كيسان بأن يؤوّل الأوجه الإعرابية مكتفيا بذلك دون الترجيح لأي من هذه التأويلات، وقد اتبع هذا التأويل فقط في بيتين لامرئ القيس، ففي البيت الثامن من معلقته:

٨- إلا ربَّ يـوم لكَ مِنْهُنَّ صـالح ولا سيّـما يـومٌ بـدارة جُلْـجُل [٥]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٩٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٩-١٠٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٨٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٨٣. ومثال آخر: ص١٠٣-١٠٤ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٦١-٦٢، ٨١.

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال ابن كيسان في شرحه: " ولا سيَّما: لا مِثْلَ ما. ويوم: يُروى بالرفع وبالخفض؛ فمن خفَضَهُ جعل (من) صلة، وأضافَ سيّما إلى يوم، ومن رفع اليوم جعل (ما) بمعنى الذي، أراد: ولا مثل الذي هو يومٌ بدارَةَ " [١].

وفي البيت الخامس والعشرين من المعلقة:

٢٥- فقالتْ : يمينَ اللهِ مالكَ حِـيلةٌ وما إنْ أرَى عَنْكَ الـغوايَةَ تَنْجَلي [٢]

قال في الشرح: " يمينَ الله، أي أحلِفُ بيمين الله، فلما ألقى الباء نَصَب على إضمار الفعل. وروى بعضهم: « يَمينُ الله » بالرفع، أي يمينُ الله قسمي. مالكَ حِيلةٌ، أي ما لكَ حُجَّة فيما أتيت " [٣].

وبذلك نخلص من العرض السابق أن ابن كيسان كان له منهج خاص في التعامل مع الرواية في شرحه، وانقسم هذا المنهج ليشمل: التحقق من متن القصائد ونسبتها إلى الشاعر، تمّ ذلك بالمفاضلة بين روايتين للقصائد، إحداهما كوفية وهي لبندار الأصبهاني، والأخرى بصرية للمبرد، للتحقق مما هو زائد أو منحول، حتى يعتمد ترتيبا معينا للقصائد، يتناسب مع الترتيب الذي كانت عليه عند ولادتها.

والقسم الثاني من منهجه تمثل في إثبات الروايات المختلفة لألفاظ البيت الشعري، دون إسناد الروايات لأصحابها أو ترجيح رواية على أخرى، وإنما اكتفى بإثبات كل اختلاف في الألفاظ، وتقديم المعاني والتأويلات لكل اختلاف، وإن كان تأثيره واضحا على المعنى أو الإعراب .

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٦٤ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٦٤-٦٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منهج ابن الأنباري في الرواية

توسع ابن الأنباري بهذا الجانب في شرحه، ولعل السبب في هذا يعود إلى تعدد مصادره التي استقى منها ثقافته وتنوعها، بالإضافة إلى قدرته العالية على الحفظ ورواية الشعر. ومن خلال هذا التوسع، رُسم لنا منهجه الذي اتبعه في الرواية، ليشمل أيضا التحقق من نسبة الأبيات وترتيبها في القصائد، والإلمام بالروايات المختلفة للبيت الشعري.

أولا: التحقق من نسبة الأبيات للشاعر.

حاول ابن الأنباري أن يفاضل بين عدد من روايات القصائد السبع التي رواها بعض الثقات، ليتوصل إلى العدد والترتيب الذي أجمع عليه العلماء، ولم يفرق في هذا بين بصري وكوفي، فقد كانت مفاضلته بين روايات تنتمي للقطبين، ولكن في غالب الأمر كان اعتماده الرواية الكوفية كأصل ثابت، يضيف عليها ما ذكر في رواية البصريين.

ففي قصيدة امرئ القيس اعتمد في روايته العليا على رواية يعقوب بن السكيت الكوفية، بدليل قوله بعد شرح البيت رقم (٤٧) من المعلقة: " لم يَرو هذا البيتَ الأصمعي، ورواه يعقوب وغيره " [١]. وقوله بعد البيت رقم (٦٢): " وروى محمد بن حبيب هذا البيت في هذا الموضع، وليس هو موضعَه عند يعقوب وغيره " [٢]. أما الروايات الأخرى التي فاضلها مع الأصل، فهن: روايتان بصريتان للأصمعي وأبي عبيدة [٣]، وروايات كوفية لكل من: أبي عمرو الشيباني [٤]، وابن الأعرابي [٥]، ومحمد بن حبيب [٦]، وخالد بن كلثوم، وهشام الضرير، والأخفش. [٧].

واعتمد ابن الأنباري في قصيدة طرفة بن العبد في روايته العليا على رواية أبي عمرو الشيباني الكوفية، بدليل قوله بعد شرح البيت رقم (١٠٠) من المعلقة: " وروى أبو عمرو

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٧٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٩، ٢٣، ٤١، ٧٩، ٨٢، ٨٥، ٩٨ ، ١٠٣، ١٠٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٤ ، ٥٤ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٨٥ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٣٦ ، ٧٧ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ١٠٩ .

[٧] المصدر نفسه، ص ١٠٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشيباني ها هنا بيتاً لم يَرْوه الأصمعيّ ولا ابن الأعرابي" [١]. أما الروايات التي فاضلها مع الأصل، فهنّ روايات: الأصمعي[٢]، وأبي عبيدة [٣]، والتوّزي البصرية [٤]، وروايات ابن الأعرابي [٥]، والطوسي [٦]، وابن السكيت [٧]، والرستمي [٨]، وأبي جعفر الكوفية [٩].

واعتمد في قصيدة عنترة بن شداد رواية الرستميّ [١٠] باعتبارها رواية أصلية، بما فيها من آراء له حول التحقق من ترتيب الأبيات ونسبتها، بدليل أنه كان يفاضل دائما بينها وبين رواية أبي جعفر الكوفية، كأن يقول: " قال: الرستمي ..."، وبعدها يقول:" وقال أبو جعفر..." [١١]، والدليل الثاني أنه لم يورد أي تغير في ألفاظ الأبيات يُنسب إلى الرستمي، ليدلل على أن المتن الذي اعتمده في القصيدة كان رواية الرستمي. أما الروايات الأخرى التي فاضل بها فهنّ: روايتان بصريتان للأصمعي وأبي عبيدة [١٢]، وروايات كوفية للمفضل [١٣]، ولابن السكيت [١٤]، ولأبي جعفر [١٥]، ولثابت بن أبي ثابت [١٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٣٣، ١٤٥، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٧، ٢٢٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٧٢، ٢٠٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٥٢، ١٥٤، ١٧٤، ١٨٧، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٠ ، ٢٢١ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٧٢، ٢٠٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٥٤، ١٦٠، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ٢٠٠، ٢٢١.

[٧] المصدر نفسه، ص ١٥٤ ، ١٩١ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٢٠٨ .

[٩] المصدر نفسه، ص ١٦٩، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٨، ٢٠٩.

[١٠] الرستمي: هو عبدالله بن محمد بن رستم ، مستملي يعقوب بن السكيت. أبو جعفر : هو أحمد بن عبيد ابن ناصح، يعرف بأبي عصيدة، وروى عنه أبو محمد القاسم الأنباري، (انظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٢٠٨ ، ٢٠٤) .

[١١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٢٨ ، ٣٦٦ .

[١٢] المصدر نفسه، ص ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٨ .

[١٣] المصدر نفسه، ص ٣٢٢ .

[١٤] المصدر نفسه، ص ٢٩٤ ، ٣٦٠ .

[١٥] المصدر نفسه، ص ٣٢٢ ، ٣٢٨ .

[١٦] المصدر نفسه، ص ٣٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استمر ابن الأنباري على هذا المنهج في باقي القصائد، فكان يعتمد إحدى الروايات الكوفية أصلا له، ومن ثم يفاضلها مع غيرها من الروايات المشهورة الكوفية والبصرية.

وبفضل هذه المفاضلات بين روايات القطبين استطاع ابن الأنباري أن يتعرف إلى الترتيب الصحيح للأبيات في كل قصيدة، وأن يشير إلى المنحول والمضاف فيها، فيذكر كل ذلك في موضعه، نقلا عن أصحاب الروايات التي فاضل بينها.

ففي ما يخص ترتيب الأبيات، كان ابن الأنباري يسير وَفق ترتيب روايته التي اعتمدها، فإذا ورد ما يخالفها عند أصحاب الروايات الأخرى، كان يشير إليه في موضعه. ففي البيت رقم (٦٢) من قصيدة امرئ القيس، أشار ابن الأنباري إلى خلاف دار حول موضع البيت، فقال: "وقال بعض البصريين: وروَى هذا البيت في هذا الموضع:

« وأنْتَ إذا استدبَرْتَه سَدَّ فَــرجَه يضافِ فُويقَ الأرض ليس بأعــزل »

وروى محمد بن حبيب هذا البيت في هذا الموضع، وليس هو موضعَه عند يعقوب وغيره:

« كأنَّ الثريَّا عُلقت في مَصَامــِها بأمــراس كتّان إلى صُــمّ جَــنْدل » [١]

وفي البيت رقم (٦١) لعمرو بن كلثوم، أشار ابن الأنباري إلى خلاف آخر دار حول موضعه، وقد أخّره بعض الرواة في القصيدة فجعلوا ترتيبه رقم (٧٥)، فصرح ابن الأنباري بهذا قائلا بعد البيت رقم (٧٤): " وروى بعضُ الرواة :

وأنَّا التــاركون لِمــَا سَــخِطــنا وأنَّــا الآخــذون لِــمَا رضــينــا

متَّصلا بهذا البيت المتقدّم، أعني الذي آخره (لمجتدينا)، وقد ذكرته أنا في غير هذا الموضع من القصيدة " [٢].

وأما المنحول في القصائد ، فقد تعامل معه ابن الأنباري بصور مختلفة، فكان يصرح بآراء بعض العلماء الثقات أن البيت منحول، وجاء مثل هذا في البيت الثالث من قصيدة امرئ القيس، إذ قال: " قال الأصمعي: هو منحول لا يعرف " [٣]، وفي البيت رقم (٨٨) من قصيدة

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٩١-٩٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤١٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عمرو بن كلثوم. وقال أيضا: " وقال أبو جعفر: هذا البيت منحول. ورواه جماعة من الرُّواة غيره "[١].

وكان يكتفي بنفي نسبة البيت للقصيدة، كما جاء في البيت رقم (٨٥) من قصيدة عمرو ابن كلثوم، قائلا: " قال المفضل: هذا البيت الذي أوّله (ليستلبنَ) ليس هو من هذه القصيدة "[٢]، أو أن ينفي تعرّفه إلى البيت في القصيدة، كما قال ابن الأنباري ناقلا رأي أبي جعفر: "لا أعرف هذا البيت في قصيدة طرفة "[٣]، وفي أحيان أخرى كان ينفيه عن الشاعر، وينسبه لشاعر آخر، فيقول برأي أبي جعفر: " ليس هذا البيت من قصيدة طرفة، إنّما هو لعديّ بن زيد العبادي "[٤]، وتكون كل هذه الإشارات بمنزلة التصريح بأنه منحول.

أما ما يخص الأبيات المضافة في القصيدة، فقد كان يضيفها إلى قصائده في المتن، ويشير إلى إضافتها، وعدم تعرف باقي الرواة إليها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في آخر قصيدة عمرو بن كلثوم، فقد قال ابن الأنباري بعد البيت رقم (٩١): " وهذا البيت آخر القصيدة في رواية أكثر الناس. وروى بعضُ الرُّواة فيها بعد البيت الماضي ثلاثة أبيات:

٩٢- لنا الدُّنيا و ما أمْسَى عليها ... ونَبطِشُ حِينَ نَبْطِش قادِرينا

٩٣- بُغاةً ظالِمينَ وما ظَلِمْنا ... ولكنا سنَبدأ ظالِمينا

٩٤- مَلأنا البَرَّ حتَّى ضَاقَ عنّا ... ونحنُ البحرَ نملؤُه سَفينا[٥]

عرفَ أبو جعفر البيت الأخير ولم يعرف البيتين الأخيرين اللذين قبله "[٦]، فما كان من ابن الأنباري إلا أن يعتمد رأي أبي جعفر، فاعتمد البيت الأخير من القصيدة وشرحه، أما البيتان الآخران؛ فاكتفى بذكرهما.

---

(١) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢٤ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٣ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٨ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٠٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٧-٤٢٨ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٧-٤٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: الروايات المختلفة للبيت الشعري

إن مفاضلة ابن الأنباري بين الروايات البصرية والكوفية امتدت لتشمل النظر في ألفاظ الأبيات، وقد اتسع عنده هذا المجال فكثر الخلاف في ألفاظ البيت الواحد لأنه اعتمد على نسخ كثيرة في المفاضلة، وقد حرص ابن الانباري على أن يسجل كل اختلاف في ألفاظ البيت، فتنوعت عنده أشكال هذا الاختلاف لتشمل بعض الألفاظ [١]، أو حروفها [٢]، أو حركاتها [٣]، وقد تطور الاختلاف فشمل شطر البيت [٤]، وأحيانا البيت كاملا [٥].

وتعامل ابن الأنباري مع هذا الجانب بأوجه مختلفة، وفقا لما يقضيه المعنى وتقتضيه الأمانة العلمية، ففي بعض الأحيان كان يكتفي بذكر ما في البيت من اختلاف، فيورده في أول تناوله للبيت، وأحيانا في آخر شرحه، مكتفيا بذكر هذه الروايات دون أن يشرحها أو يصرح بصاحبها، ويدل هذا على أنه اعتمد الرواية التي جاءت في المتن، ومن أمثلة هذا ما جاء في بيت عنترة بن شداد :

٧٤- ذَلِّلْ ركابي حيثُ شِئتَ مُشايعِي لُبِّي وأحفِزْهُ بأمرٍ مُبرَمِ [٦]

فقد استهل ابن الأنباري شرحه لهذا البيت، قائلا: " ويروى: مُشايعي هَمّي وأحفزهُ برأي مبرم " [٧]، وختم شرحه بذكر اختلاف آخر في الرواية، قائلا: " ويروى: مصاحبي عقلي" [٨]، دون أن يشرح الروايتين أو يصرح بصاحبيهما، ليوضح أنه اعتمد رواية المتن، وأن الروايتين لن تغيرا في المعنى العام للبيت.

وقد تطور الأمر عنده فذكر أصحاب الروايات المختلفة، خاصة إذا كانوا من العلماء الثقات المشهود لهم بالرواية الجيدة، فيذكر كل رواياتهم المختلفة لألفاظ البيت، وإذا كانت هذه الروايات تدفع بالمعنى وتحدث فيه شيئا من التغيير، كان يتبعها بالشروح التي قدمها العلماء،

---

(١) ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٨٨، ٢٦٣، ٣٩٢، ٤١٥ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٠، ٣٧٢، ٣٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤٠، ٢٦٣، ٣٩٣، ٤١٤ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٩، ٢٧٥، ٣٢٠، ٣٩١، ٤٠٩ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٨٣، ٣١٢، ٣٨٠، ٣٩٤ .

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦٢ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٣٦٢ .

(٨) المصدر نفسه، ص ٣٦٣ ، ومثال آخر، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحيانا أخرى يتحمل بنفسه مهمة توضيح التغيير في المعنى، ومثل ذلك في بيت طرفة ابن العبد :

٤٤- ولستُ بحَـلاَّلِ التـّلاعِ مَخَافـةً ولـكن مَتَى يَسترفِدِ القومُ أرْفِـدِ [١]

وبدأ ابن الأنباري في هذا البيت بشرح بعض ألفاظه، ثم بين أوجه الاختلاف في روايته، ذاكرا أصحاب الروايات وشروحهم، فقال: " وروى الأصمعي: (ولستُ بولاَّج التلاع). ويقول: لا أنزلها مخافة فتواريني من الناس حتَّى لا يراني ابنُ السبيل والضَّيف، ولكني أنزل الفضاء وأرفد من يسترفدني، وأعين من استعانني. وروى الطوسيّ: (ولست بحلاَّل التلاع ببيتِهِ). ويقول: لا أضرب بيتِي فأنزلَ في التلاع – وهي مَسايل جُوف تَسترُ من نزل فيها – ولكني أنزل الفضاءَ، ولا أنزل مكانًا يَخفَى، مخافة القِرىَ وحُلول من يحلّ بي " [٢].

وفي بعض الأحيان كان ابن الأنباري يتبع شروح الروايات هذه بأحكام يطلقها العلماء على رواياتهم أو الروايات الأخرى التي تختلف معهم، وهذه الأحكام كانت بمنزلة تدعيم للروايات، ومن هذه الأحكام، قوله: (لا أعرف هذه الرواية [٣]، أو هذه الرواية خطأ [٤]، أو أنكر هذه الرواية [٥]، أو هي الرواية الجيدة [٦])، ويبدو في هذه الحالات أن ابن الأنباري فتح المجال أمام القارئ كي يحكّم عقله وذوقه في هذه الروايات.

ولا يعني هذا أن ابن الأنباري لم تكن له بصمة في التعامل مع هذه الروايات المختلفة، بل كانت شخصيته تظهر في بعض المواضع من الشرح؛ فقد اعتمد على مهاراته اللغوية وذوقه الفني في التعامل مع بعضها، فإذا كان الاختلاف يطال الحركات الإعرابية، فهذا يعني أن اللفظ الذي تتغير حركته وَفقا للرواية، سوف يكون له أوجه إعرابية متعددة، فجاء ابن الأنباري ليضع بصمته، فيقدم كل الأوجه الإعرابية المحتملة، فمن يختار الرواية المناسبة يعتمد الإعراب الصحيح الذي قدمه ابن الأنباري، ومثال هذا وارد في شرحه للبيت العاشر من قصيدة طرفة ابن العبد :

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٨٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص١٨٦. وانظر أيضا: ص٣٢، ٢٨٠ ، ٣٢٠ ، ٣٢١، ٣٩٣.

[٣] المصدر نفسه، ص ١٩١ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٣ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٨٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٠٥ ، ٢٧٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- ووجهٍ كأنَّ الشَّمْسَ حلَّتْ رداءَها عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّونِ لمْ يَتَخَدَّدِ [١]

فقد ذكر ابن الأنباري الرواية المختلفة، وكل الأوجه المحتملة لها ولرواية المتن، فقال: "ويروى: (ووجهٍ كأنَّ الشمس)، فمن رفع الوجهَ كان له في رفعه أربعة أوجه:

أحدهنّ: أن يرتفع بإضمار ولها وجهٌ، ويكون قوله كأن الشمس حلّت رداءَها عليه صلة الوجه، ونقيّ اللون نعت للوجه، ولم يتخدّد مستأنَف، معناه الوصف للوجه.

والوجه الثاني: أن يرتفع الوجه بما عاد من يتخدّد، ويكون قوله كأن الشمس حلت رداءها عليه صلة الوجه، ونقيّ اللون نعت له.

والوجه الثالث: أن يرتفع الوجه بنقيّ اللون، ويرتفع نقيّ اللون بالوجه.

والوجه الرابع: أن يرتفع الوجه بما عاد من الهاء المتصلة بكأنّ، وفي هذا الوجه قبح، لأنّ النكرة لا ترتفع بما يلاصقها بعدها، لأنه صلةٌ جعل لها، والاسم لا يرتفع بصلته.

ومن خفض الوجهَ كان له مذهبان:

أحدهما: أن يختفض على معنى وتبدى عن وجه. والوجه الآخر: أن يختفض الوجه على النسق على الألمى؛ لأنّه لمّا قال: (وتَبْسِمُ عن ألمَى)، كان معنى الكلام وتُبدِى عن ألمى وعن وجه، فتنسِقُ الوجهَ على الألمى، ولا يُحتاج إلى إضمار فعل آخَر " [٢].

وفي مثال آخر وظّف مهارته اللغوية بالترجيح بين آراء العلماء التي يقدمونها كتعليل لاختلاف الرواية، ففي بيت عمرو بن كلثوم:

٥٥- ومِنّا قبلَه السَّاعِي كُلَيبٌ فأيَّ المَجْدِ إلا قَدْ ولَينا [٣]

عرض هشام الضرير رواية عالمين من علماء الشعر، قائلا: " روى بيتَ عمرو أبو عمرو والأصمعيّ بالنصب: " فأيَّ المجد إلا قد ولينا " بنصب أيّ. ولم يعرف هشام لروايتهما مذهبا " [٤].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٠٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثم عرض رواية عالمين من علماء النحو، مع ذكر تعليلهما، قائلا: " أنشد الكسائيُّ هذا البيتَ برفع (أيُّ)، بما عادَ من الهاء المضمرة، أراد: فأي المَجد إلاّ قد ولِيناه. قال: وإنّما أضمر الهاء لمّا لم يصل إلى نصب أيّ بولينا، وشبَّهه بقولهم: ما عبدُ الله إلاّ أضربُ، معناه ما عبد الله إلا أضربه، ونصبُ عبد الله خطأ. والفرّاء يرفع أيًّا بما عاد من الهاء المضمرة، ويحتجّ بأن أيًّا لها صدر الكلام، إذْ لم يسبقها العامل فيها، فصار الذي بعدها كالصلة، وأضمرت الهاء فيه كما تضمر في الصلة. ولا يجيز الفرّاء ما عبدَ الله إلا أضرب، على إضمار الهاء، لأنّ عبدالله لا يضمر له في خبره الهاء، إذ كان يكون قبله وبعده. ونصب عبد الله خطأ في قول جماعة من النحويين، لأن إلاّ لا ينصب ما بعدها ما قبلها "[1].

واستعان ابن الأنباري بخبرته اللغوية، واختار من بين هذه الروايات الرواية التي يراها أقرب للصواب، معللا اختياره لها، قائلا: " والصواب عندي رواية الكسائي، لأنّ (إلاّ) أداة مانعة تمنع ما بعدها من نصب ما قبلها "[2].

ونستنتج من العرض السابق أن المنهج الذي اتبعه ابن الأنباري في الرواية، كان يتحقق من نسبة الأبيات للشاعر، فيختار إحدى الروايات الكوفية المشهورة، ويعتمدها أصلا له، ومن ثم يفاضلها بعدد من الروايات الكوفية والبصرية، فينسق بين هذه الروايات ليضيف الناقص ويتعرف الزائد والمنحول، فيعتمد أبياتا وترتيبا معينا للقصائد.

كما كان يفاضل بين روايات البيت الواحد، فيسجل كل اختلاف طرأ على حرف أو حركة أو لفظة، وأحيانا يمتد الاختلاف ليشمل شطر البيت أو شطريه.

ويسجل كلَّ هذا في موضعه، ويتعامل معه بطرق مختلفة، فتارة يشرحها، وتارة يتجاهلها، وتارة يستعين بمهاراته ليرجح ما يراه مناسبا منها في خدمة المعنى.

---

[1] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٠٧ .

[2] المصدر نفسه، ص ٤٠٧. وانظر مثالا آخر: ص١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان وابن الأنباري

يُعد هذا الاتجاه من الاتجاهات السائدة في الشروح الشعرية خلافا لسواه من الاتجاهات الأخرى التاريخية والنحوية والنقدية البلاغية، ولكنه قد يقوى ويطرد في بعض الشروح، ويضعف في شروح أخرى، وفقا لثقافة الشارح وميوله. وكانت العلة في انتشار هذا الاتجاه في الشروح الشعرية كافة، تكمن في سببين: أحدهما: أن " اللغة من حيث هي ألفاظ أو تراكيب مضمومة إلى بعضها بعضا، تشكل قوام أي من النصوص الشعرية المقصودة بالشرح، وتشكل قوام أدوات الشارح ووسائله في تحقيق الغاية المرجوّة من الشرح " [١]، فأصبحت اللغة بذلك أهم أداة للشارح في تحقيق أهدافه. أما السبب الثاني؛ فيُعزى إلى الزمن الذي أُلفت فيه أكثر الشروح، إذ أُلف أغلبها في القرنين الثالث والرابع، أي العصر الذهبي لعلمي اللغة والنحو، إذ كانا مدار الدراسات في المساجد، ودور العلم على اختلاف نزعاتهم البصرية والكوفية، فكثُر بذلك تناولهما في الشروح الشعرية.

وقد مر هذا الاتجاه في الشروح الشعرية بمراحل متعددة في أثناء نموه، فهو كغيره من الفنون والعلوم، تكون لها بدايات بسيطة، تتقلب نشأتها مع تقدم الزمن إلى أن تصل إلى القمة في مراحل النضج. فهذا الاتجاه بدأ في الشروح يسيرا يقتصر على أداء التفسير بأقرب عبارة، وحين وصل إلى أيدي علماء اللغة من شراح الطبقة الثانية، أخذ اتجاها جديدا في تفسير الغريب، فلم يعد يقتصر على بيان معنى المفردات فحسب، وإنما أخذ يتوسع في عرض النظائر وبحث المعاني المشتركة للفظة الواحدة. وعندما انتقل إلى رجال الطبقة الثالثة من الشراح وكانوا تلاميذ لشيوخ كُثر، ازدادت حدّته فحاول هؤلاء التلاميذ جمع الأقوال التي استقوها من شيوخهم وحصرها في الشروح الأدبية، إلى أن جاء شرّاح الطبقة الرابعة لينسقوا بين هذا الحشد الهائل من الآراء اللغوية، فيسلموا مادتهم إلى لغويين محترفين من شرّاح الطبقة الخامسة، ليلحظ هذا الاتجاه تطورا واضحا، تصبح الشروح فيه كأنها كتب لغوية غايتها مسائل اللغة، ومذاهب العلماء، ووسيلتها الأشعار المشروحة [٢].

وبعد أن وصلت الشروح الشعرية إلى الطبقتين الرابعة والخامسة، بدأت تتحدد اهتمامات هذا الاتجاه اللغوي ومحاوره، فشملت محورين أساسيين، هما:

---

[١] زردة، يوسف حمزة، (١٩٩٦)، اتجاهات شروح الشعر في التراث العربي ومناهجها حتى نهاية القرن السادس الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تشرين، دمشق، سوريا، ص ٧٧ .

[٢] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **محور شرح ألفاظ البيت المفردة .**
- **محور شرح المعنى العـــام للبيت .**

وهذا هو المنهج الذي اتبعه كثير من الشراح إن لم يكن كلهم، "يبدؤون بالجزء، ويتدرجون إلى أن ينتهوا إلى الكل، ويتوسلون بالجزئيات للوصول إلى الكليات. ومن هنا، فقد كان تفسيرهم يَسيرُ في خطّ توضيحي تصاعدي، خطوة تؤدي إلى أخرى وتساعد في الوصول إلى ما بعدها إلى أن يكتمل الشكل العام للشرح " [١].

ويبدو أيضا أن الشراح بهذا التقسيم قد تأثروا بقضية اللفظ والمعنى التي سادت في الأوساط العلمية في عهد الجاحظ (٢٥٥هـ) ومَنْ بَعدَه، وهي قضية شغلت المفسرين واللغويين والبلاغيين والنقاد والأصوليين، فانقسموا إلى جماعات وأنصار، جماعة انتصرت للفظ على المعنى، وجماعة قدمت المعنى على اللفظ، وجماعة توسّطت مع الجانبين فساوت بينهما.

ولا يهمنا في هذا المقام عرض هذه القضية، بقدر ما يهمنا إدراك الشرّاح للفرق بين اللفظ والمعنى، وأنهما عنصران مكمّلان لبعضهما في عملية الفهم. فالألفاظ لها دلالات خاصة اتفق عليها أصحاب اللغة، ولها دلالات أخرى تقدّمها من خلال السياق اللغوي الذي تُصاغ فيه، وهناك فرق بين دلالتها مفردة، ودلالتها في السياق، لذلك يحاول الشارح عادة شرح الألفاظ مفردة ثم يشرح المعنى العام للبيت من خلال نظرته فيها. ويوضح إبراهيم خليل هذه العملية في تحليل النصوص، قائلا: " لا نستطيع أن نوضح لك كيف تستخلص المعاني من النظم إلا بعد أن نقدم لك توضيحا حول طبيعة الكلمة، وصلتها بالمعنى النصي " [٢].

وجاءت أيضا عناية الشراح بالاتجاه اللغوي بشرح اللفظ والمعنى كل على حدة لغايات أخرى، فاهتمامهم باللفظ جاء متلائما مع " رغبتهم في تدوين أكبر قدر ممكن من مفردات التراث الشعري، بأقل وقت ممكن؛ لأن مفردات هذا التراث باتت مهدّدة بالضياع أو التشوه بتأثير الشعوبية " [٣]، أما شرح المعاني العامة، فجاء لتدارك أي نقص وقع به الشارح في تفسير مكونات البيت، باعتباره أحد مآخذ الشراح بعضهم على بعض في عدم الوصول إلى معنى الشعر الحقيقي الذي قصده الشاعر، ليتحول بعد ذلك هذا المحور عند الشراح أداة للتنافس.

---

[١] العمري، منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، ص ١٣٤ .

[٢] خليل، إبراهيم، (١٩٩٥)، النص الأدبي: تحليله وبناؤه، ط ١، عمان: دار الكرمل، ص ٧١ ، ٧٢ .

[٣] زرده، اتجاهات شروح الشعر في التراث العربي ومناهجها حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد هذا العرض الموجز للاتجاه اللغوي في الشروح الشعرية، ننتقل لملاحظة ومعاينة هذا الاتجاه ومحاوره في شرحي ابن كيسان وابن الأنباري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الاتجاه اللغوي عند ابن كيسان

كان ابن كيسان من علماء اللغة البارزين في عصره؛ فقد درس اللغة وأبدع فيها فصار مصدرا ثقة من مصادر اللغويين من بعده، ويمكن لنا أن نتبين هذه الرتبة التي احتلها في علوم اللغة مما قاله عنه المترجمون ومن مؤلفاته اللغوية، ومن آرائه التي انتشرت في كتب التراث.

وقد أثنى عليه بعض المترجمين في هذا المجال، فنعته ابن تغري بردي " باللغوي " [١]، وأشار ابن العماد العكري كثرة تأليفه في اللغة، قائلا: " صاحب التصانيف في الغريب " [٢]، وأسرف الصفدي بمدحه، قائلا: " اللغوي الإمام الفاضل، أحد المذكورين بالعلم والموصوفين بالفهم ....، وله التصانيف والأقوال المشهورة في التفاسير ومعاني القرآن، وكان فوق الثقة "[٣]. أما أبو حيان التوحيدي، فوصف حلقته، قائلا: "ما رأيت مجلسا أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم، خاصة فيما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجلس ابن كيسان، حتى قال الصابي هذا الرجل من الجن إلا أنه في شكل إنسان " [٤]. كل هذا المدح والثناء كفيل بأن يبين مكانته وتفوقه في علوم اللغة.

وقد ألف ابن كيسان كثيرا من المصنفات التي تختص بعلوم اللغة منها: غلط أدب الكاتب، وغريب الحديث، ومعاني القرآن، ومصابيح الكتّاب [٥]، والمصابيح في تفسير القرآن العظيم [٦]، وكتاب الفرق بين السين والصاد [٧].

---

[١] ابن تغري، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، ج ٣، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت)، ص ١٧٨ .

[٢] ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي،(ت١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،ط١،ج٣،(تحقيق:محمود الأرناؤوط)، دار ابن كثير،بيروت،١٩٨٦،ص٤٢٢.

[٣] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات، ج ٢، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٢٤ .

[٤] المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥ .

[٥] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٢٥ .

[٦] سزكين، فؤاد، (١٩٧١)، تاريخ التراث العربي، ج ١، (ترجمة: فهمي أبو الفضل)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ص ٢٢٢ .

[٧] ششن، رمضان، (١٩٧٥)، نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد، ص ١٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما آراؤه اللغوية، فقد انتشرت وتوزعت في كتب التراث، ونقلها عنه معاصروه والمؤلفون من بعده، وسنذكر بعضها لإثبات براعته في اللغة. فمن الآراء التي تدل على معرفته في تفسير الغريب، ما جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة؛ إذ فسّر ابن كيسان لفظة (سفواء)، قائلا: "سفواء هنا السريعة يعني بغلة " [١]، وما جاء في تفسيره للفظة (القينة) في أخبار الزجاجي، قائلا: " إنما سميت المرأة قينة؛ لأنها تعمل بيديها. فقد جمعت مع التزيّن والتحسّن إنها تعمل بيدها " [٢]. أما آراؤه اللغوية التي دلّت على معرفته بلغات العرب، فيشهد له ما جاء في كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري، ليبيّن تفسير (الذي) في شطر البيت: (وإن الذي حانت بفلّج دماؤهم)، ويوضح أن المقصود بها (الذين)، معلّلا ذلك بقوله: " هذه لغة ربيعة يحذفون النون فيكون الجمع كالواحد " [٣]. وفي موضع آخر من كتاب إعراب القرآن للنحاس، قال في الآية (والراسخون في العلم) [٤]: " الراصخون بالصاد لغة لأن بعدها خاء " [٥]. كل هذه الدلائل تبين براعة ابن كيسان وتفننه في مسائل اللغة.

وقد انعكست هذه البراعة وهذا العلم على شخصيته في شرح القصائد السبع الطوال، ليهيمن الاتجاه اللغوي على جوانب عدة من شرحه، فيكون الاتجاه السائد فيه. ونحا ابن كيسان ما نحاه الشرّاح في عصره، فقد برز الاتجاه اللغوي عنده في محورين اثنين، هما: محور شرح الألفاظ المفردة، ومحور شرح المعاني العامة للأبيات. وباستقراء مادة الشرح عند ابن كيسان سنقف على مظاهر هذين المحورين في شرحه بالتفصيل.

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ)، أدب الكاتب، (تحقيق: محمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢، ص ١١٠ .

[٢] الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي، (ت ٣٣٧ هـ)، أخبار أبي القاسم الزجاجي، ط١، (تحقيق: عبد الحسين المبارك)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٠٥ .

[٣] البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ج ١، ص ٣٥ .

[٤] القرآن الكريم، سورة (آل عمران)، الآية رقم (٧) .

[٥] النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت ٣٣٨ هـ)، إعراب القرآن، ط١، ج١، (علق عليه: عبدالمنعم خليل إبراهيم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ص ١٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : شرح الألفاظ المفردة.

كانت الألفاظ المفردة هي المحور الرئيس في الشرح، وقد اعتنى ابن كيسان بها ليحقق الهدف الأسمى من الشرح، فراح يبين المعاني الدقيقة في كل لفظة، ويتناول القضايا اللغوية فيها، قبل أن يخوض في توضيح المعنى العام الذي يقصده الشاعر، فيمكن لنا أن نُعِد هذا المحور تمهيدا يسبق المعنى العام.

وأول مظاهر هذا المحور **تفسير الغريب**، ونعني بالغريب " المفردات غير الشائعة ولا المعروفة في الاستعمال العام، لا يعرفها إلا ذوو البصر بمتن اللغة، أو المفردات التي لا تخضع لقواعد الصياغة العربية المشهورة " [١]. وجاءت عناية الشراح بتفسير المفردات الغريبة دون غيرها؛ " لأن المفردات الأخرى كان من السهل على القارئ العادي في رأيهم أن يعرف معناها، أو يستنتجه من سياق الكلام " [٢]. وكان السبب في انتشار الغريب في الشعر الجاهلي أن الفتوحات الإسلامية دفعت لتمازج العرب بالأعاجم، " فأصيبت اللغة بتطور في بعض ألفاظها، مما أدى إلى ابتعاد الناس عن المعاني القديمة للألفاظ، والابتعاد عن كثير من ألفاظ الجاهلية. وبهذا، أصبحت بعض الألفاظ المستعملة في الشعر ألفاظا غريبة تستدعي الشرح والتفسير" [٣]. من هنا، فقد انتشر تفسير الغريب في شرح ابن كيسان، ومن أمثلته في بيت عمرو بن كلثوم:

٨- **قِفِي نسْأَلكِ: هَلْ أَحْدَثتِ صُـرْمَاً لِوَشْـكِ البَيْنِ أم خُـنْتِ الأَمِيـنَا؟** [٤]

" الصُّرم: القطيعة؛ صرم أمره: قطعه. والوشك: السُّرعة. والبين: الفراق. والأمين: الحافظ للسرّ ولما استُودِعَ " [٥].

ويدخل في إطار تفسير الغريب عند ابن كيسان، التعريفات التي ساقها لبعض مكونات البيئة الجاهلية، فالشاعر الجاهلي من عادته في شعره أن يصور بيئته، ويتحدث عن مكوناتها من نباتات، وحيوانات، وطبيعة ، ويذكر ما يخص حياته من ألبسة، وأسلحة، ولهو، وشرب. ولم

---

[١] حسان، تمام، (١٩٨١)، الأصول: دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط ١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ص ٢٧٩ .

[٢] درويش، عبد الله، (١٩٥٦)، المعاجم العربية: مع اعتناء خاص بمعجم الخليل بن أحمد، ط ١، الرسالة، ص١،٢.

[٣] تحريشي، النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص ٣٤ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم ، ص ٤٩

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٠. وأمثلة أخرى لتفسير الغريب: ص ٥٢ ، ٨٣ ، ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجد الشارح أمامه سبيلا لإيصال المعنى سوى تعريف هذه العناصر حتى يستقيم الفهم عند المتلقي، الذي ابتعد عن البيئة الجاهلية منذ زمن طويل، ومن أمثلة هذه التعريفات في شرحه ما جاء في قول امرئ القيس:

٥٣- له أيْطلا ظبْيٍ وَساقا نَعامَةٍ وإرْخاءُ سِرْحانٍ وتَقْريبُ تَتْفُلِ [١]

" والإرخاء: العَدْو. والسِّرحان: الذئب. والتقريب: دُوَين العَدْو. والتَتْفُل؛ ولد الثعلب، وجعله ههنا: الثعلب؛ والثعالِبُ عَدوها التقريب، ويُستحسن ذلك. والذئب لا يتقارُّ إنما يمرّ كالريح، ومن ذلك سُمّي ذئباً، لأنه يقال: تَذاءبَت الريح، إذا جاءت من كل وجه، والذئب يعدو في كلّ وجه " [٢].

ويُعد النظر في **البنية الدلالية** للمفردة، من مظاهر عناية ابن كيسان بالألفاظ، فقد بحث في أصلها، والتطور الذي أصابها، فراح يقلب المفردة ويضعها في عبارات مختلفة حتى يتوصل إلى أصلها الدلالي، ففي قول عمرو بن كلثوم:

١- ألا هُبّي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأنْدَرِينا [٣]

جاء باللفظة (هبّي) في عبارات مختلفة ليتوصل لأصلها الدلالي، قائلا: " هبّى: انتبهى وقومى من منامك؛ هَبّ الرجل من نومه يَهُبّ هبًّا: إذا استيقظ ووثب من مكانه أو تحرك فيه. وهَبّت الريح تَهُبّ هبوبا: حين تتحرك وتبتدئ. وهبّ الفحل يَهُبّ ويَهِبّ هِبابا: إذا هاج للضِّراب. وأصلهنّ جميعا الحركة والهَيَجان " [٤].

أما بحثه في التطور الدلالي، فكان من خلال تناول المفردة التي حملت المعنى أولا، ثم يصرّفها ويقلبها ليبين كيفية اكتساب المفردات الأخرى للدلالة ذاتها أو بعض سماتها، ونلحظ مراقبته لهذا التطور في شرحه قول امرئ القيس:

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس ، ص ٩٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٠. وأمثلة هذه التعريفات في شرحه كثيرة، منها: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، النبات: ص ٧٥، الحيوان: ص ٨٥، الطبيعة: ص ٥٦، الأواني: ٨٧، الألبسة: ص ٧٧، الملاهي: ص ١٠٩، الإنسان: ص ٦٨. وفي شرح معلقة عمرو بن كلثوم، النبات: ص ٦٢، الحيوان: ص ٥٢، الطبيعة: ص٥٢، الأواني: ص٤٢، الأسلحة: ص١٠٣، الملاهي: ص ٤٥.

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم ، ص ٤١ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤١ ، ٤٢ . وأمثلة أخرى لأصل الدلالة: ص ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٨- إلى مثلِها يرنو الحليمُ صبابَة إذا ما اسبكرّت بين درْع ومِجْوَل [١]

قائلا: " يرنو يُديم النّظر، والرُّنُوّ: نظر ساكن دائم. ومن هنا، قالوا: كأسٌ رَنّوْناةٌ أي دائمة. والحليمُ: العاقلُ، وأصل الحِلْم العقل. والصَّبابة: رقة الشوق، لذلك يقال: هو صَبٌّ به، وهي صَبَّة بفلانة، وهو الذي يكاد يبكي من الحبّ. واسبكرّت: اشتدت، ويقال للمرأة إذا انتهى شبابها: مُسْبكِرّة. ويقال: اسبكرّت : انتصبت واعتدلت. واسبكرَّ في مَشْيه: استقام واعتدل، ولم يَنْحن به " [٢].

وقد تطوّرت دراسته للدلالة، فقام برصد الآراء المختلفة، والأوجه المحتملة لدلالة المفردة، دون أن ينسب هذه الآراء أو يرجّح بعضها، وقد ساق ابن كيسان مثل هذا في شرحه قول عمرو بن كلثوم:

١٧- وَلاَ شَمْطاءَ لمْ يَتْرُكْ شَقاها لَهَا مِنْ تِسْعَة إلاَّ جَنِينا [٣]

قائلا: " وقوله: إلا جنينا، فيه قولان؛ الجنين: الولد ما كان في البطن، فإذا ولدته قيل: ألقت جنينها. فهو جنين ما كان في البطن وساعة يولد، ثم يزول عنه هذا الاسم. وقيل: بل أراد الجنين المقبور؛ لأن القبر يقال له: الجَنَن، والميّت: المُجَنّ؛ يقال: أجنُّوه بمعنى دفنوه، فيقال: جنين بمعنى مُجَنٌّ، كما تقول: مُعقد وعَقِيد " [٤].

ويُعدّ **ضبط الألفاظ** من مظاهر عناية ابن كيسان، فقد وضّح هذا الضبط بالرسم تارة، وبالعبارة تارة أخرى، ويرجع اهتمامه بهذا الجانب إلى تشابه بعض المفردات في البنية واختلافها في المعنى وفقا لاختلاف حركاتها، فتوضيحه للحركات كان حرصا واضحا لتجنب التداخل في المعاني، وقد ورد ضبط الألفاظ بالرسم عند ابن كيسان في غير موضع، فمنها ما جاء في شرحه قول عمرو بن كلثوم:

٤٣- بأيِّ مَشِيئَةٍ عَمْرَو بن هِنْدٍ نَكُونُ لِخَلْفِكُم فِيها قَطِينا [٥]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس ، ص ٧٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٦ . وأمثلة أخرى للتطور الدلالي: ص ٥٤ ، ١٠٨. وشرح معلقة عمرو ابن كلثوم، ص ٥٣ ، ٧٤ ، ١١١ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٦ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٧. وأمثلة أخرى : ص ٧٦ ، ٩٥ . وشرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٨ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائلا: " ومن قال: لِخَلْقِكم، فإنه أراد: لنسلكم. والخَلْف: النسل الرديءُ، والخَلَفُ: الذي يقوم مقام الشيء، جيّداً كان أو رديئا؛ فلان خَلَفٌ من أبيه، وفلان خَلَف سوءٍ. ولا يكادون يقولون: خَلْف صدق، ولكنهم يقولون: خَلَف صدق " [١].

أما إذا خشي على الألفاظ من الخطأ أو التصحيف، فيلجأ إلى ضبطها بالعبارة، ومثله ما جاء في شرح قول امرئ القيس:

٣٢- وفَرْعٍ يَزِينُ المتنَ أسودَ فـاحِمٍ أثـيثٍ كَقِنـو النَّخْـلَةِ المُـتَعثكِلِ [٢]

فقد قال: " القِنو: العِذْقُ، وهو الكِباسَة. والعَذْقُ – بفتح العين: النخلة " [٣].

وتوضيح **اللهجات** من مظاهر شرح الألفاظ عند ابن كيسان، فقد اختلفت لغة العرب وجاءت على لهجات عدة، كما أكد الرسول – صلى الله عليه وسلم – هذا، بقوله: " إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا منه ما تيسر " [٤]، وهذا الاختلاف غالبا ما يحصل في بعض القضايا الصوتية والصرفية والدلالية، وقد صرّح ابن فارس بهذا في أثناء عرضه لوجوه لغات العرب في كتابه " الصاحبي في فقه اللغة " [٥].

ويبدو أن ابن كيسان في إشارته إلى لهجات العرب، استخدم مصطلح " اللغة " الذي شاع استخدامه بين اللغويين العرب القدماء [٦]، ومن أمثلة إشارته للهجات في الشرح ما جاء في قول امرئ القيس :

٣٩- كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياضِ بِصُـفْرَةٍ غَـذاها نَمِيرُ المـاءِ غَيْرَ مُحَـلَّلِ [٧]

حين شرحه قائلا: " والبكرة: يعني به بيضة النعامة أول ما باضت؛ فالنعامة يكر، وبيضها يكر. والمُقاناة: المخالطة؛ تقول: قانَيْتُ بين الشيئين، ويقال: ما يُقانِيني خُلُق فلان، أي لا

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٢ . ومثال آخر: ص ٤٨ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٧١ . وأمثلة أخرى : ص ٦٩ ، ٩٨ .

[٤] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، ط ١، مصورة عن السلطانية، ج٣، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٢٢ .

[٥] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ج ١، ص ٢٥ – ٢٧ .

[٦] الراجحي، عبده، (١٩٧٤)، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، ص ١١٠ – ١١٢ .

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يختلط خُلقه بخُلقي، أي لا يُشاكلني؛ فالمُقاناة اختلاط الصُّفرة بالبياض. فكأنه قال: كَيكَر البَيْض المُقاني، إلا أنه أخرجه على التأنيث؛ لأنّ كلّ جمع واحدُه بزيادة هاء على لفظه يذكّر في أكثر اللغات، ويؤنّثه أهل الحجاز" [١].

كما اهتم ابن كيسان في شرحه بالإشارة للهجات العامة، ففي بيت آخر لامرئ القيس :

٦٢- فظلَّ طُهاةُ اللَّحْم مِنْ بَيْن مُنْضِج صَفِيفَ شِواءٍ أو قَدِير مُعَجَّلِ [٢]

قال: "والصَّفِيف: ما رُقّق وصُفّ على الجَمْر والرَّضْف، وهو الذي يسميه العامة: الكباب، وهو شواء الأعراب " [٣].

و**المشترك اللفظي** من مظاهر شرح الألفاظ عند ابن كيسان، وهو: " اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة " [٤]، ويرى بعضُ اللغويين أنَّ المشترك ناتج في اللغة عن كثرة الاشتقاق والمجاز [٥]، ويعللون ذلك أنَّ " المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية، فإذا وُزّع لزم الاشتراك " [٦]. وقد اهتم ابن كيسان بتوضيح المشترك والوقوف على المعاني المشتركة في اللفظ حتى لا يقع خلط بين هذه المعاني، فيختلف فهم البيت الشعري، ومن أمثلته عند ابن كيسان ما جاء في شرحه قول عمرو بن كلثوم:

٢٠- وَأيـامٍ لَـنَـا وَلَـهُـمُ طِـوَالٍ عَصَـينا المَـلكَ فِـيها أنْ نَدِيـنا [٧]

"... وقوله: فيها: في الأيام التي حاربنا فيها الناس. أن ندينا: أن نطيعهم. والدِّين: الطاعة، والدِّين: المجازاة، والدِّين: العادة، والدِّين: الملّة " [٨].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٧ .

[٤] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٣٦٩ .

[٥] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ١٩٣ .

[٦] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٣٦٩ .

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٨ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٥٩. وأمثلة أخرى للمشترك اللفظي: ص ٨٠ ، ٨٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد استعان في بعض الأحيان بآراء العلماء لتوضيح المشترك اللفظي، فنثرها بين أجزاء الشرح، ولكن من دون أن يرجح أو ينسب أيّا منها، ليرصد بذلك كل ما يشترك مع اللفظ في المعنى، ففي بيت امرئ القيس :

٦٠- فـألحـقَهُ بالـهادِياتِ وَدُونَـهُ جَواحِـرُها في صَـرَّةٍ لم تُـزَيَّـل [١]

قال: "... الصَّرَّة: الجماعة. لم تُزَيَّل: لم تُفرَّق. ويقال: الصَّرَّة: الغبار؛ يريد ما أثارته بعَدْوها. ويقال: الصَّرَّة: الصِّياح؛ أي حينَ تفرّقت صاح بعضها إلى بعض. ويقال: الصَّرَّة: الشدّة. والصَّرَّة في غير هذا: أن تَصُرّ الشيء صَرَّة؛ وكذلك: صَرَرْتُ الناقة صِرَّةً حسنة، إذا اشتدت أخْلافها ليجتمع اللّبن في ضَرَّتها. والضَّرَّة: أصل الضَّرْع والخِلْف. والصَّرَّة: الصِّرِّير"[٢].

واهتم ابن كيسان في أثناء شرحه للألفاظ بالوقوف على **الأضداد** في الشعر، ونعني بالأضداد: " الحروف التي تُوقِعُها العربُ على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مُؤدِّيا عن معنيين مختلفين" [٣]. وقد عدّ بعض اللغويين هذه الظاهر من وجوه المشترك اللفظي، وعدّها آخرون من سنن العرب [٤]. أما الرافعي، فيرى أنها لم تكن قديمة، بل هي من مظاهر تطور اللغة بعد مجيء الإسلام [٥].

وقد كان وقوف ابن كيسان على هذه الظاهرة سريعا؛ إذ بيّن معنى اللفظة في الشعر، ثم ذكر المعنى المضاد لها مشيرا إلى أنها من الأضداد. وجاء هذا في قول عمرو بن كلثوم:

٧٦- إذا وُضِعَت عَن الأبْـطال يَومـاً رَأيـتَ لها جُـلُودَ القـومِ جُـونا [٦]

قائلا: " والجُون: جمع الجَوْن، وهو الأسود. وكَلْبٌ تجعل الجون الأبيض، وهو من الأضداد " [٧].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٩٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٥ .

[٣] ابن الأنباري، كتاب الأضداد، ص ١ .

[٤] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٣٨٧ .

[٥] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ١٩٧ .

[٦] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١٠٤ .

[٧] المصدر نفسه، ص ١٠٥. ومثال آخر للأضداد: وشرح معلقة امرئ القيس، ص٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجنح ابن كيسان في شرحه إلى **معرفة المترادفات** لألفاظ الشعر، ونعني به: الوقوف على" ترادف لفظين فأكثر على معنى واحد " [١]، فقد وقف عليها بذكره مترادفات كثيرة للفظة الواردة في الشعر، مِنْ دون أن يصرح بمصطلح الترادف، ويكون توضيح الترادف عنده في شكلين، هما: ذكره المترادفات من دون أن يفرّق بينها كما في بيت طرفة بن العبد:

٩٢- فظلّ الإمــاءُ يَمْتَلِلْنَ حُــوارَها ويُسعى عَلَينا بالسَّديــفِ المسَرْهَدِ [٢]

"... والسَّديف: شطائبُ السَّنام، وهو أن يُقَطَّعَ على طولِهِ؛ وواحدةُ الشَّطائِبِ: شطيبةٌ، والمسَرْهَدُ: الحسَنُ الغِذاء، ومثله المسَرعَفُ، والمسَرهَفُ، والمعَدّلجُ، والمخَرفجُ " [٣].

أو ذكره المترادفات وتمييزه بينها ببعض الصفات والأحوال، ومثله في قول عمرو ابن كلثوم :

١- ألاَ هُـبِّي بِصَـحْنِكِ فَاصْـبَحِينا وَلاَ تُـبْقِي خُـمُـورَ الأَنْـدَرِينَـا [٤]

" فاصبَحينا: أي سَقِّينا الصَّبُوح؛ يقال: صبَحتُه وصبَّحتُه، واصطبح هو وتَصبَّح: وهو شربُ الغداة. والغَبوقُ: شرب العشيّ. والقَيلُ: شرب نصف النهار. والقَحْمَةُ: شربُ الليل. والجاشِريَّةُ: شربُ السَّحَر " [٥].

ومن مظاهر عناية ابن كيسان بشرح الألفاظ **معرفة العام والخاص** في الشعر، وقد قسم علماء اللغة هذا الباب إلى خمسة فصول، وقد انصبّ اهتمام ابن كيسان في شرحه على فصل: "العام الباقي على عمومه من الألفاظ "، ويعني: " ما وُضع عاما واستعمل عاما" [٦]، ويُطلق اللغويون على هذه الألفاظ "الكليات" أو "الكلّ" ، ومن أمثلتها في شرح ابن كيسان ما جاء في قول امرئ القيس :

---

[١] الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج ١، ص ١٨٩ .

[٢] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٥٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٢. وأمثلة أخرى للترادف: وشرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٩، ٦٦. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٦٠ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤١ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٢. وأمثلة أخرى: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٨. وشرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٥٠ .

[٦] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٤٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٤- وكِشْح لطيفٍ كالجَديل مُخَصَّر وســاق كأنبوبِ السَّـقيِّ المــذلَّل [١]

" الكَشْحُ: الخَصْرُ وقد فسّرناهُ. ولطيفٌ مُخَصَّرٌ: حَسَنُ التخصير، وكلُّ شيء وُصِفَ في تحسين عملٍ أو خَلْق فهو لطيفٌ " [٢].

وقد وردت **معرفة الألفاظ المطلقة والمقيدة** في شرح ابن كيسان، باعتبارها مظهرا من مظاهر عنايته بالألفاظ، وسبيلا لتوضيح المعنى. فمعرفتها تكشف عن بعض الأوصاف والأحوال التي تتميز بها اللفظة، ومن أمثلتها في شرح ابن كيسان ما جاء في تفسيره لكلمة (الظعائن)، في قول زهير بن أبي سلمى :

٧- تَبَصَّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ تَحمَّلْن بالعلياء من فوق جُرثُــم [٣]

فقد فتح تفسيرها الأفق أمام ابن كيسان ليعرّف بالألفاظ المقيدة، ومن ثم يذكر بعض الأحوال التي تميز لفظة (الظعائن)، ويثبت صحة كلامه بإعطاء النظائر لها، قائلا: "هذا من الأسماء التي وُضِعَت على شيئين، إذا فارَق أحَدهُما صاحبه لم يقع له ذلك الاسم. ولا يُقال، للمرأةِ ظعينة حتى تكون في الهودج، ولا يقال: للهودج ظعينة حتى تكون فيه المرأة، كما يقال: جِنازة للميِّت إذا كان على النعش، ولا يُقال: للميت وحده جِنازة، ولا للنعش وحده جِنازة. وكما يُقال: للقدح الذي فيه الخمرُ كأسٌ، ولا يقال: للقدح وحده كأس ولا للخمر وحدها كأس" [٤].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٢ . وأمثلة أخرى للعام والخاص: ص ٤٦ ، ٥٠ ، ٦٧ ، ٦٩ .

[٣] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ١، ص ٣٠٧ .

[٤] المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨. ومثال آخر: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : شرح المعاني العامة للأبيات .

تعد دراسة المعاني فرعا من فروع علم اللغة، ولا يمكن التوصل إليها كما قلنا سابقا إلا بدراسة المفردة ومعرفة ما تحمله من معانٍ بوساطة مستويات عدة. وكل مستوى من هذه المستويات يقدم جزءا واحدا فقد من المعنى، في حين تتعاون كلها فيما بينها في الوصول إلى المعنى الكلي .

من هنا؛ كان ابن كيسان في غالب شرحه يحاول التوصل إلى المعاني العامة بعد تفصيله في مستويات المفردة، فهي الركن الثاني للشرح اللغوي عنده. وكان عادة ما يصدّر هذه المعاني بعبارات دالة على البدء بها، مثل: ومعنى هذا البيت، ويقول، ويريد، أو يختمها بعبارات، مثل: هذا معنى البيت أو هذا معناه .

ويبدو أن ابن كيسان اعتمد في هذا الجانب كثيرا على أستاذه " بندار"، صاحب كتابي "معاني الشعر، وشرح معاني الباهلي" [١]. وصرّح السيوطي بهذا في حديثه عن بندار، قائلا: "أخذ عنه ابنُ كيسان " [٢]، فضلا عن أن ابن كيسان اقتبس منه آراء كثيرة في معاني الشعر، وقد صرح بها في شرحه، قائلا: " قال بندار بعد أن فسر لنا هذا البيت " [٣]، وقال: "ومعنى هذا البيت حسب تفسير بندار" [٤]، وقال أيضا: " قال بندار: .... وعلى هذا يصح معنى البيت " [٥]. كل هذه أدلة واضحة على اعتماد ابن كيسان على أستاذه " بندار" في بسط المعاني العامة للشعر.

ولم ينهج ابن كيسان منهجا محددا في معالجة المعنى العام للبيت الشعري، بل سلك مسالك عدّة ليحقق غايته، فتارة يتجاهلها، وتارة أخرى يكتفي بها عن شرح الألفاظ. ولكن الغالب في الشرح نثره لهذه المعاني الكلية بعد شرح ألفاظ البيت مباشرة. وأمثلة هذا كثيرة عند ابن كيسان، منها ما جاء في شرحه قول امرئ القيس :

٥٥- كأنّ سـراتَهُ لدى البَيْتِ قائـماً مَداكُ عَروسٍ أو صَـلايةُ حَنْـظَلِ [٦]

---

[١] السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٤٧٧ .

[٢] المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧٦ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٨٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٧٠ .

[٥] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ١، ص ٣٨٩ .

[٦] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" **التفسير:** قال أبو الحسن: السُّراةُ: الظهر. ولدى البيتِ: عند البيت. والمَداك: الصخرة التي يسحق عليها العطّار الطِّيب. وإنما قال: مداك عروس؛ لأنها قريبة عهد بالطِّيب. والصَّلايَة: صخرةٌ أيضاً يُدقّ عليها الهَبيد، وهو حَبّ الحَنْظَل يُقشر ويُسحق ويُطبخ فيؤكل.

المعنى: قال أبو الحسن: ومعنى هذا البيت أنّ هذا الفرس إذا قام عند البيت، ولم يُسْرج، ولم يُرْكب، لم تَرَ في ظهره العَظْم لامتلائه باللحم. وكأنه إحدى هاتين الصخرتين لامّلاسه وصفائه، لأنه لا يُختار من الصّخر للطِّيب والحَنْظَل إلا ما استوى وصفا " [١].

وقد تتغير هذه الطريقة في غير موضع من الشرح، فبدلا من أن يلحق المعنى بشرح الألفاظ مستقلا، كان يقسمه وينثره بين ثنايا الشرح، ويجعل للمتلقي مهمة جمع هذه المُزق والأشلاء المبعثرة، ونلحظ هذا في شرحه قول عمرو بن كلثوم:

٧٩- لِيَسْتَلِبُنْ أَبْدَانَاً وَبَيْضاً وَأَسْرَى فِي الحَدِيدِ مُقَنَّعِينَا [٢]

التفسير: أي: أحلّفنَ أزواجهن ليستلِبُنَّ أبدانا، الواحد بَدَن، وهي القصيرة من الحديد. والبَيض: قلانسُ الحديد. وأسرى: جمع أسير؛ **أي:** وليستلبُنَّ أسرى في الحديد مُقَنَّعين، والمقنَّع: التام السلاح الذي عليه الدرع والبيضة والمِغفر، وهو: زَرَدٌ يُغَشّى به رأسه وحَلَقه. ويروى: "مُقَرَّنينا "، أي: يُقرَنُ بعضهم إلى بعض إذا أسِرُوا " [٣].

وقد تطور جانب المعاني عند ابن كيسان، فوقف عند الأبيات الشعرية وقفة متأنية، وكشف عن المعنى المجازيّ الذي يكمن في ثناياها، وقد ذكر وجهات نظر الأسلاف في معانيها، وبيّن المعاني المشكلة فيها. ففي بحثه عن المعنى المجازي، كان ابن كيسان يتناول الشرح تدريجيا كعادته، ويفصح عن هذا المعنى المجازي في آخر الشرح، وجاء هذا في شرحه قول امرئ القيس :

١٥- إذا ما بَكَى مِنْ خَلْفِها انصرفَتْ لهُ بِشِقٍّ وَتَحْتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ [٤]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٩١ ، ٩٢. وأمثلة أخرى: ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٦٧. وشرح معلقة عمرو ابن كلثوم، ص ٦٢-٦٤ ، ٧٩ ، ٨٠-٨١ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١١٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١١٣ . وأمثلة أخرى: ص ٤٨ ، ٥٢ ، ١٠٧ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" **المعنى:** قال أبو الحسن: فمن قال: «وتَحتي شِقُّها»، أي عَطفَتْ عليّ خَدَّها أقبلَه، فقسَمَتْ طَرفها بيني وبين وَلدها، تُخالِسه النّظر، ولا تقطع طَرفها إليّ، ولا تمنعني قُبلَها.

وليس يريد الفاحشة؛ لأنه لا ينقسم الشّقّان بينه وبين ولدها على ذلك المعنى، ولكن أراد الحديث " [١].

وفيما يخص وجهات نظر الأسلاف في المعاني، كان ابن كيسان يذكرها بعد المعنى الذي يقدمه، من دون أن ينسب أو يفاضل أو يرجح قولا منها، كما في شرح بيت امرئ القيس:

٤٦- قَـباتَ عليهِ سَـرْجُهُ ولِـجامُهُ وبـاتَ بعَيْني قائِـماً غيرَ مُـرْسَل [٢]

" **المعنى:** قال أبو الحسن: معنى هذا البيت أنَّ هذا الفرس إذا رجع من الصَّيد لم يُحَلّ عنه سِرْجه لئلا يَبْرد ظَهْره ويَفسد، ولم يؤخذ لجامه لئلا يَرَحّ في العَلَف والماء على تعبه، فيضرّ ذلك به .

ويقول: بات برسَنَه: لم أكِلْه إلى غيري لإشفاقي عليه، ومحبّتي له؛ **هذا قول** .

وقول آخر: يقول: هذا الفرس إذا رُدّ من صيد وَثِقنا بصَبْره، وحَمِينا على رَدّه اليوم التالي، فتركناه مُعَدّا له " [٣].

أما وقوفه عند المعاني المشكلة في الأبيات، فكان من خلال طرح سؤال والإجابة عنه، بحيث تكون الإجابة توضيحا للمعنى المشكل في البيت، وكأنه بهذه الطريقة يتوقع الأسئلة التي ستطرح عند سماع البيت، أو أنه يجيب عن الأسئلة التي طُرحَت عليه عندما أملى الشرح على طلابه [٤]، ومن هذه الأسئلة ما جاء في شرحه قول امرئ القيس :

٤٧- مِـكَرٍّ مِفَـرٍّ مُقْـبِلٍ مُـدْبِرٍ معاً كَجُلْمودِ صَخرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ من عَل [٥]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٦. وأمثلة أخرى: ص ٥٤ ، ٨٧-٨٨ . وشرح معلقة عمرو ابن كلثوم، ص ١٠٧-١٠٨ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٩٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٩ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٧٥-٧٧ ، ٩٠ .

[٤] صرح الغالبي في نهاية نسخه للشرح أن ابن كيسان أملى الشرح، قائلا: " إلى ها هنا أملى علينا أبو الحسن ابن كيسان رحمه الله ما فسّر من هذه القصائد ". انظر: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١١٨ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال أبو الحسن بعد شرحه ألفاظ البيت: " « مِكَرّ مِفَرّ مُقْبل مُدْبر معاً»؛ والكـرّ خـلاف الفرّ، والإقبال خلاف الإدبار.

فيقال : كيف قال (معاً) ، والأشياء متضادّة ؟

قال: وتصحيحه أنه قال: « كجُلْمودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْل »، جمع بهـذا هـذه الخـصال المختلفة؛ فأراد أنه لا فضل لشيء منها على شيء، تساوت معاً فيه؛ فكَرُّه وفَرُّه في القُدرة سواء، إنه يَلْحق غيره، ويسبقه بمقدار ما لحقه به، وكذلك إقباله في التمام وإدباره متعادلان " [1].

وبعد، يمكن لنا من عرض الشواهد السابقة التوصل إلى حقيقتين في شرح ابن كيسان للسبع الطوال، هما: أن الاتجاه اللغوي هو الاتجاه السائد في شرحه، واعتمد عليه ليحقق هدف الشرح والوصول إلى المعاني الشعرية الصحيحة، فضلا عن أن هذا الاتجاه جاء في شرحه على محورين، هما: محور شرح الألفاظ، ومحور شرح المعاني العامة، وقد تناول في الأول تفسير غريب الألفاظ، وضبطها، والتعرف إلى اللغات، والمقيد والخاص فيها، والوقوف على ظواهر المشترك والأضداد والترادف، فإن فيها تمهيدا للمحور الثاني (محور المعاني العامة) إذ نثرها تارة مستقلة بعد اللفظ، وتارة بعثرها بين عناصر الشرح، وتوقف عند هذه المعاني على المجازي منها، واختلاف الأسلاف حولها، وتوضيح المشكل فيها.

---

[1] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٨٥-٨٦ . وأمثلة أخرى: ص ٤٨ . والتبريزي، شرح القصائد العشر، ص١٧٢ ، ١٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الاتجاه اللغوي عند ابن الأنباري

يعدّ ابن الأنباري علما من أعلام اللغة المبرزين، وإماما من أئمتها الكبار، وهذه المنزلة عرفها له معاصروه من العلماء، ومن جاء بعده منهم، فقد كان ملما بعلوم اللغة ودقائقها، ومطلعا على ما وضع فيها، وحافظا، وثقة، لا يشق له غبار. وجاء في سير أعلام النبلاء: " قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملي من حفظه ، ما أملى من دفتر قط " [١]، ولعلّ هذا ما جعل أعماله تتسم بالاستطراد والتوسع، وبلغ مكانة في اللغة حتى قيل فيه: " كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظا للغة " [٢]. ومن جملة ما شهد به أصحاب التراجم لابن الأنباري قولُ ابن كثير: " كان من بحور العلم في اللغة العربية " [٣]، وقول الأزهري: "كان واحد عصره ، وأعلم من شاهدت بكتاب الله ومعانيه ... ، ومعرفة اختلاف أهل العلم في مشكله"[٤]، وقول محمد بن جعفر:" أحفظ الناس للغة "[٥]، وقول الحموي: " أكثر الكوفيين حفظا للغة " [٦] . أما الزجاجي، فوصفه وصاحبه، قائلا: " أبو بكر بن الأنباري، وأبو موسى المعروف بالحامض، كان الأغلب عليهما علم اللغة " [٧] .

وبالرجوع إلى طائفة مؤلفات ابن الأنباري التي نسبها له الثقات يتبيّن لنا مدى وعيه اللغوي واقتداره في علوم اللغة ومسائلها، بالإضافة إلى أن له آراء مبثوثة في كتب التراث، توزعت في كتب التفسير والغريب وعلوم القرآن والحديث وكتب اللغة والمعاجم. وقد اعتمد كثير من المؤلفين على آرائه؛ باعتبارها مصدرا رئيسا في مؤلفاتهم، من مثل: ابن الجوزي في: "زاد المسير في علم التفسير" و "غريب الحديث"، والسيوطي في: "الدر المنثور" و "الإتقان في علوم القرآن"، وابن منظور في: "لسان العرب"، والزبيدي في: "تاج العروس"، وأبي علي القالي في: " الأمالي "....، وغيرهم كثير يصعب حصره .

---

[١] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ٦٤٩ .

[٢] المصدر نفسه، ج ١١، ص ٦٥٠ .

[٣] ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، ط١، ج ١١، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٢٢ .

[٤] الأزهري، تهذيب اللغة، ج ١، ص ٢٨ .

[٥] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٢ .

[٦] الحموي، معجم الأدباء، مج ٦، ص ٧١١ .

[٧] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٧٩ ، ٨٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل نظرة في كتابه الأضداد في اللغة، تظهر لنا أنه قد أتى على جميع ألفاظ الأضداد التي ذكرها من قبله وزاد عليها ألفاظا أخرى؛ " إذ انفرد عن قطرب بمائة وخمس وثمانين لفظة، وعن الأصمعي بمائتين وأربع وثمانين لفظة، وعن ابن السكيت بمائتين وسبع وسبعين، وعن أبي حاتم السجستاني بمائتين وإحدى وثلاثين، وعن أبي الطيب بمائتين وثلاث وعشرين، وعن ابن الدهان بمائة وإحدى وخمسين، وعن الصاغاني بمائة وثمانين لفظة" [١]. وتكشف لنا الإحصائية السابقة عن ثقافته الموسوعية، وقوة حافظته، وسعة اطلاعه .

وتجلت قدرة ابن الأنباري اللغوية في عدد غير قليل من مؤلفاته التي وصلت إلينا، أو التي انتشرت في ثنايا كتب القدماء ومصنفاتهم، أو حتى التي وصلنا أخبار عنها. ويعد كتابه موضع الدراسة – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – نموذجا متكاملا يكشف قدرته اللغوية، وسعة اطلاعه وغزير علمه، وشاهدا على الجهود التي بذلها في خدمة اللغة وقضاياها، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الملمح كان سائدا في كثير من مصنفات ابن الأنباري، وقد التفت إلى هذه السمة بعض الدارسين المحدثين، فيقول محمد آل ياسين في حديثه عن ظاهرة الأضداد: " لم يكتف ابن الأنباري بجمع المادة اللغوية فحسب، بل راح يمتحنها، محللاً إياها، مناقشاً لها، ولذا وصل إلى نتائج دقيقة أعطت كتابه أهمية كبيرة " [٢].

وتحاول الدراسة في هذا الموضع توضيح أبرز القضايا اللغوية التي وقف عندها ابن الأنباري، وملامح اتجاهه اللغوي بصورة عامة. ولا تدعي الدراسة الإلمام التام بكل ما ورد في هذا السياق، بل هي محاولة للإحاطة بالملامح العامة. وتبقى جهوده اللغوية –بصورة عامة– مادة جادة للدرس والبحث، ويتوسل لغاية الدراسة على النسق الذي أوردناه في وقفتنا عند الاتجاه اللغوي لابن كيسان، والباعث على ذلك تقارب المنهج العام لشراح تلك الطبقة كافة، فجاء هذا الاتجاه عند ابن الأنباري في محورين اثنين، هما: محور شرح الألفاظ المفردة، ومحور شرح المعاني العامة للأبيات.

---

[١] أيوب، سالم، (١٩٧٩)، ظاهرة الأضداد في اللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر، ص ١٥١ .

[٢] آل ياسين، محمد حسين، (١٩٧٤)، الأضداد في اللغة، بغداد: دار المعارف، ص ٢٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولا : شرح الألفاظ المفردة.

شكل محور شرح الألفاظ المفردة الأساس اللغوي لشرح ابن الأنباري. وقد اعتنى بهذا المحور اعتناء ظاهرا؛ بوصفه الغاية الكبرى من الشرح، فوقف عند كل لفظة وردت في بيت شعري وقفة علمية جادة، فأشبعها بحثا وتوضيحا وتفسيرا وتأصيلا. وإذا ما اطمأن إلى أنه لم يترك شاردة أو واردة تتصل بها، عاد لينظمها مع مجاوراتها من الألفاظ والمفردات، ثم يربط دلالات النظم بدلالات المفرد. ومما يسجّل له أنه كان يضيف ما استجد من معان، حتى ينتهي إلى معنى البيت متسلسلا من البنية الصغرى – المفردة – إلى البنية الكلية ذات الشمولية – القصيدة – كاملة .

ومن القضايا اللغوية التي التفت إليها ابن الأنباري في هذا المحور شرحه **غريب اللغة.** وقد سبق بيان المقصود من الغريب، والأسباب التي أدت إلى نشوئه في الجزء الخاص بابن كيسان، لكننا نشير إلى تباين في موقف اللغويين من مسألة الغريب خاصة ومسائل اللغة عامة، فقد نجد من يجهد نفسه في التوضيح والتفسير والبيان في مواضع يتساهل فيها غيره. ولعلّ اختيار نموذج مشترك عند طائفة من الشراح يكشف لنا على نحو جلي ذلك التباين في النظر. ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه قول امرئ القيس:

٣٨- وتَعْطو برَخصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنَّــهُ أســاريعُ ظَبْيٍ أو مَسَاويكُ إسْــحِلِ [١]

قوله «وتعطو» معناه وتتناول؛ من ذلك قولهم: قد أعطيتك الشيء معناه ناولتُك. ومنه أيضا: قد تعاطى فلانٌ كذا وكذا، معناه صار يتناوله ويتعرض له. وقوله «برخص» معناه ببنان رخص. والبنان: الأصابع... والشثن: الكزّ الخشن. وظَبْي: اسم كثيب. والكثيب: جُبَيّل من الرمل... ، وأساريعه: دوابُّ تكون فيه مثل شحمة الأرض، وهي دودة تكون في الرَّمل، يقال أساريعُ ويساريع، فشبَّه أصابعها بالأساريع لليِنها " [٢]، وشرح غريب المفردات التي قل شيوعها في الاستعمال حظي بنصيب وافر من اهتمام ابن الأنباري.

وكان للبيئة الجاهلية بمختلف مكوناتها نصيب من عناية ابن الأنباري، وشمل ذلك الحياة الجاهلية بنباتها، وحيواناتها، وتفاصيلها الدقيقة المادية والمعنوية، بالإضافة إلى عنايته بتفاصيل الحياة اليومية، ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه لقول لبيد:

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٦٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٦٦- ٦٧. وأمثلة أخرى: ص ٣٠٨-٣١١ ، ٥٢٨ ، ٥٣١-٥٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠- فوقـفتُ أسألها وكيف سُـؤالنا صُمٌّ خـوالدَ مـا يُبينُ كَلامُـها [١]

يقول: "ويروى: " سُفعا "، والسُّفعة: سَوادٌ إلى الحمرة. و"الصُّمّ": الصخور. و" الخوالد": البواقي.... وقوله: "ما يبين"، معناه ما يستبين. يقال أبان الشيء واستبانَ وبانَ بمعنًى واحد. وحقيقةُ تأويله: لا كلامَ لها فيُتَبيَّن....، ويقال الصُّمُ: الديار" [٢].

ومن النماذج التي تكشف حرص ابن الأنباري على تقريب مفردات البيئة الجاهلية التي غرّبها تباعد الزمن عن المحدثين والمولدين والأعاجم وقوفه عند قول لبيد :

٣٠- ورَمتْ دوابرَها السَّفا و تَهيَّجَتْ ريح المَصَايفِ سَومُها و سَهَامُـها [٣]

يقول: "الدوابر: مآخير الحوافر، واحدتها دابرة. والسَّفا: سَفا البُهمَى، وهو كشَوك السنبل؛ وهو يجفُّ إذا جاء الصيف؛ واحدتُه سفاة. والبُهمَى: شجر. والسفا: التراب.

وتهيَّجت: هاجت. سَومُها: مَرُّها. يقال: خله وسَومَه، أي مُضيَّه. ويقال جاءنا جيشٌ سَومَ الجراد، أي يمرُّ مرَّ الجرادِ في كثرته. والسَّهام: ريحٌ حارّة . ومعنى البيت: ورمت دوابر الحمير السَّفا، أي نخستْها ليَبْس السَّفا وجَفافه، وهيَّجتْ ريحُ المصائف الحشيشَ فهاج الحشيش"[٤]، وقد يتطرق في البيت الواحد إلى جملة من القضايا اللغوية كما سنكشف عنه في المحور الخاص بالمعاني العامة للأبيات .

وتكشف لنا بعض النماذج الشعرية عن الاستطراد والتوسع في الشرح والتفسير لضمان تجليه معنى المفردة ومعنى البيت تاليا، ومن ذلك وقفته المطولة على بيت عنترة بن شداد الذي يقول فيه :

١٤- وكـأنَّ فـارة تاجـرٍ بقسـيمةٍ سبَقتْ عَـوارضَها إليكَ من الفَـم [٥]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٢٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٢٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٤٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٤٧. وأمثلة أخرى للتعريف بكل من: النبات: ص٤٧، ١٤١، ٣١١، ٣٩٠. والحيوان :ص ١٧٦، ٢٤٠، ٣٠٦. والطبيعة: ص ١٥٦، ٢٤٥، ٤٠١ . والأواني: ص ٣٧١ . والألبسة: ص ١٠٧، ١٨٥، ١٨٩. والملاهي: ص ١٨٦، ١٩٤، ٣٥٠، ٣٧٢. والإنسان: ص ١٥٤، ٢٢٩، ٣١٠. والأسلحة: ص ٢٠٩، ٢٨١، ٣٦٢.

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: "بامرأة " قسيمة "؛ أي حسنة. يقال: فلانٌ قسيم الوجه، أي حسَن الوجه. والقَسَم: الحسن. والمقسَّم: المحسَّن. والقَسَاميّ: الحسَن. والقَسيمة: الوجه، وجمعه قَسِمات.

وصُوار المسك: نفحة من ريحه. والأصورة: نَفَحات ريح المسك. وقال أبو جعفر: الصُّوار القطعة من المسك. قال: ومن جعله الريح أراد ريح الصّوار. وذاك أنه يُنعت، فيقال صُوارٌ أحْسَب، والريح لا ينعت بأحسب. وقال غيره: التضوّع: ريح كلّ شيء طيب وتهيُّجه.

والرَّيدة: الرّيح اللينة الطيبة. واللَّطيمة: العِير تحمل المسك والطِّيب. قال الباهلي: إنّما سمّيت لطيمة لأنّ التجارَ إذا اشترى بعضهم من بعض تماسُحوا بالأكفّ، أي إنّ البيع قد وجب. وقال يعقوب: بقسيمة، معناه بامرأة جميلة. وقال أبو جعفر: بقسيمة، معناه بسوق فيها العطّارون. فقد فاح ريحُها، فكأنّ ريحَ فمها ريحُ تلك الفارة. قال: وقوله سبقت عوارضها، معناه صارت إليك رائحتها قبل أن تقبّلها فكيف إذا قبّلتها. وقال أبو محمد الرستمي: القسيمة عندي الساعةُ التي تكون قسماً بين الليل والنّهار، وفي تلك الساعة تَغَيَّرُ الأفواه. فيقول: من طيب رائحة فمها في الوقت الذي يتغير فيه الأفواه إذا استنكهتّها سبقت عوارضُها إليك برائحة المسك. أي أوّل ما تشمّ منها رائحة المسك. و"العوارض": ما خلف الرَّباعيةِ من الأسنان. ويقال: العوارض: ما خلف الضَّواحك من الأسنان، من ذا الشقّ ومن ذا الشقّ. وقال أبو جعفر: العوارض هي الضواحك، وأراد الأسنان كلّها، لم يُرد العوارضَ وحدها " [١]، والمتأمل في المقتبس السابق يتبين له بروز شخصية ابن الأنباري المستقلة من خلال تصريحه بالرأي عنده في بعض الأقوال واختيارها على غيرها .

أما فيما يتصل **بالتطور الدلالي** للألفاظ، فنجده يقف على المفردة التي حملت المعنى أولا، ثم يصرّفها ويقلبها ليبين كيفية اكتساب المفردات الأخرى للدلالة ذاتها أو بعض سماتها، ويدرج التحولات التي طرأت على المعنى. وهو في كل هذا يورد الشواهد اللازمة ويوضح ما فيها من أوجه، ومن ذلك ما نراه في شرحه لقول امرئ القيس :

٦- وإنَّ شِفائي عَبْرةٌ مُهَرَاقَةٌ فَهَلْ عِند رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوِّلِ [٢]

يقول: "ومعنى قوله: «من معوّل» من مبْكىً. أخِذ من العويل، وهو صياح. يقال: قد أعول الرّجلُ فهو مُعْوِلٌ إذا فعَلَ ذلك .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٠٨-٣١٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال آخرون: معنى قوله من معوّل: من أمر يعوّل عليه، وهو كلُّ أمر يُعتَمَد عليه وينفع. ويقال معنى قوله من معوّل: من مَحْمَل. يقال: عوّلْ على فلان، أي احملْ عليه .

يقول: فهل يُحمَل على الرَّسم ويُعوّل عليه ويُكلَم. وأيُّ شيء أدْرَسُ من هذه المنازل إذا لم يُر فيها إلاّ مَوتى " [١].

ومنه كذلك ما جاء في شرحه قول امرئ القيس :

٦٨- فظلَّ طهاةُ اللَّحمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيفَ شِوَاءٍ أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ [٢]

يقول: " الطهاة: الطبّاخون، واحدهم طاه فاعلمْ. يقال: قد طها، إذا طبخ. والصَّفيف: المرقّق. والقدير: الطبيخ، وأصله المقدور الذي طُبخ في القدور، فصُرف من مفعول إلى فعيل. ويستحقُّ تعجيلُ كلّ ما كان من الصيد يُستطرَف. والمعجّل: الذي لا يُحبَس" [٣].

ونجده في معرض اهتمامه بالتطور الدلالي لبعض المفردات التي يشرحها، ينسب بعض الأقوال إلى أصحابها، من دون أن يختار لها وجها أو يرجح منها ما يشاء أو يرفضه، ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه قول امرئ القيس :

٣٧- تقولُ وقد مَالَ الغَبيطُ بنا معاً عَقَرْتَ بَعِيري يا امْرأَ القيسِ فانْزِلِ [٤]

يقول: "و« الغَبيط » قال أبو عمرو الشيباني: هو الهودج بعينه. وقال الأصمعيّ: قتَبُ الهودج. وقال غيرهما: هو مَركب من مراكب النساء. وقوله: «عقرتَ بعيري» قال الأصمعيّ: معناه تركتَ بعيري عقيراً " [٥] .

ومنه على نحو أكبر ما أورده في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٣١- مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ [٦]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٦-٢٧. وأمثلة أخرى للبنية الدلالية: ص ٧٧ ، ١٠٤ ، ٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٥٢٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٧-٣٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: "المهفهفة: الخفيفة اللحم التي ليست برهلة ولا ضخمة البطن. والمفاضة: المسرتخية البطن. وقال يعقوب: مهفهفة: مخفّفة، ليست بمثقلة منفضخة ولا عظيمة البطن.

وقال بعض البصريّين: معنى مهفهفة لطيفة الخصر. وقال يعقوب: المفاضة: المتفتقة المُنْدَحَّة البطن؛ يقال اندحَّ، إذا اتّسع. وهو من قولهم: حديثٌ مستفيض. وقال أبو عبيدة: المفاضة قد طالت حتى اضطربت وسُمج طولها فأفرط؛ وهو في النساء عَيب، وفي الدِّرع مدح. و«التّرائب »: جمع تَريبة، وهو موضع القلادة من الصّدر.

وأبو عبيدة يرويه «مصقولةٌ بالسَّجَنْجَل»، ويقال السجنجل: الزّعفران، ويقال: السَّجنجل: ماء الذّهب والزعفران " [١]. فعلى الرغم من إدراجه أقوالا لبعض الكوفيين وليعقوب وأبي عبيدة لا نراه ينتصر لرأي منها، ولعل هذا نابع من تبصره بحقيقة التطور الذي يصيب الدلالات على نحو يجعلها مقبولة وصحيحة كلها .

ومن جوانب اهتمامه اللغوي الأخرى التي نجدها حاضرة في شرحه للقصائد السبع الجاهليات عنايته **بضبط الألفاظ**، وهذه العناية تكشف لنا حرصه الشديد على إزالة اللبس والغموض الذي قد يوقع به ضبط المفردات. وقد انتهج ابن الأنباري لتحقيق غايته أسلوب الضبط المباشر من خلال إثبات الحركات فوق المفردات التي يعالجها، أو من خلال توصيف هذا الضبط وتوضيح مواقعه .

وفي كثير من الألفاظ التي كان يتصدى لبيان دلالاتها كان يذكر ما فيها من لغات وضبط، وقد ينسب هذا الضبط لمن قاله، ومن ذلك ما نراه في شرحه لمطلع قصيدة امرئ القيس، الذي يقول فيه :

١- قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [٢]

يقول: "...، وقال أبو عبيدة: يقال في سقط الرمل وسقط النار وسقط الولد ثلاث لغات: سِقط وسُقط وسَقط. قال الرياشي: كان الأصمعي لا يعرف إلا السَّقط، وهو سقط الرملة مفتوحا"[٣]، وهو يفرد هذه الأقوال دون ترجيح أو اختيار .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٨-٥٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة عنايته بالضبط ما نجده في معرض شرحه لقول زهير بن أبي سُلمى في البيت الذي يقول فيه :

٢٢- عَظِيمَيْن في عُلْيَا مَعَدٍّ هُـدِيتُما ومَنْ يَسْتَبِحْ كَـنْزاً من المجْدِ يعظَمِ [١]

قال: " عُليا معدّ: أرفعُها، يقال: هو في عُليا مَعدّ وعَليا معدّ ...، وقال أبو جعفر: قوله: "يستبيح كنزا "، أي يجد كنزا مباحا فيأخذه لنفسه فيعظم حينئذ، وقال " يُعْظِم ": يأتي بأمر عظيم. و" يُعظَم ": يعظمه الناس. و "يَعظُم " يصير عظيما. وقال: يُروى على هذه الوجوه الثلاثة" [٢].

ومن المواضع الأخرى التي يحدد فيها حركة الضبط في المفردة التي يعالجها، ما نجده في شرحه قول زهير بن أبي سلمى:

٢٥- يُنْـجِّمُها قـومٌ لـقوم غَـرامة ولم يُـهَريقوا بينَهُمْ مِـلءَ مِخْـجَم [٣]

يقول: " قوله " ينجمها " معناه يجعلونها نجوماً ويؤدّونها نَجْماً نجما. يقول: لم يكن لهم في تلك الحروب ذَنْب ولا هرَاقوا فيها دما. ولكنَّهم حَمَلوها. ويقال ملأت الإناءَ فأنا أملؤه مَلْئاً بفتح الميم، والمِلءُ، بكسر الميم الاسم، وهو ما يأخذه الإناء الممتلئ من الشراب. يقال: أعطني مِلء القدح ومِلأيه ، وأعطني ثلاثة أملائه " [٤]. وشواهد هذا الضبط والدقة في إيراده تنتشر في مساحة كبيرة من الشرح .

ومن القضايا اللغوية التي ظهر اهتمام ابن الأنباري بها في شرح القصائد السبع الجاهليات قضية **اللغات**. ونحن هنا حين نذكر اللغات على أنها اللهجات بوصفها بابا من أبواب علم اللغة وفقهها، لا نستطيع القول إن ابن الأنباري أظهر وعيا منهجيا بتوظيف دلالة اللهجات في شرحه، فلا نجد ما يدل على تفصيل لهجات العرب وبيانها ونسبتها إلى قبائلها. من هنا، غابت أسماء اللهجات، ككشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وطمطمانية حمير ... وغيرها، إلا من إشارات عابرة، كذكر(الضبط)، ونسبته إلى قبيلة ما، من دون تسميته الظاهرة.

ومن نماذج الإشارات العابرة لنسبة اللغات إلى قائليها ما نجده في شرح ابن الأنباري بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٦٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٦٣-٢٦٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٦٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٥ . وأمثلة أخرى لضبط الألفاظ: ص ١٣٨ ، ١٥٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٩- كأنَّ ذُرى رأس المجَيمِر غُـدْوةً مِنَ السَّيل والغُـثَّاءِ فُـلكَةُ مِـغزَلِ [١]

يقول: " فيقول: قد امتلأ المجيمرُ فكأنَّ الجبلَ في الماء فلكةُ مِغزَل لِمَا جَمع السَّيلُ حوله من الغُثَّاء. وفي المِغزل ثلاثُ لغات: المُغْزَل، والمِغزَل، والمَغْزَل، وأكثرها ما يقولون المَغْزَل بالفتح في الغَزْل، **وبنو تميم** يقولون مُغَزل بالضم " [٢].

ومثله كذلك ما جاء في شرحه قول امرئ القيس :

٧٢- يُضيءُ سَنَاهُ أو مَصابيحُ راهـبٍ أمـالَ السَّليطَ بالـذُّبال المـفتَّـل [٣]

يقول: " معنى قوله «أهانَ السَّليط» لم يكن عنده عزيزاً، يعني أنَّه لا يُكرمه عن استعماله وإتلافه في الوَقود. قال: ومثله قولهم: «خُذّه بما عَزَّ وهانَ». والسَّليط عند عامة العرب: الزَّيت، وعند **أهل اليمن**: دهن السمسم. و«الذُبال»: الفتائل، واحدتها ذُبالة " [٤].

ومن أمثلته ما جاء في شرح قول زهير بن أبي سلمى:

٣٢- فتُنْـتِجْ لكُمْ غِلْـمانَ أشأمَ كُـلُّهُمْ كأحمـر عـاد ثُمَّ تُرضِع فتَـفطم [٥]

يقول: " وقال يعقوب: يقال للصبيِّ وللسَّخلة في لغة أهل نجد: رضع يرضَع رَضاعاً. وفي لغة **تهامة**: رضَع يَرضع. وقال الأصمعي: وقال رجلٌ من أهل مكة: أيقول أحدٌ إلاّ رَضَع؟"[٦].

وغلب على ابن الأنباري أن يشير إلى اللغات والوجوه التي تتضمنها المفردة، موجّها عنايته بهذه اللغات من دون تجاوز، وأمثلة ذلك في شرحه كثيرة ومتعددة، بل إنه كان يحشد عددا كبيرا من اللغات للمفردة الواحدة قد تصل في بعض المواضع إلى تسع لغات، كما قال في شرحه بيت امرئ القيس :

١٩- أفـاطِمَ مَهْلاً بعضَ هذا التَّدلُّـلِ وإنْ كُنْتِ قد أزمَـعْتِ صُرْمِي فأجْمِلِي [٧]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٠٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٠٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٠٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٠٠-١٠١ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٦٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٧٠ .

[٧] المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: " قوله «أفاطم»، معناه يا فاطم. وفي الاسم المنادى **تسع لغات:** يقال يا فاطم بإثبات يا، ويُقال فاطمُ بإسقاط يا ...، ويقال: وأفاطمَ، ويقال أيضا: أفاطمَ، ويقال آفاطمُ بهمزة بعدها ألف، ويقال أيْ فاطمَ ....، ويقال: آي فاطم، بإثبات ألف وياء بعد الهمزة. ويقال أيا فاطم. ويقال: هَيَا فاطم ... " [١].

ومنه كذلك ما نجده في شرح بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٢- فَتُوضِحَ فالـــمِقْراةِ لم يَعفُ رَسمُها لِما نسجَتْها من جَـــنُوبٍ وشَـــمأل [٢]

يقول: "... وفي الشمأل ستّ لغات: شَمَال بإثبات الألف من غير همزة، وشَمْأل بإثبات همزة بعد الميم، وشأمل بإثبات همزة قبل الميم ...، وشَمَل بفتح الشين والميم من غير إثبات ألف ولا همزة ...، وشَمْل، بفتح الشين وإسكان الميم ...، وشَمول بإثبات الواو" [٣].

وأمر آخر تشير إليه الدراسة هو أن (اللغات) من منظور ابن الأنباري كانت تندرج تحت آلية (الضبط)، وحدود اللغة عنده هي الأوجه التي تضبط المفردة دون وقفة متأنية عند هذه اللغات، أو محاولات تفسيرها، أو كشف أطوار تباينها. ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٦٠- ذَريني أرَوِّى هامتي في حيَاتها مَخـــافةَ شِربٍ في الحياة مُصَـــرَّدِ [٤]

يقول: "الشِّرب" بكسر الشين والشرب بضمّها: اسمان للمشروب. والشَّرب بفتح الشين: مصدر شربتُ شَربا. والشُّرب أيضا بفتح الشين: جمع شارب. وقد يقال الشَّرب والشِّرب والشُّرب لغاتٌ معناهن واحد، يراد بكلهن المصدر" [٥].

ومثله كذلك ما نجده في شرحه لبيت عمرو بن كلثوم، الذي يقول فيه :

٩٠- إذا ما المَلِكُ سامَ الناسَ خَسفاً أبَـــينا أن يُـــقِـــرَّ الخَـــسفَ فـــينا [٦]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢-٤٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣ . وأمثلة أخرى للغات : ص ١٩ ، ١٥٠ ، ٣٧٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٩٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٩٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: " المَلَك: المَلِك. وفيه ثلاث لغات: مَلِك، ومَلْك، ومَلِيك. وقد يقول بعضُهم: المَلْك، تخفيف الملك، بمنزلة قولهم: قد هَرْمَ الرجلُ بمعنى هرم الرجل" [١].

ومما نرصده في هذا السياق حكمه بالاستحسان والتفضيل أو تقديمه لبعض اللغات على غيرها، وهو في الأغلب لا يدرج تفسيرا لهذا التقديم أو الحكم بالاستحسان، بل إن هذه الأحكام جاءت عامة. ومن ذلك ما نجده في شرحه لقول امرئ القيس :

١٠- ألا رُبَّ يَـوم لكَ منهنَّ صـالح ولا سيَّـما يَـومٌ بـدارةِ جُـلْـجُل [٢]

يقول: " وربَّ فيها لغات، **أفصحهنّ** ضم الراء وتشديد الباء. ومن العرب من يضمّ الرّاء ويخفف الباء، فيقول: رُبَ رجلٍ قائم. وقال الفراء: قال قيس بن الربيع عن عاصم: قرأت على زرّ بن حُبيش (رُبَّما) بالتشديد، فقال: إنك لتحب الرُّبَّ (رُبَما) فخفّف .

ومن العرب من يفتح الراء من رُبَّ، ويشد الباء، فيقول: رَبَّ رجل قائم. وزعم الكسائيّ أنه سمع التخفيف في المفتوحة. ومن العرب مَن يدخل معها تاءً للتأنيث ويشدّد الباء. فيقول: رُبَّتَ رجل قائم. ويجوز أن تخففها فتقول رُبَتَ رجل قائم، والمعنى ألا ربَّ يوم كان فيه لك سرورٌ وغبطة " [٣].

ومن أمثلة حكمه على اللغات كذلك، ما نجده في شرحه لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه:

٦٧- لَعَمْرُكَ إنَّ الموتَ ما أخْطأ الفتَى لكَالطِّوَل المُـرْخَى وثِنْياهُ في الـيدِ [٤]

يقول: " قوله "لعمرك" معناه وحياتِك. وفيه ثلاث لغات: يُقال لَعمرُكَ إني لمحسنٌ، باللام والرفع، وهي **اللغة المختارة**، ويُقال عَمْرَك بالنصب وإسقاط اللام. ويقال عَمْرُك بالرفع وإسقاط اللام " [٥].

ويعد **المشترك اللفظي** واحدا من الأبواب التي حظيت بعناية ابن الأنباري، وأظهر اقتدارا فيها. وقد حرص حرصا بالغا على بيان المعاني المشتركة للفظ الواحد دفعا للبس،

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٠١ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتحقيقا للشمولية في مصنفه، بل إنه لم يكن يتحرج من إعادة الوقوف على هذه المعاني المشتركة في غير موضع ، كلما وردت في الأبيات التي يشرحها .

ومن نماذج المشترك اللغوي التي يقف عليها الدارس في شرح ابن الأنباري، ما جاء في شرحه بيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه:

٢٢- كقنطرةِ الرُّوميِّ أقسَمَ ربُّها لتُكْتَنَفاً حَتَّى تُشَادَ بِقَرْمَدِ [١]

يقول: و"أقسم ربها": حلفَ ربها. والربّ ينقسم على ثلاثة أقسام، يكون الربُّ المالكَ كقولك: فلان ربّ الدار. ويكون الربُّ السيدَ ، ويكون الربُّ المصلح. والمربوب: المُصلَح " [٢].

ومن أمثلة ذلك أيضا، ما نجده في شرحه بيت لبيد بن أبي ربيعة، الذي يقول فيه :

١٢- شَاقَتْكَ ظعنُ الحيِّ حِينَ تحمَّلوا فتكنَّسُوا قُطناً تَصِرُّ خِيامُها [٣]

يقول: " والقُطن: جمع قطين، وهم الجماعة. والقطين أيضًا: الحشَم والضَّبْنَة. والقَطين: الجيران والعبيد. والقطين أيضًا: سكّان الدار. ويقال هو القُطن والقُطْن والقُطُنّ. ويقال للقطن البرْس، والعُطُب، والكُرسُف، والكرسوف، والطّاط " [٤].

ومنه أيضا ما نجد في شرحه قول زهير بن أبي سلمى :

٥- حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقادَمَ عَهدُه أقْوَى وأقْفَرَ بَعْدَ أمِّ الهَيْثَمِ [٥]

يقول: " قوله "حُيِّيت" دعاءٌ له بالتحية. والتحية: السّلام. والتحية: الملك أيضا. ومن ذلك قولهم: التحيات لله، معناه الملك لله تباركَ وتعالى. ويقال: التحيات لله، معناه السّلام على الله.

وتكون التحية البقاء. ويقال حيَّاك الله وبيَّاك، فمعنى حيَّاك ملّكك، ومعنى بيَّاك أضحكك. ومن قال: حياك الله، بمعنى أبقاك الله، فحيَّاك بمنزلة قولهم: كرّمك الله وأكرمك " [٦].

ومما يلمحه الدارس في وقوف ابن الأنباري على المشترك اللفظي إضافة إلى ما سبق بيانه، أنه كان في مواضعَ من شرحه ينسب المعاني التي يوردها على بعض أصحابها من أهل

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٦٤ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٦٤-١٦٥ . وأمثلة أخرى للمشترك اللفظي: ٩٥ ، ٩٦ ، ٤٠٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٢٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٣٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اللغة، لكنه لم يكن يأخذ منها موقفا تفضيليا أو حكما ما، وإنما كان يكتفي ببيانها، ومن ذلك ما نجده في شرحه بيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه:

٧٤- وإنْ يَقذِفوا بالقدْعِ عِرضكَ أسقِهِمْ بُشربِ حِياضِ الموتِ قبلَ التَّنجُّدِ [١]

يقول: " والعِرض: موضع المدح والذمّ من الرجل. والعِرض: ريح الجَسَد. يقال: إنه لطيب العِرض ومُنتِن العِرض. وقال أبو جعفر: العرض رائحة الجسَد. ويقال: امرأةٌ حسنة العِرض. وقال غيره: العِرْض النَّفس" [٢]، ومع ما أورد من رأي لأبي جعفر، إلا أننا نجده يكتفي بما أورد دون اتخاذ موقف من المسألة .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما نجده في شرحه بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٧- كَدأبِكَ منْ أمِّ الحُوَيْرِثِ قبلَها وجارتِها أمِّ الرَّبابِ بمأسِلِ [٣]

يقول: "وروَى أبو عبيدة: «كدينِك من أمِّ الحويرث قبلها» يريد: كدأبك وحالك وعادتك.

والدين ينقسم على خمسة أقسام: يكون الدِّين الحالَ والعادةَ والدَّأب، تقول العرب: ما زال ذاك دأبَه وحالَه، وعادتَه، ودينَه، ودَيْنَه، ودَيْدنَه، ودَيْدانه، وهجِّيراه، وإهجيراه .

والدَّيدبون: طريق اللَّهو واللعب. ويكون الدين الحساب. ويكون الدين الجزَاء في الخير والشرّ، ويكون الدين الطاعة، ويكون الدين السلطان، وفي الدين وجه سادس، وهو الذلّ والعُبوديَّة " [٤].

ومن القضايا اللغوية التي برزت في شرح ابن الأنباري مسألة **الأضداد**. ويعد ابن الأنباري من طائفة العلماء واللغويين الذين قالوا بالأضداد، بل إنه وضع مصنفا خاصا بالأضداد. وعن وقوع الأضداد في كلام العرب، يقول ابن الأنباري: " كلام العرب يصحح بعضُه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوعُ اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يُراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنًى واحدا "[٥]،

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٠٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٠٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٨ .

[٥] ابن الأنباري، الأضداد ، ص ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصرّح ابن الأنباري عن هذا العمل الذي تصدى له بقوله: " وقد جمع قومٌ من أهل اللغة الحروفَ المتضادّة، صنفوا في إحصائها كتباً نظرت فيها، فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء، وأسقط منها جزءاً ، وأكثرهم أمسك على الاعتلال لها، فرأيت أن أجمعها في كتابنا هذا على حسب معرفتي، ومبلغ علمي، ليستغني كاتبُه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه إذا اشتمل على جميع ما فيها. ولم يعدم منه زيادة الفوائد، وحسن البيان، واستيفاء الاحتجاج، واستقصاء الشواهد " [١]. وعلى هذا، فإن الحكم على وعي ابن الأنباري بالأضداد في شرحه أمرٌ مسلّمٌ به. ومن أمثلة وقوفه على الأضداد في الشرح، ما نجده في تفسيره قول طرفة بن العبد :

١٣- تُبَارِي عِتَاقاً ناجِياتٍ وأتْبَعَتْ وَظِيفاً وَظِيفاً فَوقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ [٢]

يقول: " والمعبَّد: الذي قد وطئ حتّى ذهبَ نبتُه وأثّر فيه الناس ولحّبوه حتّى صيَّرَتْ له جادَّةٌ. والبعير المعبَّد: المذلل الذي قد طُلِيَ بالهناء من الجرَب حتّى ذهب وبرُه ...، ويقال بعير معبَّد: أي مذلل. وبعير معبَّد: أي مكرَّم . وهذا الحرف من الأضداد " [٣] .

ومنه كذلك ما جاء في شرحه بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٢٤- تَجَاوَزْتُ أحراساً إليها ومَعْشَراً عَلَيَّ حِراصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلي [٤]

يقول: " معنى قوله: «ولو يسرُّون مقتلي»: هم حِراصٌ على إسرار قتلي، وذلك غير كائن؛ لشرفي ونباهتي وموضعي من قومي. ويقال أسْررت الثوبَ، إذ شرَرْتُه وأظهرتَه. ويُسرُّون حرفٌ من الأضداد، يقال: أسررت الشيء، إذا أخفيته؛ وأسررته، إذا أظهرتَه" [٥].

وكذلك في شرحه بيت لبيد، الذي يقول فيه :

٣٤- فتوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلاَّمُها [٦]

---

[١] ابن الأنباري، الأضداد، ص ١٣ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٥٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٥٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٩ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: " العُرض: الناحية. والسَّرِيّ: النهر. وصدّعا معناه شقّقا النّبت الذي على الماء. ومسجورة: عينٌ مملوّة. وهو حرفٌ من الأضداد. ويكون المسجور المملوّ، ويكون المسجور الفارغ. وقول النمر " إذا شاء طالعَ مسجورة " معناه إذا شاء الوَعِل طالع عينًا مملوّة. ومعنى طالعَها أتاها. ويقال: فلانٌ لا يزال يُطالع. وقال أبو عمرو الشيباني: قد سجَرَ السيلُ الغَدير والبئر يسجُرها، إذا ملأها، ويقال هذا ماءٌ سَجْر، إذا كانت بئرٌ قد ملأها السيل. ويقال أورَدوا ماء سَجْرا " [١].

ويبقى الحديث عن ظاهرة الأضداد عند ابن الأنباري كافيًا في حدود الدراسة، وغير كافٍ لبيان قدرته ومنهجه في هذا الباب، ويمكن الاستزادة من خلال الرجوع إلى مقدمات التحقيق لكتابه الأضداد في اللغة، وللبحوث والدراسات التي نظرت في ظاهرة الأضداد واتخذت من ابن الأنباري مادة لها .

ومن القضايا اللغوية التي التفت إليها ابن الأنباري في شرحه: **الترادف**، ويتضح للدارس أنه كان يبدي وعيا ضمنيا بفهمه لظاهرة الترادف دون أن يستخدم المصطلح لبيانه، ولعلّ لغويا ونحويا فذّا مثله لا يحتاج إلا لبيان الظاهرة وتوضيحها وإن لم يصرح باسمها، ومن أمثلة الترادف التي يفيض بها شرحه، ما نجده في تفسيره قول زهير بن أبي سلمى :

٣٥- كرام فلا ذُو الضّغْن يُدْرِكُ تَـبْلَهُ ولا الجـارمُ الجـانى عَلَيهِمْ بِمُسْلِم [٢]

يقول: " يقال ضَغِن عليه يَضغَن ضَغْنًا وضِغنا. والتَّبل والذَّحل واحد، يقال: في قلبي عليه ضِغْن، وذَحل، وحقد، وإحنة، وتِرْة، وتَبْل. ويقال في قلبي عليه وَغْر، ودَغْم، وغِمرْ. ويقال: في قلبي عليه حَزازٌ وحَزازة. ويقال: في قلبي عليه غمر. ويقال: في قلبي عليه دمنة. ويقال: في قلبي عليه حَسيفة وكتيفة. ويقال في قلبي عليه وتر، وقد وتَرَه فلانٌ وتَبَله " [٣].

ومنه كذلك ما نجده في شرحه لبيت عمرو بن كلثوم، الذي يقول فيه :

٢٦- وإنَّ الضِّـغْن بَعدَ الضِّغْن يبدُو عَلَـيكَ ويُخْـرج الـدَّاءَ الـدَّفِيـنا [٤]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٥٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٧٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ . وأمثلة أخرى للترادف: ص ٤٦ ، ٨٩ ، ٣٧٣ ، ٤١٦ ، ٥٢٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٩٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: " الظِّغْن: الحقد. يقال: في قلبي عليه ضغن، وحِقد، وتَبْل، وتِرَة، ووَغْر، ووَغْم، وغِمر، وحَزَاز، وحَزَازَة، ودِمْنة، وحَسِيفة، وحَسِيكة، وكيفة، ودَحَل" [١].

ونجد ابن الأنباري في بعض المواضع التي ذكر فيها الترادف، قد أورد أقوالا لبعض أهل اللغة وعلمائها، لكنه لم يأخذ حكما أو موقفا مما أورد بل اكتفى بذكره. ومن أمثلة ذلك ما نقف عليه في شرحه بيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٤٣- فذالتْ كما ذالتْ وَلِيدةُ مَجْلِسٍ تُرى ربَّها أذيالَ سَحْلٍ ممدَّدِ [٢]

قوله: " فذالت " معناه ماست في مِشيتها وتبخترت. يقال: ذال يذيل، وماس يميس، وراسَ يَريس، وعال يَعيل، كلّ ذاك إذا تبختر. يقول طرفة: تتبختر هذه الناقة كما تتبختر وليدةٌ عُرضت على أهل مجلس فأرخَت ثوبها واهتزّت بأعطافها. قال يعقوب بن السكيت: يقال: راست، وماست، وماحتْ، وذالت، وفادت، بمعنى واحد " [٣]، ولعل ثقته بابن السكيت هي ما جعله يسكت عن القول فيما نسبه له .

وذكر ابن الأنباري بعض الترادفات، وبيّن الفروق بينها في بعض الأحوال والصفات، ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه بيت عمرو بن كلثوم، الذي يقول فيه :

١٥- فما وَجَدَتْ كَوجدِي أمُّ سَقْبٍ أضلَّتْهُ فرجَّعَتِ الحَنينا [٤]

يقول: " أمُّ سَقْب: ناقة. والسَّقْب: الفصيل. قال الأصمعيّ: إذ وضعت الناقة فولدُها ساعة تضعُه سليل قبل أن يُعلم أذكرٌ هو أم أنثى، فإذا عُلم فإنّ كان ذكراً فهو سَقْب وأمه مُسقِب، وإن كان أنثى فهو حائل، فإذا قوى ومَشَى فهو راشحٌ وأمه مُرْشِح، فإذا ارتفعَ عن الراشح فهو جادل"[٥].

ومن المسائل اللغوية الأخرى التي أتى ابن الأنباري على ذكرها في شرحه القصائد الجاهليات **العام والخاص** (الكليات)، وقد أهتم ببيان الألفاظ العامة الدلالة، التي بقيت على عمومية الدلالة، ويبدو وقوفه على هذا الباب مرتبطا ببيان المعنى العام للألفاظ توسلا لمعنى

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٣٩٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٨٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٨٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٨٤ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٨٤ . وأمثلة أخرى لهذا الترادف: ص ٤٨ ، ١٨٧ ، ٢٤٣ ، ٥٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البيت الشعري الذي يشرحه، ومن أمثلة ذلك ما نقف عليه في شرحه بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه:

٦٣- كأنَّ دِمـاءَ الهاديـاتِ بنَـحْرِهِ عُـصارةُ حِـنَّاءٍ بشَـيْبٍ مُـرجَّلِ [١]

يقول: " الهاديات: المتقدِّمات. والهوادي من الإبل والخيل والحمُر ومن كلّ شيء: أوّله. ويقال: مررت بهَوادي الحُمُر. وجاءت الخيلُ يَهديها فرسُ فلانٍ، وجاءت الحُمُر يَهديها فحلُها. أراد أنّه يلحقها فيطعنُها فتصيب دماؤُها نحرَه. ويقال: القَدَمُ تَهدِي السَّاقَ، أي تتقدَّمُها " [٢].

ومثله ما نجده في شرحه بيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٢٦- كأنَّ عُلوبَ النَّسْعِ في دَأياتِـها مَوَارِدُ مِن خلقاءَ في ظَـهْرِ قَـردَدِ [٣]

يقول: " العُلوب: الآثار، واحدها عَلَب. وكلُّ أثرٍ من ضربٍ أو حَبْل أو خدش فهو عَلَبٌ، وبَلَد، وحِبْر، وحَبَار. وإنَّما سمِّي الحبر الذي يكتب به حبرًا لأنَّه يؤثر " [٤].

ومثله كذلك ما جاء في شرحه قول لبيد :

٧- والوحشُ ساكنةٌ على أطـلائها عُـوذا تأجَّـلُ بالفـضاءِ بهـامُـها [٥]

يقول: " والأطلاء: الأولاد، واحدُها طلاً منقوص. و"العُوذ": التي نُتجت حديثًا، واحدها عائذ. وأصله في الإبل، وهي الغنَم الرُّبَّى. وقوله " تأجَّلُ ": تجتمعُ، من الإجّل، وهو القطيع من الظباء، وربَّما استعمل في البقر؛ والصّوار: القطيع من البقر خاصة. والبهام: جمع بَهمة، وهي من أولاد الضأن خاصّة، ومَجرى البقرة الوحشية مجرى الضائنة في كل شيء، ومجرى الأرويَّة مجرى الماعزة. وقال أبو زيد: يقال لأولاد الغنم ساعة تضعه أمُّه من المعز والضأن جميعًا ذكرا كان أو أنثى: سخلة، وجمعه سخال. ثم هي البَهمة للذكر والأنثى، وجمعها بَهْم "[٦].

وكغيرها من القضايا اللغوية التي سبق الوقوف عليها في الشرح نجده ها هنا يورد أقوالا تتصل بالعام من الألفاظ والكليات على ألسنة علماء اللغة وأهلها من دون أن ينظر فيها، أو

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٩٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٢ . وأمثلة أخرى للخاص والعام: ص ٩٨ ، ٢٧٤ ، ٥٢٦ ، ٥٥٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٦٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٦٩ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٢٥ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يعلق على ما جاء فيها. ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه بيت زهير بن أبي سلمى منسوبا إلى الأصمعي، يقول زهير:

٤٦- فكُـلاًّ أراهُمْ أصبحوا يَعـقِلونهُ صَحِيـحاتِ ألفٍ بعْدَ ألفٍ مُصَـتَّم [١]

يقول: " العَقل: الدية. قال الأصمعي: أصله أن يؤتى بالإبل فتعقل بأفنية أولياء القتيل، ثم كثُر استعمالهم هذا حتَّى قالوه في الدراهم " [٢].

ومثله ما نجده في شرحه بيت امرئ القيس منسوبا إلى أبي عبيدة :

١٢- فظلَّ العذارَى يرتَمِين بلحمِـها وشحمٍ كـهُدَّابِ الدِّمَـقسِ المُـفتَّل [٣]

وقال أبو عبيدة: معنى قوله «يرتمين بلحمها»: يتهادينه ويناول بعضهنّ بعضاً. والدمِقس والمِدَقسُ: كل ثوب أبيض من كَتان أو إبريَسم أو قزّ " [٤].

ومن القضايا اللغوية التي اهتم بها ابن الأنباري قضية **المطلق والمقيد**؛ فقد وظفها للكشف عن بعض الأوصاف والأحوال التي تتميز بها اللفظة، ووضح صلة الألفاظ ببعضها ببعض وصولا إلى المعنى الذي يريد بيانه. ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه بيت زهير ابن أبي سلمى، الذي يقول فيه:

١٥- أو رَوْضَةَ أُنُـفاً تَضمَّنَ نَـبتَها غَـيثٌ قَـليلُ الدِّمْـنِ ليس بمَـعْلَم [٥]

يقول: "معناه: كأنّ ريحها ريحُ المسك أو ريح روضة. و"الروضة": المكان المطمئنّ يجتمع إليه الماء فيكثر نبته. ولا يقال في الشجر روضة. والروضة في النبت، والحديقة في الشجر. ويقال روضة ورياض وروَض. وقد أراضَ هذا المكانُ واستروَض، إذا كثُرت رياضُه. وقوله " أُنُفاً": معناه لم يرعَها أحدٌ فهو أطيبُ لريحها. ويقال: كأسٌ أنفٌ إذا كانت لم يُشرَبْ بها قبل ذلك. والكأس: الإناء الذي فيه الشَّراب، فإن كان فارغاً قيل له قدحٌ أو إبريق، ولم يُقل له كأس " [٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٨٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٨٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣١١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٣١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونجده في هذا الباب من أبواب اللغة يكثر النقل عن علماء اللغة وأئمتها. ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه بيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه:

٣- كأنَّ حُـدوجَ المـالكيَّةِ غُـدْوةً خَـلايا سَـفينٍ بالنَّـواصِفِ مـن دَدِ [١]

يقول: " وقال الأصمعيّ: الخلايا السفن العِظام، واحدها خلية. ولا يقال سفينة خليَّة. وقال أبو عبيدة: الخلية، السفينة العظيمة معها قاربٌ، أي زورقٌ صغير. قال أحمد بن عبيد: لا تكون السفينة خليَّة إلاّ ومعها قارب، كالخليَّة من الإبل المعطوفة على ولدٍ " [٢].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما نجده في شرح بيت آخر لطرفة :

٤٦- متى تأتني أصبَحْكَ كأساً رَويَّة وإن كنتَ عنها غانـياً فاغْنَ وازْدِد [٣]

يقول: "والكأس مؤنثة، قال الفرّاء: الكأس؛ الإناء الذي فيه لبنٌ وماء وخمرٌ أو غير ذلك، وإن كان فارغًا لم يُقل له كأس؛ كما أن المِهدَى: الطبَق الذي تكون الهدية فيه، فإنْ أخذت الهدية منه قيل له: طبقٌ، ولم يُقل له: مِهدًى " [٤].

ومنه كذلك ما جاء في شرحه قول امرئ القيس :

١٦- فمِثْلِكِ حُبْلَى قد طرَقْتُ ومُرضِعٍ فألـهَيْتُها عَنْ ذِي تَـمائِمَ مُـحْوِل [٥]

يقول: "قال الأصمعي: معنى قوله «فمثلك حبلى قد طرقت» أنّ الحبلى لا تريد الرجال ولا تشتهيهم، يقول: فهي ترغب فيّ لجمالي. وكلُّ حامل تمنع الذكَر إلاّ المرأة. وقوله: «طرقت» معناه أتيُها فغلبتُها على نفسها حتَّى لهيَتْ عن ولدها. ويقال: طرقتُ الرجلَ، إذا أتيتَه ليلاً. ولا يكون الطروق إلاّ باللَّيل " [٦].

ومن القضايا اللغوية الأخرى التي التفت إليها ابن الأنباري في شرحه الجاهليات الطوال: **المعرب، والدخيل.** فكثيرا ما نجده يشير إلى أصل اللفظة إن كان عربيا أو أعجميا، أو يردّ بعض المفردات إلى الأصل الذي وفدت منه، والتطور الذي طال بنيتها واستعمالها، وقد

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٣٥- ١٣٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٨٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٨٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر في بعض الأحيان صاحب الرأي، ويعالج المسألة على النحو الذي يجلي معناها، ومن أمثلة ذلك ما نجده في شرحه قول طرفة بن العبد:

٢٢- كقنطرةِ الرُّومىِّ أقسَمَ ربُّها لتُكْتَنَفاً حتَّى تُشَادَ بقرْمَدِ [١]

يقول: "والقرمَد: الآجُرّ، واحدته قرمَدة، وهو أعجميٌّ عُرِّب، وأصله قِرميدَي بالرُّومية فأعربته العرب. وقال الطوسيّ: بقرمد، أراد القراميد، وهي آجُرُّ الحمَّامات. وقال أحمد بن عبيد: قرمد عربيٌّ معروف في كلامهم. قال: والقرمدة: التمليس، أي هذه الناقة ملساء " [٢].

ومن أمثلته كذلك ما نجده في شرحه قول امرئ القيس :

٣١- مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيْرُ مُفاضةٍ ترائبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ [٣]

وقوله: " «كالسَّجَنْجَل» قال يعقوب: هو روميٌّ . قال: وأراد مرآة . قال: وهو أيضاً قطعُ الفضة وسبائكها. وأبو عبيدة يرويه «مصقولة بالسَّجَنْجَل»، ويقال السجنجل: الزَّعفران، ويقال: السَّجنجل: ماء الذَّهب والزعفران " [٤].

وتكشف لنا الوقفة السابقة عن القدرة اللغوية التي كان ابن الأنباري يملكها، وتكشف لنا عن حظه الوافر من علوم اللغة وكنوزها. ومع أن هذا الاستطراد في الشرح قد يثقله إلا أن سعيه لعمل موسوعي شامل، ولجوئه إلى الإملاء من حافظته هو ما جعل شرحه يتوسع إلى هذا الحد، يضاف إلى ذلك شغفه – في جل مصنفاته– بعمل صنعة لا تعوز قارئها إلى غيرها .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٦٤ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٦٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا : شرح المعنى العام للأبيات .

على الرغم من عناية ابن الأنباري الشديدة بشرح المفردات التي تتكون منها الأبيات الشعرية، إلا أن هذه العناية كانت تؤسس لغرض أساسيّ للشرح، يتمثل في بيان المعنى العام لكل بيت، وما كان له أن يتوصل إلى غايته من دون البدء ببيان معاني المفردات، ومع ذلك تبقى الحاجة ماسة لبيان بعض الملامح والسمات الأسلوبية التي اتبعها ابن الأنباري، التي تمثل منهجه العام في الشرح .

لم يتجاوز ابن الأنباري المنهج العام الذي كان سائدا لدى الشراح بصورة عامة في تلك الحقبة، ونعني بذلك الالتزام بشرح الأبيات مفردة مستقلة، من دون مراعاة الوحدة الموضوعية أو العضوية، فلم يعن ابن الأنباري بالوقوف – إذا ما استثنينا بعض المقدمات – على المضامين والموضوعات التي تحملها القصائد، ولعله في بعض المواضع يربط بيتا ببيت سابق أو لاحق له، لكنه الربط الذي يخدم مسعاه الأول، وهو بيان معنى البيت لا أكثر .

ويمكن القول: إن ابن الأنباري لم يحدد لنفسه منهجا واضحا في التعامل مع المعنى العام لكل بيت يتصدى لشرحه، فقد يقف القارئ على شرح بيت يمتد لبضع صفحات، ويقف في بيت آخر على أسطر معدودات، ويمكن أن يعزى ذلك إلى مقدار القضايا اللغوية والنحوية والإشارات التاريخية والملامح النقدية التي يحملها البيت، فكثرتها كانت تفتح باب الاستطراد والتوسع، وقلتها كانت تقود إلى الإيجاز. وحتى هذه القضايا اللغوية والنحوية والتاريخية والنقدية لم تكن ترد وفق تسلسل ثابت أو نمط محدد، وإنما كانت تتزاحم في الشرح ارتباطا من اللفظ وموضعها في البيت.

وكان ابن الأنباري يفتتح شرحه للبيت بواحدة من اثنتين، الأولى: أن يبدأ بأول كلمة من البيت فيبين معانيها، ويقف على وجوهها الإعرابية، وما يتصل بها من قضايا، وقد يورد لها الشواهد المختلفة، وينتقل إلى ما يليها من مفردات حتى ينتهي من البيت. والثانية: أن يبدأ بإيراد أحد أقوال أهل اللغة والنحو، وما يتصل به من أقوال وشروحات، وقلما يفرد في شرحه جانبا للمعنى العام للبيت .

ونجده في مواضع قليلة يبدأ بالمعنى العام للبيت، ثم يتحول إلى شرح معاني المفردات، ومع ذلك فإن هذا المعنى العام الذي يورده يكون موجزا لا يحقق توجهه، ومن أمثلة ذلك ما نلمحه في شرحه بيت عنترة بن شداد ، الذي يقول فيه:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٧- فإذا ظَلِمتُ فإنَّ ظُلمي باسِلٌ مُرٌّ مَذاقَتُهُ كطَعْمِ العَلْقَمِ [١]

يقول بعد البيت مباشرة: " معناه: إذا ظلمني ظالم فظلمي إياه باسل لديه كريه عنده "، وينتهي المعنى العام عند هذا الحد، ثم يردف بعده، قائلا: " ويقال رجل باسل وبسيل، إذا كرهت مرآه ومنظره، وقد بسُل بسالة، وتبسّل تبسلا ،..." [٢]. ونرى فيما سبق أن عنايته بالوقوف على المعنى العام للبيت كانت عَجْلى إذا ما قورنت بالألفاظ المفردة .

ومن مثل هذه الوقفات السريعة على المعنى العام للأبيات ما نجده في شرحه قول الحارث بن حلزة :

٢٤- قبْلَ مَا اليوم بيّضَتْ بِعُيون النـ ـنَّاس فيها شُعَيْطٌ وإباءُ [٣]

يقول:" معناه: قبل اليوم عظم شأنها على الناس حتى أعمتْهم وعظمت على أبصارهم "[٤] انتهى المعنى، ثم يتحول من جديد إلى المفردات ويورد أكثر من صفحتين في شرح المفردات مقابل سطر يتيم في المعنى العام للبيت.

ونجده في بعض المواضع التي يوهم بها أنه سيورد المعنى العام للبيت يورد معنى جزء من البيت قد لا يتجاوز شطرا منه، وهذا – المعنى – لا يختلف عن الإيجاز الذي ينتهجه في بيان المعاني العامة للأبيات، ومن ذلك ما نقف عليه في شرحه بيت لبيد، الذي يقول فيه :

٢٠- فاقطعْ لُبانةَ مَنْ تَعرَّض وصْلَه ولشَرٌّ واصلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها [٥]

يقول بعد البيت: " معناه: اقطع لبانتك ممن تعرض وصله، أي لم يستقم وصله وأخذ على غير الطريق " [٦]، ثم يلتفت إلى شرح المفردات، ويورد الشواهد ويشرحها .

والمتأمل في افتتاح ابن الأنباري شرح أبياته بكلمة (معناه) يتوهم أنه سيورد معنى البيت، إلا أنه يجده قد عاد به إلى عنايته بالقضايا اللغوية والمعاني المفردة التي كان يوليها جلّ اهتمامه، والشرح يفيض بأضراب هذا الملمح .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٣٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٣٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٥٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٥٨-٤٦٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٣٧ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٣٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد، يمكن القول: إن ابن الأنباري بصورة عامة لم يكن يطمئن إلى بيان معنى البيت إلا من خلال الوقوف التام على مفرداته كافة، ووجد أن إفراد كل بيت بالوقوف على معناه العام بعد كل هذا الحشد من الوقوف على المفردات والألفاظ والتراكيب لا يزيد شيئا لما قدمه، وتبقى الإشارات الأخرى للمعنى العام للأبيات في السياق ذاته. ويبدو هذا الملمح مخالفا لما صرح به في غير هذا المصنف من عنايته بالمعاني العامة دون الألفاظ فقد أفصح في مقدمة كتابه "الزاهر في معاني كلمات الناس " بذلك، فقدّم الاهتمام بالمعنى على الاهتمام باللفظ، فقال: " إن أشرف العلم منزلة، وأرفعه درجة، وأعلاه رتبة، معرفة معاني الكلام الذي يستعمله الناس ....، وأنا موضح في كتابي هذا، إن شاء الله، معاني ذلك كله ". ثم ألحق المعنى بقضايا اللغة في المفردة، فقال: " ولن أخليه (يقصد الكتاب) مما أستحسنُ إدخاله فيه من النحو والغريب واللغة والمصادر والتثنية والجمع، ليكون مشاكلا لاسمه إن شاء الله " [1]. فهو بهذه العبارة بيّن اهتمامه الكبير بالمعنى، ثم التفاته للألفاظ وما بها من قضايا النحو والغريب واللغة.

إن هذا المجهود العظيم الذي بذله ابن الأنباري في شرحه للقصائد الجاهليات الطوال قد يبدو مرهقا للباحث عن شرح يسير للمعنى العام لأبيات القصائد، لكنّه يبقى مادة قيمة لمن يروم استبصارا شاملا للمعاني الدقيقة التي تحملها الأبيات، وما كان عالم مثله ليرضى بأقل مما قدم من مادة تغني عن سواها.

---

[1] ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، ج١، ص ٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه النحوي عند ابن كيسان وأبي بكر بن الأنباري

جاء هذا الفصل لمعرفة الاتجاه النحوي في شرحي كل من ابن كيسان وابن الأنباري، ووفقا للتقسيم الطبقي للشراح الذي ذكرناه في الفصل الأول من هذه الدراسة، يُعد ابن كيسان من شراح الطبقة الرابعة، ويُعدّ ابن الأنباري من شراح الطبقة الخامسة، وبما أن هاتين الطبقتين مختلفتان في بعض الجوانب، فقد جاء هذا الاتجاه متفاوتا في بعض جوانبه عند الشارحين.

ولم تطغَ النزعة النحوية على شراح الطبقة الرابعة – طبقة ابن كيسان – وما قبلها، "وإنما لبثت محدودة الأثر، تستبد بمواطن قليلة من المؤلفات، ثم تغادرها ليحقق الشرح سائر مقاصده؛ وما ذلك إلا لأن صنعة النحو بما فيها من إعراب وصرف، عاشت من نشأتها إلى ذلك العصر، في مصنفاتها ومجالسها متميزة تستعين بالشعر شواهد وأدلة، ويستعين بها الشعر في مواطن قليلة من شروحه " [١].

أما عند شراح الطبقة الخامسة – طبقة ابن الأنباري، فقد أصاب هذه النزعة النحوية نقطة انعطاف في تطورها لتصبح من عناصر الشرح المهمة، و" ذلك عندما تصدى علماء النحو لشرح الأشعار، فحملوا معهم مخلفات ثقافتهم، وأخضعوا لها شروحهم، وفرضوا عليها تلك الأثقال " [٢].

وهذا يعني مبدئيا أن الاختلاف الواضح في الاتجاه النحوي عند الشارحين، كان في معدل حضوره وغيابه، فعند ابن كيسان كان الاتجاه موجودا، ولكنه يغيب عن بيت ويحضر في آخر، بينما كان ابن الأنباري يؤكد حضوره في شرح كل بيت.

ويضم الاتجاه النحوي في الشروح الشعرية علمي: النحو، والصرف. فهما علمان مرتبطان ببعضهما، وقد تنبه القدماء لهذا الارتباط، ولتقدم النحو عادة على الصرف في الترتيب على الرغم من أهميته. يقول ابن جني في كتابه المنصف: " إن التصريف أقرب إلى النحو...، فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة...، فمن الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف؛ لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن يكون أصلا لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب لمّا كان عويصا صعبا بُدئ قبله

---

[١] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ١١٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد؛ ليكون الارتياض في النحو موطئا للدخول فيه " [١]. وأكبر دليل على هذا الارتباط، وتقدم النحو على الصرف، أنك غالبا ما تجد عند قدامى العلماء من يؤلف كتابا في علم النحو، فيجعل منه جزءا لاحقا خاصا بعلم الصرف، ومن أمثلة ذلك كتاب سيبويه، وكتاب الخصائص لابن جني، وكتاب المقتضب للمبرد.

وقد استعان الشراح بهذين العلمين باعتبارهما عنصرين من عناصر الشرح، كي تساعدهم في كشف مغالق النصوص الشعرية، فهما مكملان لبعضهما في عملية الفهم؛ لأن "التغيير في المعاني يُعقد على نوع التغيير في الكلمة في أولها أو وسطها أو آخرها " [٢]، وبذلك يصبح علما الصرف والنحو كفيلين بأن يحصرا كل معنى قد ينتج عن التغير الذي يصيب بناء الكلمة. وقد أثبت ابن فارس أهمية هذين العلمين في عملية الفهم، بأن جعلهما الوجهين الأساسيين في " باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع " [٣].

وبعد أن أدركنا ترابط هذين العلمين، واستحضارهما لدى الشراح في شروحهم الشعرية، فإننا سنجعل هذا الفصل في مبحثين، يتناول المبحث الأول الجانب النحوي، والمبحث الثاني يختص بالجانب الصرفي؛ وذلك للوقوف على قيمة كل منهما في توضيح المعنى، ثم نسلط الضوء تارة على شرح ابن كيسان، وتارة أخرى على شرح ابن الأنباري، لرصد منهجيهما في كلا الجانبين.

ولكن قبل الشروع في مباحث الفصل، يود الباحث أن يشير إلى أن هذا الفصل لن يتطرق لقضية الاحتجاج عند الشارحين، والتي تعد من أهم قضايا الاتجاه النحوي، لتكون في الفصل الخامس ضمن السمات الأسلوبية للشرحين، وذلك لأن الشارحين لم يقتصرا بالاحتجاج على القضايا النحوية والصرفية فحسب، وإنما استعانا به أيضا في قضايا اللغة والبلاغة والنقد. فإذا تحدثنا عن الاحتجاج في هذه الاتجاهات جميعها سنقع في التكرار، الذي قد يصيب الدراسة بالضعف، ويحمّلها ما لا فائدة منه، لذلك فضلنا أن يكون الحديث عن هذه القضية ضمن السمات الأسلوبية.

---

[١] ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت٣٩٢هـ)، المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ط١، دار إحياء التراث القديم، بيروت، ١٩٥٤، ص ٤ – ٥ .

[٢] ولويل، كامل جميل، (١٩٨٨)، الحركات الإعرابية ودلالتها. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد ٨ (ع٣١): ص ٢٣٨ .

[٣] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها ط١، الناشر: محمد علي بيضون، ١٩٩٧، ص١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الجانب النحوي.

تمثل الجانب النحوي في الشروح الشعرية في جانب تطبيقي قائم على الإعراب، وكان الشارح يتناول فيه تحليل النصوص تحليلا إعرابيا، ليبين الوظيفة التي تؤديها كل مفردة، ويحدد العلامة الإعرابية التي تشير إلى تلك الوظيفة، وينظر في نظم الجملة ليوضح العلاقة النحوية بين ألفاظها، فيميّز بين أركانها الأساسية والمكملات، ثم يحاول الخروج من الإعراب إلى المسائل النحوية ليعرضها، أو ليقف على بعض المسائل الخلافية فيها.

إن حضور الإعراب بشكل واضح في الشروح الشعرية لم يكن اعتباطيا وإنما كان أمرا مقصودا، استحضره الشراح ليحققوا ثلاث غايات مهمة تعود بالفائدة على المتلقي، منها:

أولا: توضيح معاني الأبيات، والوقوف على ما هو مستغلق منها. وتُعدّ هذه الغاية من أهم الغايات التي يسعى إليها الشارح، فإذا تداخلت المعاني واستبهم الكلام، فالإعراب كفيل بمعرفة معناه، وتمييز المبتدأ من الخبر، والفاعل من المفعول، والمضاف من المنعوت، والتعجب من الاستفهام. وقد أجمع العلماء على هذه الوظيفة التي يؤديها الإعراب، فقال ابن قتيبة في حديثه عن العرب وما خصهم الله به: " ولها الإعراب الذي جعله الله وشيكا لكلامها، وحلية لنظامها وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين " [١]. وقال ابن جني في باب القول على الإعراب: "هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ " [٢]. أما العكبري فيقول في باب علة الإعراب: "الإعراب دخل الكلام ليفرق بين المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة ونحو ذلك " [٣]. وقد وافقهم في هذا الرأي علماء آخرون، منهم: ابن فارس [٤]، وابن منظور [٥]، والجرجاني [٦].

---

[١] ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ١٨ .

[٢] ابن جني، الخصائص، ج١، ص ٣٥ .

[٣] العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي، (ت٦١٦هـ)، مسائل خلافية في النحو، ط١، (تحقيق:محمد خير الحلواني)، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٩٣ .

[٤] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص ٤٣ .

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مج ١، مادة (عرب)، ص٦٨٧ .

[٦] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، ط٣، ج١، (تحقيق:محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: غاية تعليمية تعود بالفائدة على متلقي الشروح من طلبة العلم، فالتعود على الإعراب يمكنهم من "الإلمام بألفاظ الإعراب وعباراته ومصطلحاته، والقدرة على الشكل وتحلية أواخر الكلمات بالحركات المناسبة، والإحاطة بمسائل النحو المهمة وغير المهمة، والتعود على ممارسة عبارات الإعراب الفصيحة " [١].

ثالثا: غاية فكرية؛ فقد استعان الشراح بالإعراب لنشر وتدعيم آرائهم النحوية، فجعلوا من الشروح مسرحا يعرضون فيه شخصيتهم النحوية، ومن الإعراب أداة يطرحون من خلالها آراءهم، فيبينون منها الآراء المستقلة،والآراء التي توافق أو تناقض مذهب البصريين والكوفيين.

وبعد أن أدركنا قيمة الجانب النحوي (الإعراب) في الشروح الشعرية، ودوره في مساعدة الشارح والمتلقي، سننتقل للنظر في المنهج الذي اتبعه ابن كيسان وابن الأنباري في عرض الجانب النحوي في شرحيهما .

الجانب النحوي عند ابن كيسان.

لا نستبعد ظهور هذا الجانب عند ابن كيسان، فقد كان عالما بارزا في النحو، تتلمذ على يد المبرد وثعلب رؤوس هذا العلم في زمانه، فأصبح أنحى منهما [٢]، ليكون " أول أئمة المدرسة البغدادية " [٣]. وطرق باب التأليف في هذا العلم ليخلف وراءه مصادر متنوعة ينشر فيها منهجه وآراءه النحوية، منها: ما هو في النحو ومسائله، ومنها في علله، وآخر في المسائل الخلافية بين الفريقين [٤].

كان لابن كيسان مذهب في النحو، أكثر المُترجمون من الحديث عنه، واتسم بالحيادية وبروز الشخصية، فقد " مزج بين النحوين: البصري والكوفي، فأخذ من كل واحد منهما ما غلب على ظنه صحته، واطرد له قياسه، وترك التعصب لأحد الفريقين على الآخر " [٥]. ولم يقتصر مذهبه فقط على المزج فحسب، بل كانت له أيضا بعض الآراء الانفرادية، التي يقدم لها

---

[١] علوش، جميل، (١٩٨٥)، الإعراب ودوره في دراسة العربية. المجلة العربية، السنة التاسعة (ع٩٦): ص١٠٦.

[٢] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ١٥٣ .

[٣] ضيف، شوقي، (١٩٩٩)، المدارس النحوية، ط ٨ ، القاهرة: دار المعارف، ص٢٤٨ .

[٤] أنظر التمهيد في هذه الدراسة، ص ١٤.

[٥] ضيف، المدارس النحوية، ص٢٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التعليلات والبراهين المقنعة، فانعكس هذا المذهب على شرحه للسبع الطوال، وبدا واضحا في بعض المواضع .

لقد ورد الجانب النحوي في شرح ابن كيسان، وجاء موزعا في نواح مختلفة منه، ولم يكن ملازما كل شرح للأبيات الشعرية، وإنما كان يحضر في شرح بيت، ويغيب في شروح أخرى. وعادة ما كان يلازم الأبيات التي تحتوي ألفاظا يصعب فهمها، أو تختلف في روايتها، أو ألفاظا تحتمل أوجها إعرابية مختلفة.

ولن يتناول الباحث في هذا المبحث رصد المسائل النحوية التي عرض لها في شرحه، وإنما يكتفي بالإشارة إلى مواضع بعضها في الشرح، لأن رصدها سيطول وقد يحتاج إلى دراسة خاصة، وسيعرض بعض سمات منهجه التي اتبعها في عرض هذه المسائل فقط، التي تعد أصولا في علم النحو، وتتمثل بوصفها عناصر أساسية لإعراباته في الشرح.

ومن المسائل النحوية التي وردت في شرحه: المبتدأ والخبر[١]، والفعل الماضي والمضارع [٢]، والفعل الأمر وجوابه [٣]، والفعل المتعدي [٤]، والفعل المبني للمجهول، ونائب الفاعل [٥]، وكان وأخواتها [٦]، والاسم الموصول [٧]، والحال [٨]، والنعت [٩]، والبدل [١٠]،

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٣. والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤١٢.

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص٧٨ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٩ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٣٩، ٧٨ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٦٩.

[٦] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص٤٥ ، ٤٦. النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٣٩٤.

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٥١ .

[٨] المصدر نفسه، ص٤٦، ٥٠ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٧٨ . والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤٣٩ / ج٢، ص ٦١٠.

[٩] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٧٢ ، ٧٨ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ٥٩ . وشرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٥٣ .

[١٠] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٧٤، ٨٩. والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص ٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتمييز [١]، والعطف [٢]، والإضافة [٣]، والمجاورة [٤]، والإتباع [٥]، والمفعول المطلق [٦]، والمفعول به [٧]، وأسلوب الأمر وجوابه [٨]، وأسلوب القسم [٩]، وأسلوب الشرط [١٠]، وأدوات التوكيد [١١]، وواو(رُبّ) [١٢]، وحروف الزيادة [١٣]، والضمائر [١٤]، وظرف الزمان [١٥]، والممنوع من الصرف [١٦]، وجمع المذكر السالم وإعرابه [١٧].

أما عناصر إعرابه التي قد تعطينا صورة عن منهجه النحوي، فمنها:

المصطلح النحوي .

هو مجموعة من المصطلحات اتفق عليها علماء النحو، ليعبّروا بوساطتها عن موضوعات علمهم ومعانيه، فيسهل فهمها والتعرف إليها. ويعد هذا المصطلح المرآة الأولية للنحوي، وتعكس المذهب الذي ينتمي إليه إن كان بصريا، أو كوفيا، أو مذهبا ممزوجا من الطرفين.

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٤ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٢، ٩٧ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٥٩ ، ٨٩ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥١ ، ٦٩ ، ٧٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص١٠٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص٤٧ ، ٥٦. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٤٨ .

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٨ . والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤١٩.

[٨] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٤ .

[٩] المصدر نفسه، ص ٦٤ .

[١٠] المصدر نفسه، ص ٦٦ . و شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٣ .

[١١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٨ .

[١٢] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص ٤١٩ .

[١٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٦ .

[١٤] المصدر نفسه، ص ٧٨، ٩٥ . و شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٩ ، ٨٦ ، ٩٤ .

[١٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٧ ، ٥٢ ، ٦٢ .

[١٦] المصدر نفسه، ص ١٠٢ ، ١٠٣ . والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص٥٤٣ .

[١٧] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٢ – ٤٣، ص ٨٤ – ٨٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واهتم ابن كيسان بذكر المصطلحات النحوية في شرحه، ولم تكن مصطلحات ينفرد بها عن غيره من النحويين، وإنما كانت مزجا وخلطا بين المصطلحات البصرية والكوفية، لتكون دليلا واضحا عن مذهبه النحوي. ومن مصطلحاته البصرية في الشرح: الحال [١]، والمتعلق[٢]، والضمير، والفعل المتعدي [٣]، والمعطوف [٤]، والممنوع من الصرف [٥]، والجر [٦]، والبدل [٧]، والخروج [٨]، وحروف الهجاء [٩].

أما مصطلحاته الكوفية التي أوردها في الشرح، فمنها: الصلة [١٠]، والمحل، والوقت [١١]، والنعت[١٢]، والتفسير[١٣]، والصرف [١٤]، والكناية [١٥]، والعماد[١٦]، والذكر[١]، والنسق

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٤٦ ، ٥٠ ، ٧٨ . وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٨ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٤٩.

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٩٧ . والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤١٩ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص١٠٢ ،١٠٣ . والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص٥٤٣ .

[٦] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٣ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٧٤ ، ٨٩. والنحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٣٩٤، ٤١٩ .

[٨] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٨. (والخروج هو النصب على المفعولية، وهو عبارة البصريين، أنظر: مستدرك تاج العروس، مادة: خرج).

[٩] المصدر نفسه، ص ٤٣ . (يقصد بها الحروف التي تبنى منها الكلمة) .

[١٠] المصدر نفسه، ص٤٩. وشرح معلقة امرئ القيس، ص٥١ .(ويقصد بها عند البصريين حروف الزيادة والمتعلقات).

[١١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٧، ٥٢، ٦٢. (ويقصد بهما عند البصريين ظرف الزمان).

[١٢] المصدر نفسه، ص٧٢، ١٠٥، ١٠٦. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٥٩.(ويقصد به عند البصريين الصفة).

[١٣] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٤. (ويقصد به عند البصريين التمييز).

[١٤] المصدر نفسه، ص ٩٣. (مصطلح كوفي غير موجود عند البصريين، ويعني: العدل بلفظ ما بعد الواو عن موافقة ما قبله في إعرابه، وذلك لأنه لا يوافقه في المعنى، أنظر: ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسالة ٧٥).

[١٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٩، ٨٦. (ويقصد به عند البصريين الضمير).

[١٦] المصدر نفسه، ص ٩٤. (ويقصد به عند البصريين ضمير الفصل).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمنسوق [٢]، وفعل المستقبل [٣]، والفعل الواقع [٤]، وحروف الإقحام [٥]، والنصب على المصدر [٦]، وجواب الجزاء [٧]، والخافض والمخفوض [٨].

العامل والمعمول.

تعد نظرية العامل من النظريات الأساسية التي قام عليها علم النحو. وأول من نادى بها وأرسى قواعدها هو الخليل بن أحمد، وقد نقلها عنه تلميذه سيبويه في كتابه. وتنص هذه النظرية على أنه: "لابد مع كل رفع لكلمة أو نصب أو خفض أو جزم من عامل يعمل في الأسماء والأفعال المعربة ومثلهما الأسماء المبنية " [٩]، ويفهم من نص النظرية أنها تتكون من ثلاثة عناصر، هي: العامل، والمعمول، والعمل. ولكن العامل يُعدّ من أهم هذه العناصر؛ لأنه المؤثر الأساسي في الكلمات، وعليه تتوقف وظيفة كل كلمة، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، الأمر الذي يساعد الشارح في توضيح المعنى.

وينقسم العامل لنوعين: لفظي، ومعنوي. اللفظي، مثل: المبتدأ وعمله الرفع في الخبر، والفعل وعمله الرفع في الفاعل والنصب في المفعولات، أما المعنوي، فمثله: الابتداء وعمله الرفع في المبتدأ. ولقد أخذ ابن كيسان بنظرية العامل فانعكست في شرحه وإن كانت في مواضع قليلة منه، فقد ذكر عامل الابتداء المعنوي في إعرابه لأجزاء من بيت لبيد بن ربيعة:

٥٠- فَلَحِقْنَ واعتكرت لها مَـذْرِيَّةٌ كالسَّـمْهَرِيَّةِ حَـدُّها وتَمامُـها [١٠]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٩٤. وشرح معلقة امرئ القيس، ص١٠٠،٧٨. (ويقصد به عند البصريين الضمير المستتر) .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٢ ، ٦٦ ، ٩٧. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٥٩، ٨٩، ٩٣. (ويقصد به عند البصريين العطف والمعطوف) .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٠ ، ١٠٣. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٧٣. (ويقصد به عند البصريين الفعل المضارع).

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٩ . (ويقصد به عند البصريين الفعل المتعدي).

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٦ ، ٦٧. (ويقصد به عند البصريين حروف الزيادة).

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٧. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ٤٨ .(ويقصد به عند البصريين المفعول المطلق).

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ٩٣ . (ويقصد به عند البصريين جواب الشرط).

[٨] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ٦٩ ، ١٠٠ ،١٠٥. (ويقصد بهما عند البصريين الجار والمجرور).

[٩] ضيف، المدارس النحوية، ص ٣٨ .

[١٠] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ٤١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" قال أبو الحسن: والكاف في قوله: كالسمهرية في موضع رفع بالابتداء، وقوله: "حدُّها" خبر، وإن شئت كان حدُّها مرفوعا بالابتداء، وقوله كالسمهرية خبر " [١].

وذكر في موضع آخر من شرح القصيدة العامل اللفظي، في البيت:

٧٧- **ويكلّلون إذا الرياحُ تناوَحَتْ خُلَجاً تُمَدُّ شوارعاً أيتامها** [٢]

وذكر العامل اللفظي، وهو الفعل (يكللون)، مبينا عمله في المفعول به (خُلجا)، وذكر اسم الفاعل (شوارع)، الذي يعمل عمل الفعل، فيرفع الفاعل (أيتامها) [٣].

العلة والتعليل

اهتم النحاة بالعلة والتعليل مع ظهور البواكير الأولى للحركة النحوية. ويُعد أول من علل النحو عبد الله بن إسحاق الحضرمي [٤]، والخليل بن أحمد [٥]. قال الزجاجي: " ذكر بعض الشيوخ أن الخليل بن أحمد رحمه الله سُئل عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت فهو الذي التمست ....، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها " [٦].

وفي ضوء ما سبق فالعلة هي اجتهاد من النحاة، فكان المجال مفتوحا أمامهم بشرط أن تكون عللا مقنعة، وقد أبدع ابن كيسان في هذا المجال، فاشتهر في عصره بالإغراب

---

[١] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤١٢. وانظر مثالا آخر للعامل المعنوي: ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص٩٣.

[٢] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤٣٩ .

[٣] المصدر نفسه،ج١، ص٤٣٩. وانظر مثالا آخر للعامل اللفظي: المصدر نفسه، ج١، ص٤١٩ .

[٤] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ١١.

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩ .

[٦] الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٦٥ ، ٦٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والإعراب[١]، وألف كتابا واسعا في ثلاثة مجلدات أو أكثر خاصا في العلل النحوية، أطلق عليه: " كتاب المختار في علل النحو" [٢] .

واتبع ابن كيسان التعليل في شرحه للسبع الطوال حتى يقوي آراءه وإعراباته، فإذا ما اصطدم ببعض القواعد في إعرابه راح يؤول ويعلل هذه الوجوه الإعرابية. ومن علله التي قدمها في الشرح " علة المجاورة "[٣]، ففي إعرابه لبيت امرئ القيس :

٧٢- وكأنّ ثبيراً في عَرانين وَبْـلـه كبير أنـاسٍ في بجادٍ مُـزَمَّل [٤]

قال معللا: " وكان ينبغي أن يكون «مُزَمَّل» رفعاً، لأنه من نعت «كبير»، ولكنه خفضه على تجاورته اليجاد. ونحو هذا قولهم: جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ " [٥].

كما علل لبعض إعراباته بعلة " الحمل على المعنى " [٦] ، في بيت امرئ القيس:

٩- وَيَـوْمَ عَقَرْتُ للعَذارَى مَطِـيَّتي فيا عَجَباً من رَحْلِها المُتَـحَمَّل [٧]

فقد قال معللا نصب «يومَ عَقَرْتُ»: "وإن شئت كان موضعه نصباً بحمله على معنى: ألا ربَّ يوم لكَ منهنَّ صالح في ذلك الوقت الذي عقرتَ فيه ناقتك " [٨].

الحذف

هو من سنن العرب ويعني " إسقاط كلمة بخلف منها يقوم مقامها " [١]؛ أي إن الحذف لا يجوز إلا إذا كان معلوما للمخاطب بقرينة تدل عليه. ويصيب الحذف كل مكونات الكلام من أسماء وأفعال وحروف، ويلجأ إليه المتكلم " إيثارا للتخفيف، وثقة بفهم المخاطب " [٢].

---

[١] القفطي، إنباه الرواة على أنباء النحاة، ج٣، ص ٥٨ .

[٢] الحموي، معجم الأدباء، مج٦، ص٣٤٤. والسيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص١٩.

[٣] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ)، الاقتراح في أصول النحو، (تحقيق: محمد ابن فريد الشبراوي)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١٠٠.

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٠٥ .

[٦] السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص٩٩.

[٧] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٢ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٥٢ . وانظر أمثلة أخرى للعلة: ص٤٧ ، ٥٦ ، ٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن معرفة مواطن الحذف في الكلام، والكشف عن المضمرات تساعد في الإبانة وفهم الكلام، لذلك حاول الشراح الوقوف عليها وتقدير المحذوف حتى يستقيم فهم الشعر على المتلقي.

وقد وقف ابن كيسان على مواطن الحذف في شرحه، وحاول تقدير الكلمات المحذوفة، ففي بيت طرفة بن العبد:

٨٥- أخي ثِقةٍ لا ينثني عن ضَريبَةٍ إذا قـيلَ: مَهلاً قال حاجِزُهُ : قدِ [٣]

بيّن ابن كيسان المحذوف من البيت، قائلا: " إذا قيل مهلاً: أي إذا قال قائلُ مَهلاً، قال الذي يحجزُ بينهُ وبين المضروبِ: قد أتى على ما أراد من القط " [٤].

وفي بيت لبيد بن ربيعة:

٣٣- فمَضى وقدّمها وكانت عـادةً منه إذا هـي عَـرَّدَتْ أقدامـها [٥]

قال أبو الحسن ناقلا ومؤيدا رأي أستاذه في الحذف: " قال أبو العباس محمد بن يزيد: أضمر في كانت التقدمة، كأنه قال: وكانت التقدمةُ عادة، ثم أبدل قوله إقدامه من التقدمة، قال أبو الحسن: وهذا القول حَسَنٌ جِدّاً " [٦].

التقديم والتأخير

يعرفه السيوطي بأنه: " تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر، وتأخيره وهو في المعنى مقدم "[٧]. وتعد هذه الظاهرة من سنن العرب التي استغلها الأدباء، وخصوصا الشعراء في التعبير عن بعض المعاني البلاغية والسمات الجمالية في الشعر. ولابد لمعرفة المقدم والمؤخر

---

[١] الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، (ت ٣٨٤هـ)، رسالة الحدود، (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، دار الفكر، عمان، (د.ت)، ص ٧٠ .

[٢] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت ٤٢٩هـ)، فقه اللغة وسر العربية، ط١، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢٣٧ .

[٣] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٩. وانظر مثالا آخر: ج٢، ص ٥٦٦ .

[٥] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص ٣٩٤ .

[٦] المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٤. وانظر أمثلة أخرى للحذف: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٦٦. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٨ ، ٤٩ .

[٧] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص٣٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من معرفة رتب الكلام، وهي أن تعرف المكان الأصل الذي يجب على اللفظ أن يتخذه في التركيب، ويشترط ذلك تحديد المعنى النحوي.

وما دام الشعراء أكثروا من هذه الظاهرة في أشعارهم، فقد اهتم الشراح بها في شروحهم الشعرية لتوضيح المقدم والمؤخر في الشعر، وإعادة ترتيبه حتى لا يقع متلقي هذا الشعر باللبس في فهمه. وقد اتبع ابن كيسان الوقوف على هذه الظاهرة وتوضيحها في شرحه، ومن أمثلتها ما جاء في بيت امرئ القيس:

٤٣- فقُلتُ له لمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وأردَفَ أعْجازاً وَ ناءَ بِكَلْكَلِ [١]

قال أبو الحسن: " وفيه تقديم وتأخير؛ إنما تقديره: ناءَ بصدره، وتمطّى بصُلبه، وأردف عَجُزه. كذا تأليفه يؤكّد طول الليل، وأنه اعتمده بذلك " [٢].

الروابط النحوية

اعتاد الشعراء في قصائدهم على جعل أبياتها مرتبة في تسلسل المعاني، ومترابطة في أجزائها، ومع ما قبلها وبعدها من أبيات، ولا يتم ذلك إلا بروابط قوية تكون ظاهرة وأحيانا خفية، ومن هذه الروابط: الضمائر، وحروف الجر. وتعد معرفة هذه الروابط وما ترتبط به سبيلا لتحديد المعنى ورفع أي لبس عنه، لذلك اهتم الشراح بها، فوقفوا في شروحهم على تحديد عائد الضمير، ومتعلقات حروف الجر.

واهتم ابن كيسان بتحديد عائد الضمير في بعض الأبيات للوصول إلى المعنى الصحيح، ففي بيت طرفة بن العبد:

٩١- فقالوا : ذروهُ إنّما نفعُها لهُ وإلاّ تَرِدّوا قاصيَ البَرْكِ يَزْدَدِ [٣]

قال: " الهاءُ في قوله: ذروهُ، تعودُ على طرفة، وفي قوله: نفعُها له، تعودُ على الشيخ"[٤].

كما اهتم بتحديد متعلقات حروف الجر فأطلق عليها "الصلة"، وذلك لأن المعنى يتوقف على معرفة متعلقها، ففي بيتي عمرو بن كلثوم:

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٨٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٨٢ ، ٨٣ .

[٣] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٥١ .

[٤] المصدر نفسه، ص٥٢. وانظر أمثلة أخرى في: شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٩، ٥٩، ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- قِـفِي قَبْـلَ التفرّق يا ظَـعِينَا نُخَبِّـرْكِ اليَقِيـنَ و تُـخْبِريـنَا

٧- بِيَوْمٍ كَرِيـهةٍ ضَـرْباً وَطَـعناً أقَـرَّ بِـهِ مَـوَاليكِ العُـيُونَـا [١]

قال: " أقرّ به: الهاءُ لليوم. ومواليك: بنو عمّك. أي: أقرُّوا العيون بذلك اليوم لظفرهم. والباءُ من صلة " قفى" إن شئت، وإن شئت من صلة " نخبِّرك ".

ومعنى هذا البيت إذا كانت الباءُ من صلة " قفي"، أى: قفي بهذا اليوم الكريه الذي تحاربنا فيه فاصدُقينا عن مودّتك، وأخبرينا بما في نفسك، أغيَّرك هذا اليوم أم أنت على مودّتك؟

وإذا كانت الباءُ من صلة " نخبِّرك"، أى: قفى لنخبرك بيوم حربنا، وتخبرينا بما عندك فيه، أى: هل يغيّرك ذلك إذا تحدّثتُ بما بين أهلى وأهلك من الحرب ؟ "[٢].

التعدد الإعرابي

يعد الخليل أول من فتح باب الاحتمالات الإعرابية؛ إذ عرض في كتاب سيبويه وجوها مختلفة في إعرابه لبعض الأمثلة، متبعا كل وجه من هذه الوجوه بتأويلات وتخريجات تدعم وتثبت صحتها، ثم انتقل الأمر بعد ذلك إلى النحاة وأخذ يتطور، خاصة عندما اشتد الخلاف النحوي، وتنوعت العلل النحوية.

وبما أن الإعراب كان سبيلا لبيان المعنى؛ فقد أصبح لزاما على النحاة إيراد الوجوه الإعرابية التي تحتملها كل كلمة في الجملة؛ مما دفع الشراح إلى الوقوف على كل الوجوه الإعرابية لألفاظ البيت الشعري وتعليلها، خاصة في الألفاظ التي تتعدد روايتها.

وقد اهتم ابن كيسان بهذه القضية في إعراباته للأبيات، فجاءت منتشرة في الشرح ليلم بكل معنى قد يحمله أي وجه إعرابي، فيدور في حلقة المعنى الذي أراد الشاعر إيصاله، ففي بيت امرئ القيس:

٣٩- كَبِكْرِ المُقَاناةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَـذاها نَمِيرُ الماءِ غَيْرَ مُحَـلَّلِ [٣]

قال ابن كيسان: " «البياض» ينصب ويرفع ويخفض في هذا البيت.

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٧، ٤٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٩. وانظر أمثلة أخرى في: شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٩. وشرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٤ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن نَصَب البياضَ فإنه يجعل في المُقاناةِ ضمير البياض، ويكون اسم ما لم يُسَمَّ فاعِلهُ؛ لأنّ المُقاناة المفاعَلة، ويرفعه على البَياض كأنه قال: كالبَيْض الذي قُوني هو بياضٌ بصُفْرة، بجعله متعدّياً إلى مفعولين قام أحدهما مقام الفاعل، وترك الآخر على نصبه، كقولك: مررت بالمُعَطّى الثوب يا فتى.

ومن قال: «البياض» فخفضه، خفضه بالإضافة، كما تقول: مررتُ بالمعطي الدرهم.

ومن رفعه لم يجعل في المقاناة ذكراً، وجعل الألف واللام بمعنى الهاء؛ أراد: كيكّر البيض الذي قُوني بياضُه بصفرة فجعل البياض اسم ما لم يُسمّ فاعله ورفعَه، وأقامه مقام الفاعل"[١] .

وفي بيت عمرو بن كلثوم :

٥٥- ونُوجَـدُ نحنُ أمْنَعَهم ذِمَـاراً وَأوْقَـاهُم إذا عَـقَـدُوا يَمِـينا [٢]

قال: " لك في (نُوجَد) الرفع والنصب والجزم؛ من جزمه جعله نسقاً على جواب الجزاء في البيت الأول (نَجُدّ) أو (نَقِص) و(نُوجَدْ). ومن نصبه نصبه على الصَّرْف وإضمار (أن). ومن رفعه رفعه على الابتداء .

و(نحن) – ها هنا – عماد. و(أمنعَهم): نصب، وإن شئت رفعت (أمنعهم) وجعلت (نحن) اسماً مبتدأ. وإن شئت جعلت (نحن) توكيداً لما في (نُوجَدَ) من الذّكر، ونصبت (أمنعهم) على خبر (نوجد) " [٣].

ومما يميز قضية التعدد الإعرابي في شرح ابن كيسان أنه يعرض كل الوجوه، ويقدم لها التعليلات التي تكون بمثابة الحجج، فيجعل الخيار أحيانا مفتوحا أمام المتلقي ليختار ما يراه مناسبا، فيقول: " وإن شئت كان كذا " [٤]، دفعه لذلك منهجه الذي اتبعه في التعامل مع المذهبين البصري والكوفي القائم على الاقتناع والاختيار، حيث كان يأخذ من كل مذهب ما غلب على ظنه صحته، واطرد له قياسه. وأحيانا أخرى كان يرجح أو يضعف بعض الأوجه فيطلق عليها

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص٧٧، ٧٨. وانظر أمثلة أخرى: ص ٤٦، ٤٧، ٥١، ١٠٠، ١٠١.

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٣ ، ٩٤. وانظر أمثلة أخرى: ص ٥٩ ، ٦٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٩ ، ٩٤. وشرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحكام التي قد تعين المتلقي في الاختيار دون أن يلزمه بهذا الوجه، كأن يقول: " هذا هو الوجه"[١] أو "الأجود أن يكون" [٢] أو "هذا الوجه فيه ضعف " [٣].

التقدير الإعرابي

جاء هذا العنصر مرتبطا بالعناصر السابقة ومكملا لها، ويعد ضروري في خدمة المعنى. والهدف من الاهتمام به "هدف دلالي، يخدم معنى الكلام لإزالة ما قد يعتريه من غموض، لأنه يرد الجملة إلى أصلها عن طريق بيان المحذوف، سواء كان كلمة أو جملة، أو عن طريق بيان التقديم والتأخير في الجملة " [٤].

وبناء عليه، فقد اعتمد عليه الشراح في ترتيب مكونات الأبيات، واستكمال نواقصها، ليتضح معناها للمتلقي. وقد ورد هذا العنصر في شرح ابن كيسان، بقدر ما وردت حالات الحذف والتقديم والتأخير، كأن يقول بعدها: "والتقدير هو" أو "أراد كذا" أو "كأنك قلت"، ومن أمثلته في شرح ابن كيسان ما جاء في بيت الحارث بن حلزة :

٨٥- مِثْلَــهَا تُخْرِجُ النَّصِــيحَةَ للقوْ م قَــلاةٌ مــن دُونِــهَا أقــلاءُ [٥]

قال أبو الحسن: " يُروى: (قلاةٌ وقلاةُ) بالرفع والنصب، فمن نصب فعلى الحال، كأنَّهُ قال: مثلَ قلاةٍ: أي واسعةٍ، ومن رفع فعلى إضمار مبتدأ، كأنَّه قال: هي قلاةٌ من دونِها أفلاء "[٦].

---

[١] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٦ .

[٢] الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن موسى الشيباني، (ت ٥٠٢ هـ)، شرح القصائد العشر، ط ١، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، ١٩٦٢، ص٢٢٦.

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠١. وشرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٥ .

[٤] المدني، علي محمد، (١٩٩٥)، الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري: دراسة وصفية. مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السابع (ع١): ص٥٩ .

[٥] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج٢، ص٦١٠ .

[٦] المصدر نفسه، ج٢، ص٦١٠ . وانظر أمثلة أخرى: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٤ ، ٦٦. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٨ ، ٤٩. والقرشي، جمهرة أشعار العرب، ج١، ص٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مسائل الخلاف

يعني الخلاف عند النحاة "ما نشأ بين علماء البصرة والكوفة من تباين في تعليل الظواهر اللغوية، ومن تمايز في استنباط الأحكام النحوية، واختلاف في فهم الأصول واستخدامها، وتقعيد القواعد وتخريجها، إلى غير ذلك مما يمتّ إلى علم النحو واللغة " [١].

وقد اشتد الخلاف بين علماء المصرين عندما اجتمع رأسي نحاة البصرة والكوفة – المبرد وثعلب – في بغداد، حيث عقدا الحلقات في جامع المنصور، والمناظرات في مجالس الخلفاء، لينشر كل منهما مذهبه ومذهب شيوخه، ويتعصب لآرائه وآرائهم.

وبما أن ابن كيسان تتلمذ على يد الشيخين، وتردد على حلقاتهما، وقرأ مصنفاتهما، فقد تأثر في الخلاف بين الفريقين، وألف فيه كتابه "المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون " [٢]. ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الخلاف على آرائه النحوية، ومنها على شرحه للسبع الطوال، ففي مواطن متفرقة من الشرح توافقت آراؤه مع آراء البصريين تارة، ومع آراء الكوفيين تارة أخرى، ليرسم بذلك مذهبه النحوي في الشرح.

فمن آرائه التي توافقت مع البصريين، أن العامل في رفع المبتدأ هو الابتداء، وليس الخبر كما يرى الكوفيون [٣]، وكان رأيه هذا واضحا في شرحه لبيت لبيد بن ربيعة:

٥٠- **فَلَحِقْنَ واعتكرت لها مَذْرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّها وتَمامُها** [٤]

فقد أعربه ابن كيسان قائلا: " والكاف في قوله: كالسمهرية في موضع رفع بالابتداء، وقوله: " حدُّها " خبر، وإن شئت كان حدُّها مرفوعاً بالابتداء، وقوله كالسمهرية خبر" [٥].

---

[١] علوش، جميل، (١٩٨١)، ابن الأنباري وجهوده في النحو، ط١، بيروت: الدار العربية للكتاب، ص٢٣٦،٢٣٥.

[٢] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٣] ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي، (ت ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ط١، ج١، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، مسألة (٥)، ص ٤٩ .

[٤] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص٤١٢ .

[٥] المصدر نفسه، ج١، ص ٤١٢. ومن آرائه البصرية الأخرى التي وردت في شرحه: (عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه: شرح معلقة امرئ القيس، ص٦٨ ، ٦٩) و (أن واو العطف لا تأتي زائدة في الكلام: شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٦، ٦٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن آرائه التي توافقت مع الكوفيين، أن (أل) التعريف قد تنوب عن الضمير[١]، وجاء هذا في شرحه لبيت امرئ القيس :

٣٩- كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياض بِصُفْرَةٍ غَـذاها نَميرُ الماءِ غَيْرَ مُحَـلَّلِ [٢]

قائلا: " «البياض» ينصب ويرفع ويخفض في هذا البيت. فمن رفعه لم يجعل في المقاناة ذكرا، وجعل الألف واللام بمعنى الهاء؛ أراد: كبكر البيض الذي قُوني بياضُه بصفرة فجعل البياض اسم ما لم يُسمّ فاعله ورفعَه، وأقامه مقام الفاعل " [٣].

وفي بعض الأحيان كان ابن كيسان في إعرابه يجمع بين إعراب البصريين والكوفيين، ففي بيت عمرو بن كلثوم:

٥٥- ونُـوجَدُ نحنُ أمْنَعَهم ذِمَـاراً وَأوْفَـاهُم إذا عَـقَـدُوا يَمِـينَا [٤]

جمع ابن كيسان بينهما في إعراب (نُوجَد)، قائلا: " ومن نصبه نصبه على الصَّرْف، وإضمار (أن) " [٥]، ومعلوم أن هذه المسألة (عامل النصب في الفعل المضارع بعد واو المعية) خلافية بين الفريقين، فقد ذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع منصوب على الصرف، وذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير (أن) [٦]، ويكون ابن كيسان بذلك قد جمع إعرابهما في إعراب واحد.

---

[١] ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله الأنصاري المصري، (ت٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط١، ج١، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧، ص٥٤ / ج٢، ص٥٠١ ، ٥٠٢ .

[٢] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٨. ومن آرائه الكوفية الأخرى: شرح معلقة امرئ القيس، ص٥٦. (والرأي هو: أن المفعول المطلق قد ينصبه فعل مرادف لفعله. أنظر: شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري، ص٢٥).

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٩٣ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٩٣ .

[٦] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، مسألة (٧٥)، ص ٥٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونخلص من العناصر السابقة أن ابن كيسان أخذ بنظرية العامل والمعمول، لكنه لم يعتمد عليها كثيرا في شرحه؛ فقد اكتفى بتوضيح الحكم والموقع الإعرابي للكلمة، وتوثيقها بالتعليل، وحرص على رصد مواطن الحذف والتقديم والتأخير في الشرح فبينها بتقديراته الإعرابية، وحاول ربط المعاني والكلمات بتوضيح عوائد الضمائر وتحديد المتعلقات، كما حاول الكشف عن مذهبه بالمصطلحات النحوية، ومدى توافقه وتعارضه مع آراء البصريين والكوفيين.

ويتضح مما سبق أن الجانب النحوي في شرحه تمثل في عناصر الإعراب، التي ظهرت في مواضع من الشرح وغابت في أخرى؛ إذ استعان بها ليوضح للمتلقي المعاني الغامضة في الشعر، ولينشر مذهبه النحوي، فيبين آراءه وتعليلاته في وقت اشتداد الخلاف.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجانب النحوي عند ابن الأنباري.

كان ابن الأنباري من علماء النحو المشهورين في بغداد، له حلقة مشهورة في جامع المنصور تشتمل على علوم متنوعة، وتضم فئات متعددة من طبقات المجتمع. ولا عجب فيما ذهب إليه من شهرة؛ فقد تتلمذ على عدد من علماء النحو[١]، قرأ مؤلفاتهم فرواها [٢]، واستقى آراءهم، فاتبعها وطوّر بعضها، فبلغ بذلك منزلة متقدمة في العلم لم يبلغها أحد في عصره. فقال عنه الأزهري: " لم يُذكر لنا إلى هذه الغاية من الناشئين بالعراق وغيرها أحد يخلفه ولا يسد مسدّه " [٣].

ويبدو مذهبه في النحو واضحا مما قيل عنه في كتب التراجم، فهو كوفي المذهب. قال عنه الذهبي: " كان رأسا في نحو الكوفيين " [٤]، وقال عنه أبو البركات الأنباري: " كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين " [٥]، كما أن الناظر في مصنفاته يلاحظ هذا المذهب بوضوح، فالمصطلح الكوفي كان دليله في عرض المسائل، وآراء الكسائي والفراء –رأسا المدرسة الكوفية – كانت من أهم مصادره .

لكنه اختلف اختلافا طفيفا عن الكوفيين في التعامل مع بعض الأصول، نشأ عن هذا الاختلاف تطوّر ملحوظ للمذهب الكوفي. وقد اختلف ابن الأنباري معهم في قضية القياس، فكان لا يقيس على الشاذ كما يفعلون، وتبين هذا في تعامله مع القراءات، فهو لا يقيس على الشاذ منها، ولا يعتمد منها إلا قراءة الأئمة [٦].

---

[١] انظر: تمهيد الدراسة، ص ٢١-٢٢ .

[٢] انظر ما روى من الكتب النحوية واللغوية: ابن خير، فهرست ما رواه عن شيوخه، ص٣١١ ،٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٦، ٣٨٢.

[٣] الأزهري، تهذيب اللغة، ج١، ص ٢٨ .

[٤] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت ٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، ط١، ج٣، (تحقيق: زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٢ .

[٥] ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ١٨١ .

[٦] موعد، محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة، ص ٧٨ – ١٠٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوسع في قضية الاحتجاج، فكان يحتج على المسألة الواحدة بأكثر من شاهد، وأضاف إلى أصوله النحوية الحمل على المعنى، والحمل على التقدير [١]، واهتم بالاعتلال لآرائه فدعمها بالعلل المنطقية [٢]، فانعكس كل هذا على شرحه للسبع الطوال.

وظهر الجانب النحوي في شرح ابن الأنباري للسبع متمثلا في أعاريب الأبيات؛ إذ جعل الإعراب ركنا أساسيا من أركان الشرح، فبعد أن يتناول أجزاء البيت بالشرح ومعانيه بالتوضيح، كان يتبعها بإعراب أجزائه أو إعرابه كاملا، ليصبح الشرح بذلك ساحة فسيحة له يعرض فيها آراءه النحوية وآراء أساتذته، فيقدم لها العلل والشواهد، ويرجحها على غيرها من الآراء، ليكون الشرح بذلك أحد مصادر النحو الكوفي.

وقف ابن الأنباري في إعرابه للأبيات على عديد من المسائل النحوية، منها: المبتدأ والخبر [٣]، والفعل المضارع وإعرابه [٤]، وكان وأخواتها [٥]، وإن أخواتها [٦]، وظن وأخواتها[٧]، ولا النافية للجنس [٨]، والمفعول به [٩]، والحال [١٠]، والتمييز [١١]، والإضافة [١٢]، والاستثناء [١٣]، والنعت [١٤]، والعطف [١٥]، وأسلوب الشرط وأدواته [١٦] ...، وغيرها كثير [١] .

---

[١] موعد، محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة، ص ٧٨ – ١٠٧ .

[٢] ضيف، المدارس النحوية، ص ٢٣٩ .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٦٣ ، ٧٨ ، ١٨٣ ، ٢٢٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٤٢٠ ، ٤٣٧ ، ٤٥٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٥ ، ٢٠٧ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٤٨٢ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٥٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٩٢ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ .

[٧] المصدر نفسه، ص ١٩٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤٥٤ ، ٤٥٦ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٣٢ ، ٣٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

[٩] المصدر نفسه، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٢٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

[١٠] المصدر نفسه، ص ٣٥٨ ، ٣٧٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ ، ٥٣١ ، ٥٨٩ .

[١١] المصدر نفسه، ص ١١ ، ٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢٤١ ، ٤١٢ .

[١٢] المصدر نفسه، ص ٣٩ ، ٧٠ ، ١٦١ ، ٣٥١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

[١٣] المصدر نفسه، ص ١٤٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤٠ .

[١٤] المصدر نفسه، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٤٦٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٤ .

[١٥] المصدر نفسه، ص ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٤٠٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٦ .

[١٦] المصدر نفسه، ص ٩٠ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٤٠٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن هدف الدراسة الوقوف على هذه المسائل جميعها بقدر ما يتحقق هدفها بالوقوف على المنهج الذي عرضها به، الذي يتمثل في أركان الإعراب، كما فعلنا في الوقوف على اتجاه ابن كيسان، لنصل بذلك إلى صورة الاتجاه النحوي في الشرح. وبرز من هذه الأركان في شرح ابن الأنباري، ما يأتي:

المصطلح النحوي

انعكس مذهب ابن الأنباري الكوفي على مصطلحاته النحوية، فقد تقيد في الشرح بالمصطلحات الكوفية للتعبير عن غالب مصطلحاته النحوية، ولكن الغريب أنه في بعض الأحيان كان يستخدم للشيء الواحد أكثر من مصطلح، وأحيانا أخرى يستخدم المصطلح الواحد لأكثر من شيء.

فمن المصطلحات الكوفية التي تقيد بها في الشرح: الخفض[٢]، والمستقبل [٣]، والنعت[٤]، والنسق [٥]، والوقت[٦]، والمحل[٧]، والقطع[٨]، والجحد [٩]، والجزاء [١٠]، والتفسير[١١]، والذكر[١٢]، والمجهول[١٣]، والكناية والمكنى[١]، والنصب على المصدر[٢]، والخبر المستأنف[٣]، ولا التبرئة[٤]، واسم ما لم يسمّ فاعله [٥]، والإجراء وعدمه [٦].

---

[١] انظر الباب الثاني من دراسة: الميمان، مها صالح، (١٩٨٨)، المسائل النحوية في كتاب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص٨١ – ٤٧٨.

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص١٩ ،١٣٤ ،٢٩٦ ،٣١٦ ،٣٧٢ ،٤٣٤ ،٥٣١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٨ ، ١٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٩٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٣ ، ١٤٢ ، ٢٤٧ ، ٣٠٨ ، ٣٨١ ، ٤٤٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٠ ، ١٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٩٩ ، ٣٧٧ ، ٤٣٥ ، ٥٣١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٤ ، ١٣٦ ، ٢٤٤ ، ٣١٤ ، ٣٨٣ ، ٤٣٧ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٩٠ ، ٩٢ .

[٨] المصدر نفسه، ص ٢٤ ، ٤٠ ، ٥٢١ .

[٩] المصدر نفسه، ص ٢٩٦ ، ٣٨٥ .

[١٠] المصدر نفسه، ص ١٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٩٦ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ .

[١١] المصدر نفسه، ص ٢٤١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ .

[١٢] المصدر نفسه، ص ٢٢ ، ١٣٤ ، ٣٠٠ ، ٣٧٣ ، ٤٣٨ .

[١٣] المصدر نفسه، ص ٤٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مصطلحاته التي استخدمها للدلالة على مسائل متعددة: مصطلح الصلة؛ فقد دلّ على حروف الزيادة [٧]، وحروف الجر [٨]، وجملة الصلة [٩]، والجملة التي تقع نعتا [١٠].

أما المواضيع التي استخدم لها أكثر من مصطلح، فمنها: البدل، وحروف الزيادة. وقد استخدم مصطلحات عدة للدلالة على البدل، منها: الرد[١١]، والتكرير[١٢]، والترجمة[١٣]. واستخدم للدلالة على أحرف الزيادة مصطلحات، منها: حروف اللغو[١٤]، وحروف الإقحام[١٥]، وحروف الحشو [١٦].

ولعل السبب في هذا التعدد يرجع إلى أمرين، الأول: اختلاف بعض أئمة النحو الكوفي في المصطلحات، فقد اختلف الكسائي والفراء وثعلب في بعض مصطلحاتهم، فانعكس ذلك على من جاء بعدهم من الكوفيين. والأمر الثاني: أن ابن الأنباري في شرحه كان يورد آراء مختلفة لبعض العلماء الكوفيين والبصريين، فنقل مع هذه الآراء مصطلحات أصحابها.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٨١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١٤ ، ٣٧٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٣٧ ، ١٤٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٢ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٨٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٤٣٤ ، ٥٢٠ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٣٦ ، ١٣٦ ، ٢٦١ ، ٣١٦ ، ٤٣٤ ، ٥٣١ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٥ ، ٤٢ ، ٢٣٨ ، ٣٧٣ ، ٣٨٢ .

[٨] المصدر نفسه، ص ١٩ ، ١٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٩٧ ، ٣٧٧ ، ٤٣٧ ، ٥٢٤ .

[٩] المصدر نفسه، ص ٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٢ .

[١٠] المصدر نفسه، ص ٣٠ ، ١٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٩٩ ، ٤٣٤ ، ٥٢١ .

[١١] المصدر نفسه، ص ٣٣ ، ٣١٥ .

[١٢] المصدر نفسه، ص ٢١٢ ، ٥٠١ .

[١٣] المصدر نفسه، ص ٢٩ ، ٤٠٨ ، ٤٤٨ ، ٥٦٦ .

[١٤] المصدر نفسه، ص ٣٨٧ .

[١٥] المصدر نفسه، ص ٥٦٨ .

[١٦] المصدر نفسه، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العامل والمعمول

أخذ ابن الأنباري بنظرية العامل النحوية، واعتمد عليها بوضوح في شرح السبع الطوال، فلا يكاد يخلو بيتٌ من أبيات الشرح إلا وذكر العامل والمعمول في إعرابه، ويرجع هذا لأهمية العامل ودوره في معرفة وظائف الكلمات وربط بعضها ببعض، فيعين على التوصل للمعاني الصحيحة للأبيات. ومن أمثلة العامل عند ابن الانباري ما جاء في بيت عمرو بن كلثوم:

٧- بيــوم كَــريهةٍ ضَرباً و طــعناً أقــرَّ بــه مَــوَاليك العُــيونــا [١]

"وضرباً وطعناً منصوبان على المصدر، ومواليك رفع بأقرّ، والعيون نصبٌ بأقرّ أيضا"[٢].

ومثال آخر في بيت طرفة بن العبد:

١٤- تَرَبَّعتِ الْــقَّين بالشَّولِ تَرتَعِي حَــدَائقَ مَولِيِّ الأسِرَّةِ أغْــيَدِ [٣]

قال ابن الأنباري: " والقــفّان ينتصبان بتربعت، والحدائق منصوبة بترتعي " [٤].

العلة والتعليل

اهتم ابن الأنباري في ترسيخ آرائه النحوية بالعلة والتعليل، " فهو أحد من دعموا النحو الكوفي بالعلل المنطقية دعما لم يتوافر لأستاذه ثعلب، وكأنما كان عقله أكثر منطقية وأقدر على التعليل والبرهنة والإدلاء بالحجج البينة " [٥]، وقد زخر شرحه بكثير من هذه العلل التي خدمت بدورها المعنى، فالشارح عندما يستعين بالإعراب للتوصل للمعاني الصحيحة وتأتي العلل لتقوي هذا الإعراب وتدعمه، تكون بذلك دعمت المعنى الذي وصل إليه الشارح من هذا الإعراب. فالعلة دائما ما تساير الإعراب في خدمتها للمعنى.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٧٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٧٧ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٢٢ ، ٢٤٦ ، ٣٠٣ ، ٤٣٤ ، ٥٢٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٥٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٥٦ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٣٦ ، ١٣٧ ، ٣٠٥ ، ٤٤٩ ، ٥١٨ .

[٥] ضيف، المدارس النحوية، ص ٢٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة العلل في شرح ابن الأنباري " علة الاستثقال " [١]، ففي إعرابه لبيت الحارث ابن حلزة:

١- آذنتنا ببينها أسماءُ ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ [٢]

قال: " وثاوٍ خفض برب، أصله ثاوى فاستثقلت الكسرة في الياء فألقيت، وأسقطت الياء لسكونها وسكون التنوين " [٣].

كما علل لبعض إعراباته بعلة " كثرة الاستعمال " [٤]، ففي بيت امرئ القيس:

١- قِفا نبكِ مِن ذِكرَى حَبيبٍ ومنزِلِ بسِقطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ [٥]

قال ابن الأنباري: " وموضع «قفا» جزم بلام ساقطة، والتقدير لتقفا، فسقطت اللام والتاء لكثرة الاستعمال والأصل فيه بعد ذلك: اوقِفا، فيجب أن تسقط الواو من الأمر بناءً على سقوطها من المستقبل، فإذا سقطت الواو سقطت الألف التي من أجل سكونها دخلت فتصير قفا " [٦].

العلامة الإعرابية

لم تكن العلامة الإعرابية زائدة ولا اعتباطية في الكلام بل جاءت لتؤدي دورا مهما، فدخلت عليه " لأداء وظيفة أساسية إذ بها يتضح المعنى ويظهر، وعن طريقها نعرف الصلة النحوية بين الكلمة والكلمة في الجملة الواحدة " [٧]؛ مما دفع بعض الشراح إلى الاهتمام بها في شروحهم الشعرية .

واهتم ابن الأنباري بالعلامة الإعرابية في شرحه للسبع الطوال، غيرَ أن اهتمامه لم يكن لمعرفة المعاني مباشرة، وإنما كان لمعرفة ما فُقد من الكلمة بسبب العلامة الإعرابية، فيتعرف بذلك إلى أصل الكلمة، ومنها يتم التعرف إلى معناها.

---

[١] السيوطي، الاقراح في أصول النحو، ص ٩٩ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٣٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٣٤. وانظر أمثلة أخرى من علله: ص ٣٥ ، ٣٩ ، ٢٤٣ .

[٤] السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص ١٠٥ .

[٥] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٥ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٨. وانظر أمثلة أخرى من علله: ص ٤٦ ، ١٥١ ، ٢٩٧ ، ٤٤٦ .

[٧] المبارك، مازن، (١٩٧٠)، نحو وعي لغوي، ط١، دمشق: (د.ن)، ص ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والدليل أنه اهتم في غالب شرحه على توضيح علامات الجزم التي تنحصر دائما بالتسكين والحذف، اللذين يسببان عادة فقدا في بعض مكونات الكلمة. فالتسكين إذا التقي بساكن قبله أدى إلى حذف أحد الساكنين. وأما الحذف، فيتمّ بحذف حرف العلة في المعتل الآخر، وحذف النون في الأفعال الخمسة، فإذا تعرف ابن الأنباري إلى هذه المحذوفات أدرك أصل الكلمة الحقيقي ومن ثمّ يتوصل لمعناها.

ومن أمثلة ذلك في شرحه توضيح السكون كعلامة للجزم في إعرابه لبيت امرئ القيس:

٢١- وإنْ تَكُ قَدْ ساءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَة فسُلِّي ثِـيابي مِنْ ثِيابِـكِ تَنْسُلِ [١]

ليكشف عمّا تسببت في حذفه من الكلمة، قائلا: " قوله «إنْ تكُ» موضع تك جزمٌ بإن، علامة الجزم فيه سكون النون، والواو من تكون سقطتْ لاجتماع الساكنين، والساكنان هما الواو والنون، والنون حُذفت لكثرة الاستعمال وشبَّهتها العرب بالواو والياء فأسقطوها كما يسقطونهما"[٢].

ووضح حذف حرف العلة علامة للجزم في معتل الآخر، في إعراب بيت زهير:

٣٠- متَى تَبْعَثُوها تَبْعَـثُوها ذميمة وتَضْـرَ إذا ضَرَّيتموها فتَـضْرم [٣]

قائلا: "وتضر مجزوم لأنَّه نسق على تبعثوها، وعلامة الجزم في تضرَ سقوط الألف"[٤].

كما وضح حذف النون؛ لأنها علامة للجزم في الأفعال الخمسة، في إعراب بيت امرئ القيس:

١٥- فقُلْتُ لها سِيري وأرخِي زمامَه ولا تُبعدِيني مِنْ جَنَاكِ المُعَـلَّل [٥]

قائلا: " وموضع سيري جَزْمٌ بتأويل لام ساقطة، كأنه قال: لتسيري، وعلامة الجزم فيه سقوط النون، لأنّ الأصل سيرينَ، وقوله «ولا تُبعدِيني من جناك» موضع تبعديني جزمٌ على النهي بلا، وعلامةُ الجزم فيه سقُوط النون، وكان الأصل تُبعدِيني " [١].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٦ . وانظر مثالا آخر: ص ٢٤٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٨ . وانظر مثالا آخر : ص ٢٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحذف

كان الحذف جزء مهما من أجزاء الاتجاه النحوي عند ابن الأنباري، حاول الوقوف على أجزائه، وتحديد مضمرات البيت الشعري ليستوي له تقديم المعنى الصحيح لمتلقي الشعر. ومن أشكال المضمرات التي وضّحها ابن الأنباري في شرحه: إضمار المبتدأ، والخبر، والفعل، وإضمار بعض الحروف والأدوات .[٢]

ولقد كثر وقوف ابن الأنباري على المحذوفات، لأن النحو الكوفي اعتمد في كثير من تعليلاته وتفسيراته النحوية على المضمرات .

ومن المحذوفات التي وقف ابن الأنباري على تقديرها وتوضيحها في شرحه، ما جاء في إعراب بيت امرئ القيس:

١٩- أفــاطِمَ مَهْلاً بعضَ هذا التَّدلُّلِ وإنْ كُنْتِ قد أزمَعْتِ صُرْمِي فأجْمِلِي [٣]

قائلا: " وأراد بقوله أفاطم يا فاطمة، فأسقط الهاء وترك الميم مفتوحة، كما يقال في ترخيم بُثَينة وخديجة يا بُثَين أقبلي، ويا خَديجَ اقعُدي. ويروى: «أفاطمَ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل»، فبعضَ في هذه الرواية منصوب بفعل مضمر، كأنك قلت: مثلاً أبقى بعض هذا التدلُّل، فحذفتَ الفعل لأنّ مهلاً يدلّ عليه " [٤].

ومثال آخر في إعرابه لبيت عنترة بن شداد :

٤- وَ تحُلُّ عَبْلَةُ بالجِــواءِ وأهْــلُنا بالحَــزْنِ فــالصَّــمَّان فالمــتَثَــلَّم [٥]

قائلا: " والأهل يرتفعون بفعل مضمر، والباء الثانية صلته، والتقدير: ويحل أهلنا بالحزن "[٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٨. وانظر أمثلة أخرى: ص٢٩٧، ٣٠١، ٣٧٥.

[٢] ومن أمثلة إضمار المبتدأ: ص١٦٧، ١٦٩، ٢٣٨. وإضمار الخبر: ص١٤٥، ١٦٢، ٣٧٥. وإضمار الفعل: ص٤٤ ، ١٥٩، ٢٩٨. وإضمار الحروف: ص ٣٩ ، ٤٣ ، ١٦٣ ، ٣٧٥ ، ٤٢٠ .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٣ ، ٤٤ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الروابط النحوية

تعد روابط الكلام ضرورية للمعنى، واهتم ابن الأنباري بتحديدها، ومعرفة ما ترتبط به، كي يستطيع ربط مكونات البيت وإيصاله بما قبله وبعده، فيصل بذلك للمعنى الذي يبتغيه الشاعر، وتنقسم هذه الروابط لقسمين، هما: حروف الجر، والضمائر المتصلة والمستترة.

وقد أطلق ابن الأنباري مصطلح "الصله" على حروف الجر، ويبدو من تسميتها ضرورة تعلقها بجزء من أجزاء الجملة، ويشترط أن يكون هذا الجزء اسما أو فعلا، فأي حرف من حروف الجر يمر به ابن الأنباري في الشرح لابد من إيصاله وتعليقه. أما إذا التبس عليه شيء من هذا الربط والتعليق، فإنه يذكر كل الأوجه المحتملة له، لأن المعنى يتوقف على معرفة المتعلق والمتعلق به، وقد جاء هذا في بيت امرئ القيس:

١- قِفا نبْكِ مِن ذِكْرَى حَبيبٍ ومنْزِلِ بسِقْطِ اللّـوَى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ [١]

قال ابن الأنباري: " وقوله: «بسقط اللوى»، والباء فيها ثلاثة أوجه: أوّلها أن تكون (في) صلة المنزل، ويكون التقدير: من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى. والوجه الثاني: أن تكون صلة لنبك، على معنى نبك بسقط اللوى. والوجه الثالث: أن تكون الباء صلة لقفا، ويكون التقدير: قفا بسقط اللوى. والسقط خفض بالباء، وهو مضاف إلى اللوى " [٢].

أما الضمائر؛ فمنها: متصل ومستتر. وحرص ابن الأنباري على تحديد ما تعود عليه في كل نوع [٣]، ليتناسق ترابط المعنى الذي يبيّنه للمتلقي، ففي بيت عنترة بن شداد:

٣- فوَقَفْتُ فيها ناقَتِي وكأنّها قَدَنٌ لأقْضِيَ حاجةَ المتَلَوِّمِ [٤]

بيّن الضمائر المتصلة في ألفاظ البيت على من تعود، قائلا: " والهاء التي في قوله فيها تعود على الدار، والهاء التي في كأنّها تعود على الناقة " [٥].

وفي بيت زهير بن أبي سلمى :

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٩. وانظر أمثلة أخرى: ص ٢٧ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ١٤٢، ١٤٦ ، ٥١٨ .

[٣] لا نستبعد خبرة ابن الأنباري في هذا الجانب فهو صاحب كتاب "الهاءات في كتاب الله"، انظر التمهيد: ص١٨.

[٤] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٩٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٧. وانظر أمثلة أخرى: ص ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣٨ ، ٥٢٥ ، ٥٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٩- وما الحربُ إلاّ ما عَلِمتُمْ وذُقتُم وما هُوَ عَنْها بالحَدِيثِ المــرجَّمِ [١]

بين الضمير المستتر على من يعود وقدّره، قائلا: " وعلمتم صلة ما، والهاء المضمرة تعود على ما، والتقدير: وما الحرب إلا ما علمتموه " [٢].

التعدد الإعرابي

يكثر التعدد الإعرابي عادة في المواضع التي يدور حولها الجدل النحوي أو الاختلاف في الرواية، وبما أن الإعراب ضروري للمعنى، فلابد منْ أن هذه الأوجه ستنحى بالمعنى، لتتفرع عنه معانٍ عدة.

وفي ضوء ما سبق اهتم ابن الأنباري في قضية التعدد الإعرابي للكلمة؛ لأنها شديدة الصلة بالمعنى، فراح يذكر كل الأوجه الإعرابية التي تحتملها الكلمة ليلم بكل معنى تحمله، وقد ساعده في ذلك قدرته الفائقة على التعليل.

ومن أمثلة التعدد الإعرابي في شرحه ما جاء في إعرابه لكلمة (وجه) في بيت امرئ القيس:

١٠- ووجهٍ كأنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ رداءَها عَلَيْهِ نَــقِيُّ اللَّــونِ لَمْ يَتَــخَدَّدِ [٣]

فقد جاء التعدد في إعراب لفظة (وجه) بسبب الاختلاف في الرواية، وبسبب الاحتمالات الإعرابية، فقال ابن الأنباري معربا: " ويروى: ووجهٍ كأنَّ الشمس. فمن رفع (الوجهَ) كان له في رفعه أربعة أوجه:

أحدهنّ: أن يرتفع بإضمار (ولها وجهٌ)، ويكون قوله: كأن الشمس حلّت رداءَها عليه صلة الوجه، ونقيّ اللون نعت للوجه، ولم يتخدَّد مستأنَف، معناه الوصف للوجه.

والوجه الثاني: أن يرتفع (الوجه) بما عاد من يتخدّد، ويكون قوله: كأن الشمس حلت رداءها عليه صلة الوجه، ونقيّ اللون نعت له.

والوجه الثالث: أن يرتفع (الوجه) بنقيّ اللون، ويرتفع نقيّ اللون بالوجه .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٦٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٦٧. وانظر أمثلة أخرى: ص ٣٠ ، ٣٧ ، ٣٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والوجه الرابع: أن يرتفع (الوجه) بما عاد من الهاء المتصلة بكأنَّ. وفي هذا الوجه قبح، لأنَّ النكرة لا ترتفع بما يلاصقها بعدها، لأنه صلة جعل لها، والاسم لا يرتفع بصلته.

ومن خفض (الوجهَ) كان له مذهبان: أحدهما: أن يختفض على معنى وتبدى عن وجه.

والآخر: أن يختفض (الوجه) على النسق على الألمي؛ لأنَّه لمَّا قال: "وتَبْسِمُ عن ألمَى" كان معنى الكلام وتُبدِى عن ألمي وعن وجه، فتنسِقُ الوجهَ على الألمي، ولا يُحتاج إلى إضمار فعل آخَر " [١].

ومِنَ الواضح أن ابن الأنباري كان يصدر في بعض الأحيان أحكاما على الأوجه الضعيفة في ما يتعلق بقضية التعدد الإعرابي، كأن يقول: " وفي هذا الوجه قبح "، وكان يراعي أي تغيير يحدثه الوجه الإعرابي في إعراب باقي أجزاء البيت .

التقدير الإعرابي

استعان ابن الأنباري كثيرا بهذا العنصر في شرحه، فجاء معينا على إيضاح المعنى ومرافقا لكثير من القضايا النحوية كي يدعمها ويقويها، فقد استهل هذه التقديرات، قائلا: "والتقدير هو " أو " كأنه قال ".

وقد استحضر هذه التقديرات في قضايا التقديم والتأخير كي يعيد ترتيب الكلام [٢]، وفي الحذف والزيادة ليتعرف مكونات الكلام الأصلية [٣]، وفي الكشف عن الضمائر المستترة ليوضح ترابط الكلام والمعاني [٤]، وفي معرفة متعلقات حروف الجر لأن اختلافها يؤدي إلى اختلاف المعنى [٥]. كما استحضرها ليبين المواطن التي حملها على المعنى والتأويل[٦]، وليبرر الاحتمالات الإعرابية [٧]، ويدعم الآراء النحوية لرجال القطبين [٨] .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٨-١٤٩. وانظر أمثلة أخرى: ص ٣٩ ، ٤٠، ١٣٤ ، ١٩٢ ، ٥٢١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٣٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ٢٩٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٩ ، ٣٦ ، ١٦٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٢ ، ٢٥ ، ٥٤ ، ٢٤٩ ، ٢٩٦ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٤ ، ١٣٤ .

[٨] المصدر نفسه، ص ١٨ ، ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثلة التقدير الإعرابي في شرحه، ما جاء في بيت الحارث بن حلزة :

٥- لا أرَى مَنْ عَهِدتُ فيها فأبكِي الـــ ـــيومَ دلّـــهاً وما يـــردُّ البُـــكاءُ [١]

قال ابن الأنباري: " ومَن نصبٌ بأرى، وعهدتُ صلةُ من، والهاء المضمرة تعود على مَن، كأنه قال: من عهدتُه فيها. ودلّهًا نصبٌ على المصدر، وما نصبٌ بيردّ ومعناها الاستفهام كأنّه قال: وأيُّ شيء يردّ البكاء. ويجوز أن تكون في موضع رفع بما عاد من الهاء المضمرة، كأنّه قال: وأيُّ شيء يردُّ البكاء. ويجوز أن تكون في موضع رفع بما عاد من الهاء المضمرة، كأنّه قال: وأيُّ شيء يردُّه البكاء" [٢].

٧٢٠٠٦٤ ٧٢٠٠٦٤

مسائل الخلاف

تعايش ابن الأنباري حين نزل في بغداد مع الخلاف النحوي الذي كان بين علماء البصرة والكوفة من جهة، وبين علماء القطب الواحد من جهة أخرى. وقد تأثر بالخلاف النحوي، فانعكس على آرائه ومؤلفاته، فكان من الطبيعي أن ينعكس أيضا على شرحه للسبع الطوال. ليأخذ شكلين: الشكل النظري، والشكل العملي.

تمثل الشكل النظري عنده في عرض المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين، أو الخلاف بين علماء الكوفة، مكتفيا بعرضها تارة، ومرجحا بعضها تارة أخرى. أما الشكل العملي؛ فانعكس على أدائه في الإعراب، ليتبع في معظم إعرابه الإعرابات الكوفية وفقا لمذهبه، وأحيانا أخرى يذهب إلى الإعرابات البصرية. وأحيانا قليلة يجمع بين إعراب الفريقين.

وتناول ابن الأنباري عرض بعض المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وهي كثيرة في شرحه، وسيتناول الباحث مسألة واحدة، وهي: (المحذوف من التاءين المبدوء بهما المضارع) فقد عرضها في إعرابه لبيت طرفة بن العبد:

٧- خَـــذُولٌ تُراعِي رَبْـــرَبًا بخَـــمِيلةٍ تَنَاوَلُ أطْرافَ البَرِيرِ وتَرْتَـــدِي [٣]

قائلا: " قال **الفراء:** يجوز أن يُحذف الأولى ويجوز أن يُحذف الثانية، لأنَّ حركتَهما متّفقة. وقال **هشام:** المحذوفة هي الأولى. وقال **البصريون:** المحذوفة هي الثانية، لأنَّ الأولى علَم واستقبالٍ، علمُ الاستقبال لا يسقط " [١].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٣٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تناول عرض بعض المسائل الخلافية بين علماء الكوفة فيما بينهم، وكانت أيضا منتشرة في شرحه، خاصة الخلاف بين الفراء وأبي العباس ثعلب، حول مسألة (القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه)، التي عرضها في شرحه لبيت امرئ القيس:

٥- **وُقــوفاً بها صَحبي عليَّ مطِيَّهُم يقُولونَ : لا تَهلِكْ أسىً وَتَجَــمَّل** [١]

قال أبو العباس (**ثعلب**): كان أصحابنا (**يقصد الكوفيين**)، يقولون: نصب وقوفا على القطع من الدخول فحومل وتوضح فالمقراة. قال **أبو العباس**: وأنا أذهب إلى أنّ وقوفا نصب على المصدر لِقفا، قال: والتقدير: قفا كوقوف صحبي عليّ مطيّهم .

وقال بعض أهل اللغة: التقدير بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة: الوقوف بها صحبي، فلما أسقط الألف واللام نصبه على القطع. وهذا يرجع إلى معنى القول الأول الذي حكاه **أبو العباس**. إلا أنّ **الفراءَ** أنكر قول الذين يقولون: القطع ينتصب بسقوط الألف واللام منه، وقال: يلزمهم ألا يأتوا بالقطع مع المكنّى فلا يقولوا: أنت متكلما أحسن منك ساكتا، إذ كانت الألف واللام لا تحسن في متكلم، لأنَّ أنت لا ينعت ؛ لشُهرته وتعريفه " [٢].

وقد يتطور الأمر في أثناء عرضه لهذه المسائل الخلافية، فيرجّح أحد الآراء أو ينتقدها، فقد رجح رأي **الكسائي** على رأي **الفراء**، قائلا: " والصواب عندي رواية الكسائي "[٤]، ورجح رأي **الفراء عن غيره**، قائلا: " والقول الأول عندي أقيس "[٥] يقصد به رأي الفراء، كما كان يطلق أحيانا الأحكام على بعض الآراء لتكون بمنزلة الرفض لها، فيقول عنه: " وهذا عندي بعيد" [٦] أو "هذا عندي خطأ "[٧].

أما الجانب العملي للمسائل الخلافية في شرح ابن الأنباري، فقد تمثل في إعراباته للأبيات، ففي غالب الإعرابات ، كان يسلك مسلك الكوفيين ويذهب مذهبهم. وفي إعرابات قليلة

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٣. وانظر أمثلة أخرى للخلاف بين البصريين والكوفيين: ص ٢٢ ، ٧٧-٧٨ ، ٢٩٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ص ٢٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٤ . وانظر أمثلة للخلاف بين الكوفــيين: ص ٣٢ ، ٤٠٧ ، ٥٦٦ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٠٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٤ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٣٣ .

[٧] المصدر نفسه، ص ١٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان يميل للآراء البصرية، وأحيانا يجمع في إعرابه بين رأي الفريقين من غير أن يصرح بتفضيل أحدهما عن الآخر .

ومن المسائل التي اتبع فيها الكوفيين – وهي الغالبة على الشرح – مسألة (عامل الرفع في الاسم المرفوع بعد لولا): " فيرى الكوفيون أن (لولا) ترفع الاسم بعدها؛ لنيابتها عن الفعل في نحو: لولا زيدٌ لأكرمتك. أما البصريون، فيرون: أن الاسم المرفوع بعد (لولا) مرفوع بالابتداء "[١]. وقد اتبع ابن الأنباري الكوفيين في رأيهم، فأعرب كلمة (ثلاث) في بيت طرفة ابن العبد :

٥٦- فلولا ثلاثٌ هُنَّ مِن عيشَةِ الفتَى وجَدِّكَ لم أحْفِلْ متَى قامَ عُــوَّدِي [٢]

قائلا: " والثلاث يرتفع بلولا " [٣].

ومن المسائل التي توافق فيها مع البصريين – وهي قليلة في الشرح – أن الفعل هو عامل النصب في المفعول به [٤]، وأن الفعل الماضي لا يقع حالا إلا إذا اقترن بقد [٥]، وأن فاء السببية هي التي تنصب الفعل المضارع بنفسها [٦].

ومن أمثلة هذه المسائل ما جاء في بيت عمرو بن كلثوم :

٩١- ألا لا يَجْــهَلَنْ أحَــدٌ عَــلَيْــنَا فَنَجْــهَلَ فوقَ جَــهْلِ الجَاهِــلِينَا [٧]

فقد قال ابن الأنباري في إعراب الفعل المضارع (نجهل): " ونجهل منصوب بالفاء لأنه جواب الجحد "[٨].

أما المسائل التي ذكر فيها ابن الأنباري الرأيين: الكوفي، والبصري. فمن أمثلتها إعرابه كلمة (أسىً) في بيت امرئ القيس:

---

[١] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، ص ٧٠ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٩٤ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٩٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ . وانظر المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة (١١) .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٢٩، وانظر المسألة: الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة (٣٢) .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧. وانظر المسألة: الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة (٧٦) .

[٧] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢٦

[٨] المصدر نفسه، ص ٤٢٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- وُقوفاً بها صَحبي عليَّ مطيَّـــهُم يقُولونَ: لا تَهــلِكْ أسىً وَتَجَــمَّلِ [١]

قائلا: " وقوله: «يقولون لا تهلِكْ أسىً وتجمَّلِ»، نصب «أسىً» على المصدر، لأن قوله لا تهلك في معنى لا تأس، فكأنه قال: لا تأس أسىً. **هذا قول الكوفيين. وقال البصريون:** نصب (أسىً) لأنه مصدر وضع في موضع الحال، والتقدير عندهم: لا تهلك آسيا، أي حزينا " [٢].

وكل هذه الأمثلة تبين لنا موقف ابن الأنباري من مسائل الخلاف، فقد كانت منتشرة في شرحه، ناقش بعضها نظريا، وطبّق جزءا كبيرا منها في إعرابه. ليتبين من ذلك أنه كوفي المذهب، ولكنه اقتنع ببعض الآراء البصرية القليلة فاعتمدها في مذهبه .

ونخلص في نهاية المطاف من الوقوف على هذه القضايا النحوية عند ابن الأنباري، أن الجانب النحوي سيطر على معظم جوانب شرحه؛ إذ استعان به؛ بهدف الوصول إلى معاني الأبيات الصحيحة، فراح يبني كل إعراباته على العامل والعلة ليتعرف وظيفة الكلمات وصلتها بما حولها، ووقف على مواطن الحذف وقدّرها لتستوي لديه المعاني، وكشف عن عوائد الضمائر الظاهر منها والمستتر، وحروف الجر ومتعلقاتها ليصل المعاني ببعضها، وذكر الأوجه الإعرابية كلّها التي تنتج عن الاختلاف في الرواية ليحيط بكل ما تقدمه من معانٍ.

كما اتخذ من هذا الجانب وسيلة لنشر مذهبه النحْوي، ومذهب أصحابه الكوفيين. وذلك من خلال المصطلح النحوي الذي استخدمه، وموقفه من المسائل الخلافية التي وقف عليها.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٥. وانظر أمثلة أخرى: ص ٧٥ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني : الجانب الصرفي

ذكر القدماء الصرف في آثارهم وأكثروا من الحديث عنه، وعرّفوه بأنه: " العلم بأحكام بنية الكلمة بما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك "[١]، وعدّوه من العلوم الضرورية التي يحتاجها أهل العربية. يُعرف به أصل كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، وتضبط به عمليتي القياس والاشتقاق، لذلك أطلقوا عليه "ميزان العربية" [٢]، وعدوا من فاته علمه فاته المعظم [٣].

وينقسم الصرف إلى قسمين مهمين ، أحدهما: جعل الكلمة علي صيغ مختلفة بضروب من المعاني، والثاني: تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها، ويتّضح من القسمين أنهما مرتبطان بكشف أصل الكلمة.

وتعد دراسة أصل الكلمة من الأمور المهمة في معرفة معناها، فمن المعلوم أن الكلمات ترتبط بأصولها ومعانيها في نظام دقيق، ومن "الثابت عند علماء اللغة العربية أن لكل كلمة وما تفرع عنها أصلا واحدا فحسب، بيد أن ثمة أصولا تتداخل؛ أي أن الكلمة الواحدة قد يتوارد عليها أصلان أو أكثر؛ مما يؤدي إلى التداخل مع أصلها الحقيقي، وقد يؤدي هذا التداخل إلى الحكم على الكلمة بأنها من أصل ليست منه، مما ينتج عنه شيء من الاضطراب في بعض الأحكام التصريفية ...، أو أن يقود وضع الكلمة في موضعين أو أكثر إلى اختلاف شرحي الكلمة أو شروحها في المضمون " [٤].

فعلى سبيل المثال لو تناول شخص جاهل بعلم الصرف كلمة يريد الكشف عن معناها، وكانت من الكلمات التي طرأ عليها تغير صرفي كالإبدال أو القلب أو الإدغام أو الحذف أو الزيادة أو النقل، فمن الطبيعي أنه لن يتعرف إلى أصلها الحقيقي، لأنه سيخلط أصلها بأصول أخرى، ومن ثَمّ سينعكس ذلك على المعنى.

---

[١] نور الدين الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الشافعي، (ت٩٠٠ هـ)، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ط١، ج٤، دار اكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٠ .

[٢] ابن جني، المنصف، ج١، ص٢ .

[٣] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج ١، ص ٣٣٠ .

[٤] الصاعدي، عبدالرزاق بن فراج، (٢٠٠٢)، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، ط١، ج١، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية، ص ١٨، ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما دام الأمر ضروريا ومتصلا بالمعنى، فقد اهتم الشراح به وجعلوه عنصرا مهما من عناصر الشرح، ومنهم: ابن كيسان، وابن الأنباري. لذلك سنحاول الوقوف على بعض القضايا الصرفية التي وقف عندها الشارحان، لنبين منهجهما وطريقة عرضهما لهذه القضايا، وما لها من أثر على المعاني في الشعر.

الجانب الصرفي عند ابن كيسان

استعان ابن كيسان بالقضايا الصرفية باعتبارها عنصرا من عناصر شرحه، ليدخلها ضمن الاتجاه النحوي في الشرح؛ وذلك لأن معرفة أصل الكلمة، وما طرأ عليها من تغيرات يساعده – كما قلنا سابقا – في الوصول لمعناها الصحيح، فيحفظه من الوقوع في اللبس.

وقد توافر هذا العلم لابن كيسان لخوضه التأليف في بعض موضوعاته، فهو صاحب كتاب التصاريف، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود [١]. إضافة إلى حفظه وروايته لبعض مؤلفات اللغة والنحو التي اختصت بعرض الموضوعات الصرفية، مثل: كتاب الألفاظ ليعقوب بن السكيت، وكتاب الفصيح لثعلب [٢]، ومنْ ثمّ برع في معرفة القضايا الصرفية، فوظّفها في شرحه، وأبرزها هو:

المفرد

هو الأصل في الأسماء، لأنه السابق والأول والمتمكن، ولا يحتاج إلى علامة كما في بعض الجموع. يقول سيبويه عنه: " اعلم أن الواحد أشد تمكنا من الجميع، لأن الواحد أول "[٣]، ومادام المفرد يمثل السابق والأول في الأسماء، فهو أحد السبل لمعرفة أصلها.

ويظهر اهتمام ابن كيسان في شرحه بالمفرد، في مواظبته لاستحضار مفرد الجموع التي تمر به، خاصة جموع التكسير؛ لأنها موضع الخلاف وصيغة المفرد فيها تحتمل الوجهين أو الثلاثة، فحتى لا تتداخل أصول الكلمات ولا يتأثر المعنى، حرص ابن كيسان على ذكر مفردها الصحيح. ومن أمثلة ذلك في شرحه ما جاء في بيت امرئ القيس:

---

[١] ابن النديم، الفهرست، ص ٨٩ .

[٢] ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص٣٣٠ ، ٣٣٧ .

[٣] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)، الكتاب، ط ٣، ج١، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٣- غَدائرهُ مُستَشْزِراتٌ إلى العُلا تَضِلُّ العِقاصُ في مُثَنّى ومُرْسَل [١]

قائلا: " الغَدائرُ: الذوائبُ، واحدتُها غَديرةٌ. والعِقاصُ: جمع عِقصَةٍ، وهي شيء يُجْمَعُ من الشَّعر فيُضفَرُ تحتَ الذَّوائبِ يُتَجَمَّلُ به، وهي مِشْطَةٌ معروفةٌ لهم، يُرسلُ بعضُ الشَّعر، ويُفتَلُ بعضُهُ " [٢].

ومن أشكال اهتمامه بالمفرد أيضا، تحديد الجموع التي لا مفرد لها، والألفاظ التي يستوي فيها الجمع والمفرد، ففي بيت آخر لامرئ القيس:

٢٠- وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لتَضْرِبي بِسَهْمَيْكِ في أعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ [٣]

يقول: " الأعْشار، لا واحد لها " [٤].

وفي بيت عمرو بن كلثوم :

٦٦- عَلَيْنا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاصٍ تَرَى فَوقَ النِّجادِ لَهَا غُضُونَا [٥]

يقول: " النجاد: حِمَالةُ السَّيفِ. وهو في لفظ واحدٌ وجمعٌ " [٦].

المذكر والمؤنث

تعد قضية المذكر والمؤنث من القضايا الصرفية المهمة التي تخدم المعنى، وقد أثارت اهتمام كثير من العلماء لأن الخطأ وارد فيها، فبعض الألفاظ يأتي مذكرا، وبعضها مؤنثا، وبعضها الآخر يأتي على الشكلين. ومَنْ يجهل العلم بهذه الظاهرة يحتمل الخطأ في فهم الكلام، لذلك يرى العلماء أنها من تمام علمي النحو والإعراب [٧]، وأنها من أولويات الفصاحة [٨].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧١ ، ٧٢. وانظر أمثلة أخرى: ص ٤٦ ، ٥٥ ، ٨٢ ، ١٠٠. وشرح معلقة عمرو ابن كلثوم، ص ٥٣ ، ٦٦ ، ٧٩ ، ١١٣.

[٣] ابن كيسان ، شرح معلقة امرئ القيس ، ص ٥٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٦٠. وانظر مثالا آخر: ص ٨٥ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١٠٣.

[٦] المصدر نفسه، ص ١٠٤ .

[٧] ابن الأنباري، كتاب المذكر والمؤنث، ص ٨٧ .

[٨] السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، (ت ٢٥٥هـ)، المذكر والمؤنث، (تحقيق: حاتم صالح الضامن)، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧، ص ٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

انقسم العلماء حول هذه الظاهرة إلى فريقين، هما: فريق يرى أن جزءا منها يُعرف بالسماع، وجزءا آخر يُعرف بالقياس، فجعلوا الهاء والألف المقصورة والألف الممدودة علامات للتأنيث، ومن هؤلاء: أبو حاتم السجستاني، وأبو البركات بن الأنباري [١]. أما الفريق الثاني، فيرى أن هذه الظاهرة بأكملها لا تجري على القياس المطرد وأن المعوّل هو السماع، لأن علامات التأنيث التي توافقوا عليها قواعد للقياس موجودة أيضا في بعض أمثلة المذكر، ومن هؤلاء العلماء أبو الحسين التستري [٢]. لذلك خصص كل من الفريقين بعض مؤلفاتهم لدراسة هذه الظاهرة، واهتموا على وجه الخصوص بجانب السماع لأنه الجزء المُختلَف فيه.

وبما أن هذه الظاهرة كانت موضوعا للخلاف، فقد اهتم بها ابن كيسان في شرحه، فوقف على تحديد المذكر والمؤنث في الأبيات، كي لا يقع المتلقي في اللبس والخطأ، ففي بيت امرئ القيس:

٧٦- وكأنَّ السِّباع فيه غرْقى عَشِيَّة بأرْجائِهِ القُصْوى أنابيشُ عُنْصُلِ [٣]

قال ابن كيسان: " والقُصوى: تأنيث الأقصى، أي الناحية القصوى " [٤].

كما وقف في بيت آخر لامرئ القيس :

٤٨- كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ كما زلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزَّلِ [٥]

ليبين من الكلمات ما يعرف بالسماع، وهو الجزء الذي يتساوى فيه التذكير والتأنيث، قائلا: "والمَتْنُ: ما اتَّصل بالظَّهر من عَجُزه، وهو مَتْنٌ ومَتْنَة؛ ويذكّر المَتْن ويؤنّث بغير هاء" [٦].

---

[١] السجستاني، المذكر والمؤنث، ص ٣٦. وابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن أبي سعيد، (ت ٥٧٧ هـ)، البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر، ط١، (تحقيق: رمضان عبدالتواب)، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٦٣ ، ٦٤ .

[٢] الكاتب، أبي التستري، (ت ٣٦١هـ)، المذكر والمؤنث، ط ١، (تحقيق: أحمد عبد المجيد هريدي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣، ص٤٧ ، ٤٨ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٠٩. وانظر مثالا آخر: ص ٦٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص٨٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٨٦. وانظر مثالا آخر: ص ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقصور والممدود

المقصور هو" كل اسم وقعت في آخره ألف مقصورة، والألف لا تخلو إما أن تكون منقلبة عن واو أو ياء ، أو زائدة " [١]. وأما الممدود، فهو " كل اسم في آخره همزة قبلها ألف، والهمزة لا تخلو من أن تكون أصلية، أو منقلبة عن حرف أصلي أو زائدة " [٢].

وأكثر العلماء من التأليف في هذين الاسمين حتى لا يقع الناس في الخلط بينهما، لأن بعض هذه الأسماء يأتي بالمد والقصر، فيكون تارة متفقا في اللفظ والمعنى، وتارة متفقا في اللفظ ومختلفا في المعنى، ولا يدرك هذا الجزء إلا بالسماع، لذلك اهتم الشراح بالوقوف عليه في شروحهم.

وقد وقف ابن كيسان في شرحه، على ما يُمد ويقصر من هذه الأسماء، ووضح معناهما، وبيّن المقصور الذي لا يجوز المد فيه، ووضّح معناه، ففي بيت امرئ القيس:

٦٦- يُضِيءُ سَنَاهُ أو مَصابيحُ راهبٍ أمالَ السَّليطَ بالذُّبَالِ المُفَتَّلِ [٣]

قال: "السَّنا _ مقصور: ضوء البَرق، وضوء النار. والسَّناء من الشّرف: الممدود. والسَّنا: نَبْت، يمد ويقصر "[٤].

وفي بيت عمرو بن كلثوم :

٣٢- نَشُقُّ بِهَا رُءُوسَ القومِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا [٥]

قال: " والخَلَى _ بالقصر: الحشيش " [٦].

---

[١] ابن الأنباري، كمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (ت ٥٧٧هـ)، حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، (تحقيق: عطية عامر)، معهد الدراسات الشرقية، ستوكهولم، ١٩٦٦، ص ١.

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٩ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٠٠. وانظر مثالا آخر: شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ٥٧ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٦٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٦٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النسبة

عُرف الاسم المنسوب بأنه: "اسم ملحق بآخره ياء مشددة مكسور ما قبلها علامة للنسبة إليه " [١]، ولحقت هذه الياء بالاسم " تشبيها بياء الإضافة، وجاءت مشددة لأن النسب أبلغ من الإضافة، فشددوا الياء ليدلوا على هذا المعنى " [٢]، ولذلك أطلق سيبويه عليها ياء الإضافة.

ولقد اهتم ابن كيسان بالوقوف على الاسم المنسوب في الشرح، ليوضح المعنى الذي جاء به، وهو معنى الإضافة، أو ليبين ما قد يعتري الكلمة من تغيير، لأن هذه الياء إذا دخلت على بعض الأسماء كالمقصور والممدود والمنقوص، قد تُحدث في أصلها بعض التغييرات.

ففي بيت امرئ القيس :

٧٤- وألقى بصَحْراءِ الغَبيطِ بَعَاعَهُ نُزولَ اليَمَانِي ذي العِيابِ المُحَمَّلِ [٣]

وضّح المعنى الذي قدمته ياء النسبة إلى الاسم مِنْ غير أن يحددها، قائلا: " اليَمَانِي: رجل من أهل اليمن " [٤].

أما في بيت عمرو بن كلثوم:

٤٤- تَهَـدَّدْتَـنَـا وَأَوْعِـدْنَا رُوَيْـداً مَـتَى كُـنَّا لأُمِّـكَ مَـقْتَوِيـنَا [٥]

فقد تناول كلمة (مقتوي)، وحدد أنها منسوبة، وبين أصلها، ثم أخبر عما أصابها من تغيير بعد دخول ياء النسبة، قائلا: " وإنما الأصل: مقتويّ، منسوب، كما تقول: مَعْزَوِيّ، إذا نسب إلى مَعْزَى. والأصل: قتا يقتو قتْوا. ومقتيّ: إذا خَدَم. فإذا نسبت إلى " مقتي" قلت: رجل مقتويّ؛ أي: صاحب خدمة. فألقى ياءَ النسب وهو يريدها، فبقيت الواو على هيئتها، فقالوا في

---

[١] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ)، المفصل في صنعة الإعراب، ط١، ج١، (تحقيق: علي بو ملحم)، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٥٩ .

[٢] ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري، (ت ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٥٨ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٠٨. وانظر أمثلة أخرى: شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٦٨ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرفع: مَقتَوُون، وفي النصب: مَقتَوين، لحق الواوَ الضمةُ والكسرةُ لانفتاح ما قبلها. ويقال للعبد: مقتويّ يا فتى. وربما قالوا: مقتو، فخففوا الياءَ لكثرة الاستعمال " [١].

التصغير

هو" أن يُضَمَّ أولُ الاسم، ويُفتَحُ ثانيه، ويُزادُ بعد الحرف الثاني ياء ساكنة تسمى (ياء التصغير)، ويُشترطُ فيما يُراد تصغيره أن يكون اسما مُعربا ، قابلا للتصغير خاليا من صيَغِهِ وشبْهها " [٢]، وما جاء خلاف ذلك هو من شواذ التصغير.

واستخدم الشعراء التصغير في قصائدهم لأغراض تخصّ المعنى، فالاسم "يُصغّر إمّا للدلالة على تقليله، أو تصغيره، أو تحقيره، أو تقريبه" [٣]. وعليه فقد حاول الشراح الوقوف على مواضع التصغير في الشعر ليخدمهم في توضيح المعنى، ولكن يبدو أن ابن كيسان اقتصر في الوقوف عليه بتحديده، قائلا: " غُديَّة: تصغير غداة " [٤]، أو معرفة الأصل الذي صُرِّفَ منه، كما جاء في بيت عمرو بن كلثوم :

٣٩- حُـدَيّا الناس كُلّـهم جَمِـيعا مُقـارعة بَينـهم عَـنْ بَنِـينا [٥]

قائلا: " ومعنى (حُدَيَّا الناس): أنه أخرج "حُدَيّا" على تصغير "حدوى". أو: "حُدَيّا" على أنه اسم للمصدر صُغِّر للواحد وللاثنين والجمع " [٦].

قضية فعلت وأفعلت .

تُعدّ من القضايا الصرفية التي شغلت كثيرا من العلماء، فيرى بعضهم أن (فعل وأفعل) يأتيان بمعنى واحد، ويرى الآخرون أنهما مختلفان في المعنى، وقد كثر التأليف في هذه القضية، وبيّن كل فريق منهما رأيه مدعّما بالأدلة والشواهد.

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٤ .

[٢] الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم، (١٩٩٣)، جامع الدروس العربية، ط ٢٨، ج ٢، صيدا: المكتبة العصرية، ص ٨٤، ٨٥ .

[٣] المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٥ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٨ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تناول ابن كيسان هذه القضية في شرحه لأنها تخصّ المعنى، فكان يرى أنّ (فعل وأفعل) يختلفان اختلافا يسيرا في المعنى، مما يدل على أنه كان دقيقا في تحري معاني الشعر، ووضح ذلك في بيت عمرو بن كلثوم:

١٤- وَأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ وأشمَخَرَّتْ كَأسْيَافٍ بأيْدِي مُصْلِتِينَا [١]

قائلا: " أعرضت: إذا بدا لك عُرضُها، وقد قيل: أعرض لي، وعَرَض لي، بمعنى واحد. **وأما الوجهُ** فإنها إذا أبدت شيئاً من جوانبها فقد أعرضت، وإذا ظهرت فقد عَرَضت. وكذلك: ألاح: إذا رأيت جانباً منه يلوح، ولاح: إذا أضاءَ في نفسه " [٢].

الإبدال

هو من سنن العرب، ويعني:" إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض" [٣]. وأكثر العلماء من التأليف فيه، فدار خلاف بينهم حول حدوثه ، منهم "من اشترط وحدة الحيز أو قرب المخرج في الصوتين المبدلين، ومنهم من جوز وقوعه في الأحرف المتقاربة في حكاية أصواتها، ولو كانت من مخارج متباينة " [٤].

يُعد العلم بالإبدال ضروريا لشراح الشعر، فالجهل به يوقعهم في اللبس، ويدفعهم إلى التداخل في أصول الكلمات، وقد كان ابن كيسان مدركا لقيمة هذا الموضوع على المعنى، فحرص على تناوله في شرحه ليصل إلى أصل الكلمة الصحيح، ومن أمثلته في الشرح ما جاء في بيت عمرو بن كلثوم :

٥١- وَعَـتَّابا وكُـلثُوماً جَـمِيـعاً بِهِم نِلْـنَا تُـرَاثَ الأكْـرَمِـينَا [٥]

فقد قال موضحا موضع الإبدال: " والتراث: الميراث، أصله من "وَرِث"، أبدلوا الواو تاءً، كما قالوا: تُجاه، وأصله من الوجه " [٦].

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٥٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٤ .

[٣] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص ١٥٤ .

[٤] آل ياسين، محمد حسين، (١٩٨٠)، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، ط ١، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص٤٦٨ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإدغام

ويعني أن" تصل حرفا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة " [١]. وينقسم الإدغام إلى قسمين: إدغام المثلين، وإدغام المتقاربين. ويعني الأول: اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، سكّنوا الأول منهما وأدغموه في الثاني، أما القسم الثاني؛ فيعني: اجتماع حرفين يُبدل أحدهما من جنس الآخر، ويدغم في الثاني [٢]. ومِنْ ثمّ يكون إدغام المثلين هو الأصل في الإدغام، ويُحمل عليه إدغام المتقاربين.

ولقد اهتم ابن كيسان بالوقوف على مواطن الإدغام وتوضيحها في شرحه، لأنه قد يكون سببا في تداخل الأصول فيؤدي إلى اختلاف المعنى، ومن أمثلة وقوفه على الإدغام في الشرح، ما جاء في شرحه لبيت عمرو بن كلثوم :

٣٦- إذا ما عَـيَّ بالإسْنَـافِ قَـوْمٌ مِـنَ الهَوْلِ المُشَـبَّهِ أنْ يَكُـونَا [٣]

فقد قال ابن كيسان: " عيّ: توقف وتحيّر، ومنه: العَيِيّ اللسان؛ يقال: عيَّ الرجل بأمره، وعيي بأمره، وحَيَّ في هذا المكان، وحَيِيَ به – يتكلمون بادّغام وغير ادّغام في الماضي، ولا يُدَّغم في الاستقبال؛ يقال: عَيَا وعيَوا. ومن قال: عَيِيَ، قال: عَيِيا وعَيُوا، بحذف الياء في الجمع، كما تحذف ياءُ خشي " [٤].

ونخلص من الوقوف على القضايا الصرفية عند ابن كيسان أنه صور الجانب الثاني من الاتجاه النحوي في شرحه، واستعان به لتوضيح المعنى، وحفظه من اللبس والخلط بين المعاني الأخرى .

---

[١] ابن الأنباري، أسرار العربية، ص ٢٨٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٨٦ .

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٧٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجانب الصرفي عند ابن الأنباري

ألم ابن الأنباري بعلم الصرف وقضاياه، فقد استقاه من حلقات الدرس في بغداد، ومن كتب علماء اللغة والنحو التي تناولت بعض القضايا الصرفية؛ فقد عَكَف على دراستها وحفظها ثم روايتها، ومن أهم هذه الكتب: مؤلفات ابن السكيت كالألفاظ، وإصلاح المنطق، والقلب والإبدال[١]، وكتابا خلق الإنسان، والفرق لثابت بن أبي ثابت [٢]، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والفصيح لثعلب، والمثلث لقطرب [٣].

كما أنه خاض التأليف في موضوعات الصرف، فجعل بعض الكتب مستقلة بها، وبعضها الآخر يحتوي أبوابا منها، وتوسع كعادته في هذه الموضوعات، فراح يذكر أصولها وأوجهها، وما دار حولها من خلاف، وحرص على تبيين شخصيته ورأيه في هذه الموضوعات جميعها. ومن هذه الكتب: شرح الألفات المبتدآت في الأسماء والأفعال، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب المقصور والممدود، وشرح غاية المقصود في المقصور والممدود لابن دريد، وكتاب أدب الكاتب [٤].

وهذه المصادر كلها عملت على تنوع ثقافة ابن الأنباري الصرفية، وانعكست على شرحه للسبع الطوال، فوظفها في معرفة الأصول اللغوية للكلمة وحفظها من التداخل مع غيرها، وفي توجيه معاني ألفاظ الأبيات. ومن هذه القضايا البارزة في الشرح:

الميزان الصرفي

يُعدّ الأساس في الموضوعات الصرفية، لأنه دليل على أبنية الكلمة، يدل على حروفها الأصول (الفاء والعين واللام)، ويبين ما لحقها من الزيادة بالتكرار أو حروف الزيادة، ويدلنا على غياب بعض حروف الأصل، فيكشف ما وقع في الكلمة من حذف أو إبدال أو إدغام أو قلب مكاني؛ كي لا يُخلط أصل الكلمة بأصول أخرى فيتأثر المعنى .

ولقد اهتم ابن الأنباري به في مواضع عديدة من الشرح، كي يبين ما طرأ على الكلمة من تغيير، وجاء هذا في شرحه لبيت لبيد بن ربيعة:

---

[١] ابن خير، فهرسة ما رواه عن شيوخه، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٨٢ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٦٤ ، ٣٨٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٣٦ ، ٣٦٢ .

[٤] انظر التمهيد: ص ٢٣ – ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢- فمَـدَافِعُ الرَّيَّان عُرِّيَ رسمُـها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحِيَّ سِلامُـها [١]

قائلا:" والوُحِيُّ وزنُه من الفعل فُعول، وأصله وُحُوىٌ، فلما اجتمعت الواو والياء والسابق ساكن أبدلوا من الواو ياءً وأدغموها في الياء التي بعدها وكسروا ما قبل الياء لتصحّ " [٢].

المفرد والجمع

تنوع اهتمام ابن الأنباري بالمفرد والجمع في شرحه، فقد جاء منتشرا في أماكن متعددة، وعلى أشكال مختلفة، واختص اهتمامه بجموع التكسير مثل غيره من الشرّاح؛ لأنها موضع الخلاف بين العلماء، والخطأ في حصرها يؤدي إلى لتداخل في أصول الكلمات، فيصعب معرفة معناها.

ومن أشكال عنايته بالمفرد، أنه تناول جمع التكسير الوارد في الأبيات، فصرّح بمفرده، وذكر كل الصور التي يحتمل أن يأتي عليها، وأشار إلى بعض الجموع التي لا مفرد لها. ففي بيت امرئ القيس جاء بصور المفرد من جمع التكسير (الأثناء)، قائلا:

٢٥- إذا مَا الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْناءِ الوشَاحِ المُفَـصَّلِ [٣]

" وواحد (الأثناء) ثِنِيْ وثِنِيٌ وثُنِيٌ، وواحد (آلاء) الله سبحانه وتعالى إلى وإلا وألاً، وواحد (آناء) الليل إنِيْ وإنا وأنا " [٤].

وفي بيت آخر وضّح مفرد (الأحراس)، وبيّن أن (المعشر) لا مفرد لها من لفظها، قائلا:

٢٤- تَجَاوَزْتُ أحراساً إليها ومَعْشَراً عَلَيَّ حِراصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَـلي [٥]

" والأحراس واحدهم حَرَس، والمعشر جمعٌ لا واحدَ له من لفظه، وكذلك النَّفر، والقوم، والرهط، والإبل، والغنَم، لا واحد لهذه الجُموع من لفظها " [٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥١٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٢٠ . وانظر أمثلة أخرى للميزان الصرفي: ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥١ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٢٣ ، ١٣٥ ، ٣٨٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٩ ، ٥٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أشكال عنايته بالجمع، أنه تناول الألفاظ المفردة الواردة في الأبيات، فأتى بصور جمعها، وأشار إلى المفردات التي تكون على معنى الجمع، والمفردات التي تختلف أشكال جمعها باختلاف حركة أولها. ففي بيت عنترة بن شداد بيّن صور الجمع لكلمة (الأسرّة)، قائلا:

٣٩- بزُجاجةٍ صَفْراءَ ذاتِ أسِـرَّةٍ قُرنتْ بأزهرَ في الشِّمالِ مُفـدَّمِ [١]

" وقوله: ذات أسرّة، معناه ذات طرائق وخطوط وتكسُّر. وواحد الأسرة: سِرٌّ وسِرَر. ويقال في الجمع القليل: أسرّة وأسرار. ويقال في الجمع الكثير: أسارير " [٢].

ويشير في بيت طرفة بن العبد إلى كلمة (الطِّراف)، ويوضّح أنها جاءت بمعنى الجمع، قائلا:

٥٣- رأيتُ بَنِي غَبْراءَ لا يُنكرونَني ولا أهلُ هذاكَ الطِّرافِ الممـدَّدِ [٣]

" والطِّراف: لفظه لفظ الواحد، ومعناه معنى الجمع " [٤].

وفي بيت آخر له، يوضح مدى الاختلاف الذي يصيب الجمع باختلاف حركة الحرف الأول في مفرده، قائلا:

٥٧- وكَرٍّى إذَا نادَى المُضَافُ مُحَنَّبا كَسِيدِ الغَضَا نَبَّهتَهُ المتـورِّدِ [٥]

" والكَرُّ: الجبل العظيم الغليظ، وجمعه: كرور. والكُرّ، بضم الكاف: حِسْيٌ صغير، والجمع: كرارٌ " [٦].

المذكر والمؤنث

برع ابن الأنباري في معرفة هذه الظاهرة، فألف فيها كتابا شاملا لم يستطع أحد من علماء عصره أو بعده الإتيان بمثله [٧]، فقد قال في مقدمته: " أنا مفسّرٌ في كتابي هذا إن شاء الله التذكير والتأنيث ومعين ذلك بابا بابا، وأصلا أصلا، وفرعا فرعا، ومحتج على التأنيث والتذكير

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٣٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٣٨ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٦٨ ، ١٣٥ ، ١٦١ ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٩٢ .

[٤] المصدر نفسه، ص ١٩٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٩٤ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٩٥ .

[٧] البغدادي، تاريخ بغداد، مج ٤، ص ٣٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بأشعار العرب ولغاتها، وذاكر اتفاق أهل اللغة والنحو فيما اتفقوا فيه، واختلافهم فيما اختلفوا فيه"[١].

وقد انعكس هذا على شرحه للسبع الطوال، فراح يقف على الأسماء المؤنثة، والأسماء التي ترد على الشكلين: المذكر، والمؤنث. وفي بيت طرفة بن العبد:

٤٦- متى تأتني أصبَحْكَ كأساً رَويَّـةً وإن كنتَ عنها غانياً فاغْنَ وازدِدِ [٢]

حدّد الاسم المؤنث، قائلا: " والكأس: مؤنثة " [٣].

أما في بيت زهير بن أبي سلمى :

٢٠- وقد قلّما إن تُدْرِكِ السِّلْمَ واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القول نَسْـلَمِ [٤]

فحدد الاسم الذي يرد على الشكلين، قائلا:" السِّلْم والسَّلْم: الصُّلح؛ وهو يذكر ويؤنث "[٥].

المقصور والممدود

اعتنى ابن الأنباري بالمقصور والممدود في شرحه لما لهما من صلة في المعنى، وتنوعت أشكال هذه العناية فشملت: تحديد نوع الاسم (مقصورا أو ممدودا)، وتوضيح الاختلاف في المعنى بين الاسمين، وملاحظة مدى تغيّر نوع الاسم بتغيّر حركة أوله، وتصريف هذه الأسماء إلى المثنى والجمع لرصد التغير الذي يحدث في بنيتها، وتحديد ما يستوي فيه المد والقصر [٦].

وأكثر ما شغل ابن الأنباري من هذه الأشكال، ملاحظة مدى التغير في نوع الاسم بتغير حركة أوله، فكثر هذا الشكل في أبيات عدة من شرحه، منها بيت طرفة بن العبد:

٩٤- ولا تَجْعليني كامرئٍ ليس هَمُّه كهَمِّي ولا يُغْنِي غَنائي ومَشْـهدِي [٧]

---

[١] ابن الأنباري، كتاب المذكر والمؤنث، ٨٧ .

[٢] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٨٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص١٨٧. وانظر مثالا آخر: ص ١٧٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٦٢. وانظر أمثلة أخرى: ص ٣٠ ، ٢١٥ ، ٢٧٦ ، ٥١٨ .

[٦] من أمثلة المقصور والممدود في شرح ابن الأنباري: ص ١٠٠ ، ١١١ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ٢٢٤ ، ٣٨٦ .

[٧] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد قال ابن الأنباري: " والغَناء إذا فُتحت عينُه مَدٌّ، وإذا كُسرت قُصِر، وكان مضادًّا للفقر "[١].

وقد تطور الأمر في تعامله مع هذه الأسماء، فذكر عدة أوجه لها، وحدد نوع الاسم في كل وجه ومعناه الذي يحمله، ومثل ذلك ما جاء في بيت امرئ القيس:

٦٧- فعادَى عِداءً بَيْنَ ثور ونَعْجةٍ دِرَاكاً ولم يُنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ [٢]

" والعِداء على أربعة أوجه: العداء المولاة ممدودة، والعدى: الأعداء مقصور يكتب بالياء، والعِدى: القوم الغُرباء مقصور ويكتب بالياء، والعِدى: العِدَة مقصور يكتب بالياء " [٣].

النسبة

توقف ابن الأنباري في شرحه عند الأسماء المنسوبة، وجعل الكشف عن المنسوب إليه من الأمور التي تُسهم في وضوح المعنى؛ لأن الاسم عادة ما يُنسب كي يأخذ بعض صفات المنسوب إليه، فالكشف عنه بمنزلة الكشف عن هذه الصفات، إضافة إلى أنه يساعد في معرفة أصل الكلمة، ويمنع من تداخلها بأصول أخرى، ومن أمثلة الكشف عن الأسماء المنسوبة في شرحه ما جاء في بيت الحارث بن حلزة:

١٠- بزَفُوفٍ كأنها هِقْلةٌ أُ مُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفاءُ [٤]

قائلا: " ودَوِّيَّة: منسوبة إلى الدوّ. والدوّ: الأرض الواسعة البعيدة الأطراف " [٥].

التقاء الساكنين

إذا التقى ساكنان في اللغة العربية أوجب التشكيل الصوتي التخلص منهما، وتكون أوجه التخلص إما بحذف أولهما أو بتحريكه. فإذا وقع الساكنان في كلمة، وكان الأول منهما ألفا، أو واوا، أو ياء، وجب حذفه. أما إذا كان التخلص بالتحريك، فيكون تحريك الأول بالكسر، أو الضم، أو الفتح، والكسر هو الأصل والغالب.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢٤ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص٤٤١ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٤٢. وانظر أمثلة أخرى للأسماء المنسوبة: ص ١٣٧ ، ٢١٣ ، ٣٩٥ ، ٥٣٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد الجهل بأشكال معالجة التقاء الساكنين من الأمور التي تُحدِثُ اللبس في فهم معنى الكلمة؛ لأن الحذف يفقد الكلمة أحد حروفها، فيؤدي إلى صعوبة معرفة الأصل اللغوي لها. أما التحريك، فقد يُخالف العلامة الإعرابية، فيصعب معرفة الموقع الإعرابي للكلمة.

وعليه، فقد اهتم ابن الأنباري في شرحه بالوقوف على مواطن التقاء الساكنين في ألفاظ الشعر، وتوضيح الوجه الذي عُولجت به، كي يسهل عليه التوصل لمعناها. ففي بيت امرئ القيس بيّن سقوط الواو في (يكون) المجزومة، باعتباره وجها للتخلص من التقاء الساكنين، قائلا:

٢١- وإنْ تكُ قدْ ساءَتْكِ مِنّي خَليقةٌ فسُلّي ثِيابي مِنْ ثيابِكِ تَنْسُلِ [١]

" وقوله «إنْ تكُ» موضع تك جزمٌ بإن، علامة الجزم فيه سكون النون، والواو من تكون سقطتْ لاجتماع الساكنين، والساكنان الواو والنون، والنون حُذفت لكثرة الاستعمال وشبَّهتها العرب بالواو والياء فأسقطوها كما يسقطونهما، فإذا تحرّكت النون لم يَجْز سقوطها، تقول: لم يكُ زيد قائما، ولم يك عمرو جالسا، فتسقط النون لما ذكرنا. فإذا قلت: لم يكن الرجل قائماً لم يجز سقوط النون لتحركها " [٢].

وفي بيت زهير بن أبي سلمى بيّن ابن الأنباري أن الفعل المجزوم (يجعل)، حُرّك بالكسر تجنبا لالتقاء الساكنين، قائلا:

٥٥- ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ ومن لا يتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ [٣]

" ويَجعل مجزوم بمن، واللام: كُسرت لاجتماع الساكنين " [٤].

الإبدال

جاء الإبدال في أماكن متعددة من شرح ابن الأنباري، وحرص عليه لعدم الوقوع في الخطأ في أثناء بحثه عن أصل الكلمة والكشف عن معناها، فاقتصر على تحديد أصلها، وإيضاح ما أبدل من حروفها، ثم بيّن مدى شيوع الإبدال في اللغة، فأعطى الأمثلة عليه. فقد قال في بيت زهير بن أبي سلمى:

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٦. وانظر مثالا آخر لالتقاء الساكنين: ص ٢٨٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٨٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٦- ولو كُنْتُ وَغلاً في الرِّجال لضَرَّني عَـداوةُ ذي الأصحاب والمتـوحِّدِ [١]

" المتوحِّد: الفرد من الرجال الذي ليس معه أحدٌ. ويقال متوحِّد، ووَحَد، وأحد. والأصل في أحَد وَحَد، فأبدلوا من الواو المفتوحة همزة، وهذا قليل في المفتوحة، إنما يحسُن في المضمومة والمكسورة ، كقولهم: وُجوه وأجوه، وإسادَة ووسادة " [٢].

الإدغام

ورد الإدغام في شرح ابن الأنباري، بنوعيه: إدغام المثلين، وإدغام المتقاربين. وقد استعان بهما الشارح للكشف عن الأصل اللغوي لبنية الكلمة، حتى لا يتأثر المعنى، ففي بيت امرئ القيس كشف عن إدغام المثلين في كلمة (ظلّ)، فبين أصلها وما طرأ عليها من تغيير، قائلا:

١٢- فظلَّ العـذارَى يرتَمِين بلحْمِها وشحمٍ كهُدَّابِ الدِّمَـقْسِ المُفَـتَّلِ [٣]

" العرب تقول: ظلّ فلانٌ يفعل كذا وكذا، إذا فعله نهاراً. وظلّ من الفعل فعِل، ويَظَلُّ يَفعَل، كان الأصل فيهما ظَلِلَ يَظْلَل، فكرهت العربُ أن يُجمع بين حرفين متحرّكين من جنس واحد فأسقطوا حركة الحرف الأوّل وأدغموه في الثاني، كما قالوا صَمٌ يَصَمُّ، والأصل فيه صَمِمَ يَصْمَم، فأسقطوا حركة الميم الأولى وأدغموها في الثانية لما ذكرنا " [٤].

أما في بيت عمرو بن كلثوم؛ فقد كشف عن إدغام المتقاربين في كلمة (يطّعِنّ)، وبين أصلها، وما جرى في بِنيتها من تغيير، قائلا:

٦٦- ألـمَّا تعـرفوا مِـنَّا ومِنـكمْ كَتَـائبَ يَطَّعِـنَّ و يَرْتَـمِيـنا [٥]

" قوله: يطّعِنّ ويرتمينا: يطّعنّ من الطّعن، ويرتمين من الرمي بالنبل. ويطّعن صلة الكتائب، والأصل فيه يطتعنّ فأبدلوا من التاء طاء، وأدغموها في الطاء التي بعدها " [٦].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧. وانظر أمثلة أخرى حول الإبدال: ص ٢٢١ ، ٢٦٣ ، ٤٠٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٣٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٥ . وانظر أمثلة أخرى: ص ٣٦١ ، ٣٩٨ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤١٣ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلب المكاني

من سنن العرب، ويعني" حلول حرف مكان حرف في الكلمة المفردة بالتقديم والتأخير، مع حفظ معناها " [١]. وكان له أثر كبير في المعنى، فهو" يؤدي إلى تداخل الأصول، ويُلبس الأصل بالفرع، فيجعل الفرع أصلا والأصل فرعا " [٢]، فالجاهل به قد يخلط أصله بأصول أخرى.

مما سبق، نجد أن ابن الأنباري اهتم بالقلب المكاني في شرحه، لتحديد الأصل وتوضيح القلب الذي تم بين الحروف. ومن أمثلته في الشرح ما جاء في بيت عمرو بن كلثوم :

٧١- وتَحمِلُنا غَداةَ الرَّوعِ جُرْدٌ عُرِفنَ لَنا نَقائِدَ وافتُلِينا [٣]

" ويروى: جُرد مسوَّمة نقائذ. فالمسوَّمة: المعلّمة بالسِّيما، وهي العلامة. والأصل في مسوَّمة موسَّمة، لأنَّها من وسمت الشيء، إذا علَّمته، فنقلت الواو من موضع الفاء إلى موضع العين، كما قالوا: ما أطيبَ وما أيْطَبَه " [٤].

ويخلص الباحث من نهاية عرض القضايا الصرفية التي وردت في شرح ابن الأنباري، أن الجانب الصرفي كان بارزا في الشرح، استعان به ابن الأنباري كغيره من الشرّاح؛ لمعرفة الأصول اللُّغوية للكلمة، التي يُستدل من خلالها على المعنى الصحيح. وأن الجانب الثاني من الاتجاه النحوي في الشرح تنوعت أشكاله، وبرزت ملامحه في مواطن، واختفت في أخرى.

---

[١] المختون، محمد بدوي، (١٤٠١هـ)، ظاهرة القلب المكاني في العربية. مجلة كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ع١١): ص ٣٠١ .

[٢] الصاعدي، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، ج ٢، ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤١٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤١٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان وابن الأنباري

إن الحديث عن النقد الأدبي والبلاغي في الشرحين موضع نظر الدراسة سيعود بنا – بالضرورة – للتأمل من جديد في الدلالات التي يؤديها مصطلح " الشرح "، ووظيفة الشارح؛ للوقوف على أسس المنهج الذي تبتغي الدراسة الكشف عنه في الحدود التي انتظمها العنوان. ويبدو من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التطور الذي شهدته الشروح الشعرية – بصورة عامة– قد امتد أثره إلى مصنفي: ابن كيسان، وابن الأنباري.

ولعل غياب ملامح واضحة ومحددة لنظرية نقدية أو بلاغية عربية متزامنة مع شرح ابن كيسان وابن الأنباري ومن سبقهما وبعض ممن تلاهما من الحقائق التي جعلت هذا الاتجاه في الأغلب " يعتمد الأحكام النقدية التي كان الشارح يطلقها من خلال تأثره بالعمل الشعري الذي كان يفسره " [١]، فامتاز هذا الاتجاه في بداياته الزمنية " بتأثير الهوى، والنزعات الذاتية، والذوق الخاص فيه " [٢]، وتبين لنا في الفصول التي مضت أن الشراح بصورة عامة، والأوائل منهم خاصة، كانوا على الأغلب الأعم علماء لغة ونحو؛ مما جعل الاتجاهات اللغوية والنحوية تتقدم في مصنفاتهم على الاتجاهات النقدية والبلاغية. ويرى أحمد الشايب أن هذا النقد لم يكن نقدا فنيا وإنما هو " نقد لغوي نحوي نهض به اللغويون والنحاة، من علماء البصرة والكوفة خاصة، ويقوم على الصلة بين الأدب وأصول النحو واللغة والعروض، وإن لم يتجرد هؤلاء العلماء في نقدهم عن الذوق الفني مطلقا " [٣]، وهذا مما يعلل قولنا: إن الاتجاه النقدي والبلاغي في تلك الحقبة لم يكن غاية مقصودة أو عملا منهجيا، ولم يظهر للدراسة أن توظيف اللغة والنحو والتاريخ قد تحقق بوصفها أدوات نقدية تخدم الاتجاه النقدي أو البلاغي.

ويمكن القول فيما يتعلق بوجود أحكام نقدية في بعض الشروح الشعرية المتقدمة: إن جلها كانت أحكاما تقويمية " على أن أمثال تلك الأحكام التقويمية عندما دُوّنت في مصنفات الشروح الأدبية كانت محدودة، لا يلتقي بها الدارس إلا نماما، وقد لبثت حتى أواخر القرن الثالث، ثم كانت نقطة الانعطاف فيما بعد ذلك أن الطبقات الأربع الأولى من الشراح كان رجالها علماء أكثر منهم نقدة، ولكن القرن الرابع يدخل في صفوف الشراح طبقة من النقاد، يصنفون الشروح على دواوين. ومجموعات شعرية، مستعينين بأسلوبهم النقدي، وبذلك يظهر

---

[١] تحريشي، النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص١٦٧ .

[٢] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ١٢٤ .

[٣] الشايب، أحمد، (١٩٩٤)، أصول النقد الأدبي، ط١٠، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ص١١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للمؤرخ اتجاه متميز في الشروح، تسوده النزعة النقدية، وتصبغ خطواته بألوانها " [١]، مع أهمية الالتفات إلى أن الاتجاه النقدي كان حصاده أوفر، وبابه أوسع في شرح دواوين الشعراء المحدثين عنه لدى الشعراء الجاهليين، وبعض شعراء عصور الاحتجاج.

وبناء على ما سبق عن شراح القرون الأولى، من حيث احتفاؤهم باللغة والنحو دون البلاغة والنقد هو ما دفع ابن الأثير للحمل عليهم، مبينا أن "موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أن النحو ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة. وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة. والمراد أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب. ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة. ومن هنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيه من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة " [٢]، وعلى ما في هذا الرأي من اعتساف كبير ومغالاة في غير ما موضع إلا أن ذلك يكشف عن حقيقة منهج الشراح الأوائل في التعامل مع الأنظار النقدية والمصطلحات البلاغية، ولعل جزءا من كلام ابن الأثير ينسحب على شراح القرون التي تلت استواء علوم البلاغة والنقد واشتهار مصطلحاتها، وهذا قد يؤسس لتقبل غياب الاتجاه البلاغي والنقدي على نحوٍ منهجيّ في شرح ابن كيسان وابن الأنباري.

وبدأ التفات الشراح – ومن جملتهم ابن كيسان وابن الأنباري– للاتجاه النقدي والبلاغي مع التطور الذي صاحب الشروح الشعرية في ظل تطور المفهوم النقدي ذاته، وبروز المصطلحات البلاغية، وتعدد المصنفات النقدية المتخصصة، إلا أن هذا الاهتمام كان متفاوتا من شارح إلى آخر، ومن مقصد إلى مقصد، لكن الحكم الذي لا مراء فيه – خاصة في حدود الدراسة – أن النقد كان عنصرا من عناصر الشرح التي ينتفع بها الشارح لإثبات رأي نحوي أو وجه لغوي .

---

[١] قباوة، منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات، ص ١٢٤ .

[٢] ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط١، ج١، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما لا شكّ فيه كذلك أن نقد الشعر ليس كشرحه، وإن كان من مهمة الشارح أن ينقد الشعر. ويرى يوسف زرده أن " شراحنا قد سلكوا إلى ممارسة النقد سبيلا غير سبيل النقاد إليه، يتسم بسمتين بارزتين، أولهما: الترجيح بين الإشارة إلى الظاهرة النقدية أو البلاغية إشارة سريعة، وإصدار الحكم النقدي عليها، معللا تارة، وغير معلل أخرى، وثانيتهما: التساهل في استخدام المصطلحات النقدية والبلاغية، لا سيما مصطلحات الظواهر الثانوية أو الفرعية "[١]، ولا يغيب عن الدارس في هذا المقام أن " النقد الأدبي كان من العوامل التي أوجدت علما آخر هو علم البلاغة، فإن ملاحظات النقاد وآراءهم استحالت فيما بعد إلى قوانين علمية ترشد الكتاب والشعراء إلى ما يجب اتّباعه في التعبير عن العقل والشعور، وهي قوانين البلاغة أو أبواب المعاني والبيان البديع في علوم اللغة العربية. وقد عاش النقد والبلاغة مختلطين من أقدم عصورهما، فلم ينفصلا إلا بمشقة في القرن الخامس الهجري"[٢] والعبارة الأخيرة في هذا المقتبس تؤسس توصيفا لحقيقة الاتجاه النقدي والبلاغي في الشروح الشعرية – وأخص ابن كيسان وابن الأنباري– وستكشف الدراسة ذلك على نحو مفصل معزز بالشواهد اللازمة .

---

[١] زردة، اتجاهات شروح الشعر في التراث العربي ومناهجها حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص١٧٦ .

[٢] الشايب، أصول النقد الأدبي، ص ٥١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن كيسان

إن المتأمل في شرح ابن كيسان وغيره من شروح علماء القرن الثالث الهجري سوف يتبين له افتقار هذه الشروح إلى الوقفات النقدية والبلاغية المنهجية، بل يمكن القول: إنها تتسم بغياب المفاهيم النقدية والبلاغية ودلالاتها الاصطلاحية، وإن لم تكن تعدم بعض الدلالات اللغوية لبعض المصطلحات. ويمكن أن نعلل ذلك بأن جل شراح هذا الجيل كانوا من اللغويين والنحويين، ولم تكن تستهويهم المسائل النقدية والبلاغية، يضاف إلى ذلك أن المصطلحات النقدية والبلاغية لم تكن حتى ذلك الوقت شائعة ومتداولة بكثرة، " فأوليات ظهور مثل هذه الإشارات البلاغية كانت عند ابن السكيت في منتصف القرن الثالث ... ولم يصل إلينا منها شيء كبير" [١]. ويشير محقق كتاب (الإيضاح في علوم البلاغة) في مقدمته إلى أن أقدم ما وصل إلينا من مباحث تتصل بعلوم البلاغة كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ [٢]، وهي لم تكن أكثر من إشارات عامة في الفصاحة والبلاغة، وطائفة من الاصطلاحات البلاغية، دون أن نغفل أن ابن المعتز (ت٢٢٦هـ) قد وضع كتاب (البديع) في محاولة أولية جادة لإرساء الأصول البلاغية، وهذا التأخر في الظهور والاستواء بين الشروح الشعرية وعلوم البلاغة والنقد هو ما جعل هذا الاتجاه يغيب عن روايات الشروح الخاصة بالجيل الأول والثاني الذين أخذ عنهم الجيل الثالث وأملى منهم على من بعده، فكان تأثر ابن كيسان جليا في أخذ منهج من سبقوه.

واستنادا إلى استقراء شرح ابن كيسان للقصائد الطوال، فإنه يمكن للباحث الوقوف على المسائل الآتية:

- **الأنظار النقدية .**
- **الأنظار البلاغية .**
- **الظواهر العروضية .**

وقبل بسط القول في المسائل أعلاه يتوجب الإشارة إلى بعض أبرز الخصائص الأسلوبية والسمات العامة التي اتبعها ابن كيسان في شرحه، التي قد تعطي صورة متكاملة عن منهجه في الشرح. فقد كان يفرد كل بيت بشرح مستقل، ويتضمن هذا الشرح على الأغلب محورين:

---

[١] العمري، منهج أبي جعفر النحاس في شرح الشعر، ص ١٤٩ .

[٢] القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، (ت ٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، ط٣، ج ١، (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي)، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ص ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **التفسير .**
- **المعنى .**

وكان في بعض الأبيات يكتفي بالتفسير دون المعنى، أو يقول بعد التفسير: "وهذا معناه"، وأحيانا يستغني عن تفسيره ومعناه تماما، وعادة يكون هذا في نهايات القصائد، ونلحظ هذا في نهايات قصيدة عمرو بن كلثوم حين أورد ابن كيسان البيت ولم يذكر بعده شرحا أو تفسيرا، وهو قوله:

٨٣- إذَا لَـمْ نَحْمِـيهِنَّ فَـلا بَقِيـنَا لِـشَيءٍ بَعْـدَهُـنَّ وَلا حَـيِينَا [١]

" ليس له تفسير" [٢].

ولم يضع ابن كيسان مقدمة تبسط أصول هذا الأسلوب أو المنهج الذي سيتبعه ويسير وفقه في تناول الأبيات، ولكن يظهر لنا أن مقصده من "التفسير" هو التفسير النحوي واللغوي لكل مفردة في البيت الشعري الذي يعاين، و" المعنى " قريب من هذا مع احتوائه على شرح عام للبيت .

ومما نلمحه في أسلوبه كذلك أنه كان في بعض الأبيات يكرر شرح ألفاظٍ وتراكيبَ وردت في أبيات سابقة أو حتى قصائد أخرى، دون كبير فرق فيما كان يورده في كل مرة، وفي أحيان أخرى كان يُعرض عن التفسير أو بيان المعنى ويكتفي بالقول: " سبق تفسيره "، لكنه كان في الأغلب يكرر تفسير الألفاظ.

ومن السمات الأسلوبية التي تتجلى للدارس في الشرح كذلك، **الاستشهاد بالقرآن الكريم** ليعاضد ويقوي المعنى الذي يختاره، والتفسير الذي يذهب إليه، وهذا الاستشهاد خاص بالمعنى والدلالات وبالنحو ووجوه الإعراب، إلا أنه لم يكن يكثر من الشواهد القرآنية فيما وصل إلينا من شرحه، وأمثلة ذلك متناثرة في الشرح .

ومن ذلك أيضا **تفسيره الشعر بالشعر**، والمقصود هنا غير الشاهد الشعري بمعناه المعروف، بل إنه كان أحيانا يستعين ببيت شعر لاحق أو حتى سابق في القصيدة ذاتها للتفسير وبيان المعنى المقصود، ومن ذلك أنه فسر وذكر معنى قول عمرو بن كلثوم:

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١١٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧- بِـيَوْمٍ كَرِيهةٍ ضَـرْبًا وَطَـعْنًا أقَـرَّ بِـهِ مَـوَالِيكِ العُيُـونـا [١]

وبيّن ما فيه من وجوه لغوية ونحوية، ثم فسّر وذكر معنى البيت الذي يليه وهو:

٨- قِفِي تَسْأَلِكِ : هَلْ أَحْدَثْتِ صُرْمًا لِوَشْـكِ البَيْنِ أم خُنْتِ الأَمِـينَا [٢]

ثم عقب على ذلك، وقال: " وهذا البيت يُبيّن المعنى الذي فسرناه فيما قبله " [٣].

وكذلك في قول عمرو بن كلثوم:

٢٨- وَنَحْنُ إذا عِمَادُ الحَيِّ خَـرَّتْ عَلَى الأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِـينَا [٤]

فقد فسّر البيت، وذكر معناه، وقال: " وبيان ذلك في الأبيات التي تلي هذا " [٥].

ومن الملامح الأسلوبية الأخرى التي ظهرت في منهج ابن كيسان **الاستدلال على صحة التفسير أو المعنى بالشعر**، وهو كثير في شرحه، وهذا غير الاستشهاد بالشعر في القضايا النحوية، ومنه في قول امرئ القيس:

٣٤- وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وَسَـاقٍ كَأُنبُوبِ السَّقِيِّ المُـذَلَّلِ [٦]

فقد ذكر تفسيره ولم يذكر المعنى، وقال: " هذا معناه "، ومثله قول الشاعر:

تمشِـي على بَرْدِيَّتَيْنِ عَـدَاهُمَا غَـدِقٌ بساحةِ حَـاتِرٍ يَغْـبُوبِ [٧]،[٨]

ومنه ما جاء في قول امرئ القيس :

٣٩- كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَـذَاهَا نَمِيرُ المَـاءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ [٩]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٩ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٦٦ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٦٧ .

[٦] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٢ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٧٣ .

[٨] البيت لقيس بن الخطيم، وجاءت روايته في الديوان: (تخطو). انظر: قيس بن الخطيم، الديوان، ص ١٨.

[٩] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد فسّر البيت، وذكر الأقوال التي فيه، ثم عاد وعقب: " فالقول الأول أجود، لأنه آخذ من قول حاتم:

وسُقِيتُ بالمـــاءِ النَّميــر ولَــمْ أتْــرَكْ الاطِــمُ حَمْــأةَ الجَــفْر [١]،[٢]

والمتأمل في **الشواهد الشعرية** التي وظفها ابن كيسان لتدعيم اختياراته من التفسير والمعنى يجد أنها تنتمي إلى عصور الاحتجاج التي ركن إليها النحاة في تقعيد اللغة، ولعل هذا لا يبدو مستغربا من عالم لغوي ونحوي مثله. وقد كثرت الشواهد الشعرية في الاتجاه النحوي للشعر على نحو يستدعي النظر فيها بصورة مستقلة.

ومما نقف عليه في شرح ابن كيسان عدم التفاته إلى توثيق الأعلام التي ينقل أقوالها إلا فيما ندر، فكثيرا ما نجده يستعمل ألفاظا من مثل: "وقيل" ، "ويقال" ، "وفيه قولان" ، وغيرها....، ونطالع كثيرا النقل عن شيخه "بُندار". ونشير إلى ذلك وشواهده في معالجتنا للأنظار النقدية البلاغية وقضايا العروض التي سنقف عليها تباعا.

الأنظار النقدية

واكبت الأحكام النقدية والوقفات التقويمية الشعر منذ فجره الأول، ومارس هذا العمل النقاد (أدباء ولغويون) [٣]، والمتذوقون، والشعراء أنفسهم. وتطور النقد بتطور البيئات وتعدد العلوم والمعارف، وازدهار حركة التأليف والتدوين...، غير أن هذا التطور كان محدودا في بداياته، وظل حتى القرن الرابع الهجري يميل في أغلبه إلى النزعة الانطباعية والأحكام الذوقية.

إلا أن ذلك لم يصرف الشراح عن الالتفات إلى تلك الأحكام والآراء، بل إنهم مارسوا عملا نقديًا مماثلا لمَا وصلهم من خلال إطلاق بعض أوصاف الاستحسان والقبول والرد، بل إننا نظفر في بعض الأحايين بتعليلات وتسويغات لإصدار تلك الأحكام، لكن الذي لا شك فيه أنها لم تكن ممارسات نقدية منهجية ذات وعي متكامل، وتبقى مقاصد النقد ووسائله مختلفة عن الشرح وأدواته، فإن كان الشرح أداة من أدوات النقد فليس بالضرورة أن يكون النقد أداة من أدوات

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٩ .

[٢] البيت لحاتم الطائي، وجاءت روايته في الديوان: (فسقيت)، (الاطس). انظر: الطائي، أبو صالح يحيى ابن مدرك. ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره: رواية هشام بن محمد الكلبي، ط ١، (تحقيق: عادل سليمان جمال)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢١٦ .

[٣] إبراهيم، طه أحمد، (د.ت)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري، بيروت: دار الحكمة، ص٤٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشرح، ولعل في ذلك مسوغا لوهن الاتجاه النقدي لدى الشراح، وبخاصة في القرون الثلاثة الأولى.

وفي ضوء ما سبق كان ابن كيسان جزءا من واقع الحركة النقدية والبلاغية في عصره، فجاءت أحكامه انطباعية ذوقية خالية – في جلها – من التعليل، جزء منها موجّه للشعراء ومادة شعرهم، وجزء آخر موجّه للشراح السابقين ومادة شرحهم.

ومن الأحكام النقدية التي أطلقها ابن كيسان على الشعراء وشعرهم ما نجده في تفسيره لقول امرئ القيس:

٣٠- تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ شَتِيتٍ وتَتَّقِي بِناظِرَةٍ من وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ [١]

قال أبو الحسن: " تَصُدُّ: تُعرضُ استحياءً، وتبتَسِمُ فيبدو ثغرُها. وتتقي: تلقانا بعد الإعراض بملاحظتِها كملاحظة الظَّبيةِ طفلها، فذلك أحسنُ ما يكونُ من غُنْجِ المرأة " [٢]، ونرى أنه بهذا الحكم يستحسن تصوير الشاعر لحالة المرأة، مِنْ غير أن يوضّح تعليلا لاستحسانه.

ومثله كذلك ما نجده في شرحه لقول عمرو بن كلثوم :

١٦- وَأَعْرَضَتِ اليَمَامَةُ وَاشْمَخَرَّتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصْلِتِينَا [٣]

قال ابن كيسان: " أحْسَنُ ما في هذا أن يكون أعرض بمعنى بدا بعضُهُ كأنه بدا عرضه أي ناحيته، وَعَرَضَ إذا بدا كله " [٤]، وهو بهذا الحكم يفضل اختيار الشاعر للفعل (أعرض) بدلا من الفعل (عرض).

أما الأحكام النقدية التي أطلقها ابن كيسان على الشراح السابقين وشرحهم، فمنها ما نجده في تفسيره لقول امرئ القيس:

٢٨- إذا قلت هاتي نوّليني تمايلت على هضيم الكشح ريا المخلخل [٥]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٠ .

[٣] التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٢٩١ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٩١ .

[٥] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" نوليني: من النائل، وهو العطية، يريد ما تسامحه فيه من قُبَلها والتزامها. هضيم الكشح: ضامرة الجنبين، وإنما يريد الخاصرتين، ويُقال: الكشح: الجنب كله، قال أبو الحسن: والتفسير الأول أصح " [١]، ونرى أنه اكتفى بلفظة (أصح) حكما نقديا من دون أن يعلل لنا سبب اختياره، ولم يقل إن الحكم الآخر خطأ.

٧٢٠٠٦٤

ومن الأحكام النقدية ما نجده في كلامه على بيت لبيد بن ربيعة، الذي يقول فيه:

٣٣- فمَضى وقدَّمها وكانت عــادةً منه إذا هي عَـرَّدَتْ أقــدامها [٢]

" قال أبو الحسن: قال أبو العباس محمد بن يزيد: أضمر في كانت التقدمة، كأنه قال: كانت التقدمة عادة، ثم أبدل قوله إقدامة من التقدمة، قال أبو الحسن: وهذا القول حسن جدا " [٣]، وهو حكم نقدي لا مسوّغ له، أو وجه تقديم كما نرى.

ومنه كذلك قوله في تفسير بيت عمرو بن كلثوم:

٦- قِــفِي قَبْلَ التــفرّق يا ظَـعِينا نُخَــبِّرْكِ اليَــقِينَ وتُــخْــبرِيــنا [٤]

الذي يقول فيه: " قفي علينا قبل أن يتفرق أهلك وأهلنا، أي قبل أن تظعني عنا، أو نظعن عنك. والظعينة: المرأة في هودجها، والظعن: يقال الظعن أيضا: السير. أي نخبرك ما في أنفسنا، وتخبرينا بما في نفسك. واليقين: الحق لا شك فيه، وقد قيل: "قبل التفرق": قبل الموت، وليس بشيء" [٥]. وقوله: "ليس بشيء" حكم نقدي للقول الأخير، وجلّ هذه الأقوال يُوردها مِنْ دون أن ينسبها إلى قائل، مكتفيا بعبارة " وقد قيل ".

ونجد الحكم النقدي غير المعلل كذلك في تفسيره لبيت آخر من أبيات عمرو :

٦٥- عَلَيْنَا البِيضُ واليَلَبُ اليَــمَانِي وَأَسْيَــافٌ يُقــمنَ وَيَنْــحَنِيــنَا [٦]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٦٧ .

[٢] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ١، ص ٣٩٤ .

[٣] المصدر نفسه، ج١، ص ٣٩٤ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٤٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٨ .

[٦] المصدر نفسه، ص ١٠٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي يقول فيه: " يقمن وينحنينا "، فيه قولان: يُقمن: يُرفعن للضرب، وينحنين: يُحَطَّطْنَ في الضرب، والقول الآخر: إذا ضربوا بها انْحَنَتْ لشدَّةِ الضرب فقوَّمُوهَا بأن يقلبوها في الضربة الثانية. وهو قول ضعيف "[١]. ولم يبين لنا سبب تضعيفه للقول الآخر.

وفيما ندر نجده يطلق حكما نقديا انطباعيا ويردفه بتعليل أو بيان، مثل الذي نجده في تفسيره بيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه:

٣٤- كَأنَّ سُيُـوفَـنَا فِينَا وَفِيـهِم مَخَـارِيـقٌ بِـأيْـدِي لاعِبِـينَا [٢]

" ...، وهذا البيت يشتمل على معنًى لطيف؛ ذكر السيوف وبالغ في وصفها، ثم قال: وهي على هذه الصفة فينا وفيهم كالمخاريق في الخفة. وقال قوم: بل وصف سيوف أصحابه وسيوف أعدائه .... "[٣]، فهو يرى في البيت معنى لطيفا يحاول توضيحه، ويستمر في سرد الأقوال الأخرى دون أن يبين أصحابها.

وأضراب هذه الأحكام مبثوثة في ثنايا تفسيره للشعر الذي وصلنا، وسلافة القول فيها: إنها أحكام ذوقية انطباعية لا تستند إلى منهج نقدي قويم. أما المصطلح النقدي، فلم يكن له نصيب في شرحه وتفسيره وغاب تماما، واستعاض عنه بجمل وأوصاف، من مثل: حسنٌ، ولطيف، وأجود، وضعيف، وليس بشيء، وأضرابها، وكذلك الحال فيما يتصل بالقضايا النقدية التي تصدى لها النقاد في تلك الحقبة، كاللفظ والمعنى، وعمود الشعر، والوحدة العضوية والموضوعية، والخيال، وغيرها.

أما القضايا النقدية التي نلمح فيها ظلالا في شرحه، فهي ثلاث قضايا، منها: السرقات الشعرية، والصدق والكذب، وقضية المقدمة الطللية. ولم تكن وقفته عند هذه القضايا سوى وقفة عابرة تكتفي بالتلميح والإشارة فقط .

وقد وقف ابن كيسان عند قضية **السرقات** التي شغلت النقاد كثيرا، على نحو سريع، فأشار إلى أبيات محدودة يمكن أن تُدرج تحت قضية السرقات، وأخذ الشعراء من بعض، كذلك الذي نجده في أثناء تفسيره لقول امرئ القيس:

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١٠٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٩- كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَــذَاهَا نَمِيرُ الماءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ [١]

فقد فسّر البيت، وذكر الأقوال التي فيه، ثم عاد وعقب: " فالقول الأول أجود، لأنه أخذ من قول حاتم:

وسُقِــيتُ بالمــاءِ النَّمــيرِ ولَمْ أتْــرَكْ الاطِـمُ حَمْــأةَ الجَــقــر [٢]

وكذلك نجده يذكر أن رؤبة بن العجاج كان **ينشد** [٣] بيت طرفة بن العبد الذي يقول فيه:

١٠١- ستُبدي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهِلاً ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لمْ تُــزَوّدِ [٤]

وقضية **الصدق والكذب** شغلت النقاد، فانقسموا بين مؤيد لها ومعارض [٥]، وأشار إليها ابن كيسان في شرحه دون تفصيل، وذلك في شرحه لبيت الحارث بن حلزة :

٨- أوقدتها بين العَــقيق فشَخْصَيْــ ــنِ بعــود كما يَلوحُ الضِّــياء [٦]

فقال مكتفيا بتوضيح استحسانه لهذه القضية عند الشعراء: " وقوله: بعودٍ، قال المفسرون: يريد العودَ الذي يتبخر به كما قال الأصمعي وغيره، وقال الأصمعي: ولعلها ما رأت عوداً قطُّ. وقال أبو الحسن بن كيسان: وهذا الكَذِبُ مما يُستَحْسَنُ عندهم، لأنَّهم يرفعونَ به من يُحِبُّون " [٧].

أما قضية **المقدمة الطللية** التي شغلت الباحثين في العصر الحديث، حول ما إذا كانت هذه المقدمة استهلالا اعتاد عليه شعراء الجاهلية، أم هي مرآة يعكس الشاعر فيها حالته النفسية قبل الخوض في موضوع القصيدة، فقد ألمح إليها ابن كيسان في موضع واحد من الشرح، مبينا أنها من عادة الشعراء، فقال في بيت امرئ القيس:

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٩. وسبق تخريج البيت: ص ٨ .

[٣] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٥٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٥ .

[٥] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (ت ٤٢١هـ)، شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، ط ١، مج١، (تحقيق: غريد الشيخ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٢ .

[٦] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ٢، ص ٥٤٨ .

[٧] المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤- وإن شِـفائي عَبْـرَةٌ مُـهَراقَةٌ فَهَلْ عِندَ رَسْمٍ دارسٍ من مُعَـوَّلِ [١]

" العَبْرَة: الدمعة. ومُهَراقة: مَسفوحة مصبوبة. والدارس: الأثر المَمْحِيّ. والمُعوَّل فيه وجهان: المَبْكى، أي الموضع الذي فيه العَويل، وهو البكاء. ويكون الموضع الذي فيه الوصول إلى الحَوْج وإصابة الحاجة؛ يقال: مُعَوَّلنا على فلان، أي نجد عنده ما نريد.

والمعنى: يقول ليس في هذا الموضع بلوغ ما نحبُ، وإن بكينا لا نَنْتَفع بذلك. وهذا ما يتعزّى به الشعراء ليكسروا به الحزن" [٢].

وسوى ذلك لا نجد شيئا ذا بال يتصل بالقضايا النقدية أو مصطلحاتها. ولعل الجزء المفقود من شرحه للطوال يحتوي شيئا من تلك الأنظار النقدية، إلا أن منهج الرجل النقدي قد بدا واضحا بالتوصيف الذي بيناه من خلال ما وصلنا.

الأنظار البلاغية

لم تكن البلاغة أوفر حظا من النقد في شروح الشعر العربي في القرون الثلاثة الأولى، ولتجنب التكرار والإملال، يمكننا القول: إن ما ذكرناه من أحكام حول اتجاه ابن كيسان النقدي هي ذاتها أحكام اتجاهه البلاغي، لكن الأمر الأظهر في اتجاهه هذا هو قضية المصطلحات البلاغية، فالدارس للشرح تطالعه بين ثنايا التفسير مصطلحات بلاغية كالتمثيل، والتشبيه، والتكنية، والتعريض، وغيرها، لكن هذه الألفاظ لم تكن تحمل دلالة اصطلاحية ذات صلة بعلوم البلاغة، وإنما وظفها ابن كيسان من ناحية استعمالها اللغوي. ويوضح العمري ذلك متحدثا عن الشراح في تلك الحقبة، قائلا: " لم يكونوا يستخدمون تلك المصطلحات بمدلولات علمية محددة، على نحو ما تحدد لها فيما بعد من مدلولات، بل كانت تدور في مصنفاتهم بمدلولات عامة، أقرب ما تكون دلالات لغوية وضعية؛ أي أن هذه الكلمات كانت بالنسبة لهم مفردات لغوية عامة، أكثر منها مصطلحات بلاغية لها مدلول علمي محدد " [٣]؛ لذا كان واضحا في شرح ابن كيسان غياب الوعي المنهجي بعلوم البلاغة وأساليبها، وجلّ ما جاء من توضيح للتشبيهات أو بيان للكنايات أو التعريض كان مبتغاه تقريب المعنى وتبسيط التفسير لا أكثر.

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٤٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٤٨ .

[٣] العمري، أحمد جمال، (١٩٩٠)، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري، ط ١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص ٧٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل أكثر المصطلحات التي وظفها ابن كيسان في شرحه هو "التمثيل"، ومن ذلك ما نجده في أثناء تفسيره لقول امرئ القيس :

٢٠- وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لِتَضْرِبي بِسَهْمَيْكِ في أعْشار قَلْبٍ مُقَــتَّلِ [١]

" التفسير: ذرفت: دمعت، وجعل عينيها سهميها **تمثيلا** بقدحين يستوفيان أعشار الجزور إفازة. وقوله مقتل: أي مذلل منقاد.

والمعنى: قال أبو الحسن: ومعنى هذا البيت أنه جعل بكاءها سببا لغلبتها على قلبه، فكأنها حين بكت فاز سهماها **تشبيها** بالمقامر إذا استولى بقدحين على أعشار الجزور..." [٢]، ونرى أنه استعمل في التفسير لفظة (التمثيل) وفي المعنى(تشبيها) وفي كلتا الحالتين لم يقصد الدلالة البلاغية للمفردتين، بل كان استعماله لهما استعمالا لغويا لا غير.

ومثله في تفسير قول امرئ القيس:

٣٧- تُضِيءُ الظَّلامِ بالعِشاء كأنّها مَنــارَةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَــبَتِّلِ [٣]

" وقال أبو الحسن بن كيسان عن بُندار: أنه على غير حذف، والمعنى: أن منارة الراهب تشرق بالليل إذا أوقد فيها قنديله، وينير ذلك لعلوها، **فشبه** المرأة إذا أشرق حسنها بالليل بالمنارة..." [٤]، ونرى جليا أنه ساق هذا التشبيه في معرض توضيحه للمعنى وليس غاية بلاغية، وأضراب هذا عنده كثيرة [٥].

ومن المصطلحات التي استعملها كذلك: "الكناية"، ولا يختلف استعمالها عن استعمال مصطلح التشبيه أو التمثيل، ومن ذلك ما جاء في شرحه لقول امرئ القيس:

١٨- وإنْ كُنْتِ قد ساءتكِ مني خليقة فسُلّي ثِيابي من ثيــابك تَنْسُلِ [٦]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٩. وانظر أمثلة أخرى للتمثيل في: ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم: ص ٥٨، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١١١. وفي كل هذه الأمثلة يكتفي بقوله: "هذا مثل" أو "على التمثيل"، مع شرح المعنى باختصار أحيانا، وقد قام بذلك لخدمة المعنى اللغوي أكثر من المعنى البلاغي.

[٣] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٧٥ .

[٤] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ١، ص ١٥٢ .

[٥] من أمثلة هذا في: ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائلا: "...، وقد قيل: إن الثيابَ القلبَ، وتأوّلوا قوله تباركَ وتعالى: " وثيابَكَ فطهِّرْ " أي: طهِّرْ قلبَكَ، بأن لا يكون فيه كفرٌ، وقد قيلَ مثل ذلك...، وربما جَعَلوا الثيابَ **كناية** عن الإنسان نَفسِه "[١] وهذا الاستعمال لا صلة له بمدلول الكناية في الاصطلاح البلاغي.

ويغفل ابن كيسان وشيخه بُندار الكناية في قول امرئ القيس:

٣٥- ويُضحِي فتيتُ المِسكِ فوقَ فِراشِها نؤومَ الضُّحَى لم تَنْتَطِقْ عن تَفضُّلِ [٢]

وينصب الاهتمام على تفسير المعنى: " وقوله: "نؤوم الضُّحى": أي تنامُ ضَحوةً لنِعمتها...، وقال بندار: وليس يريدُ به كثرةَ النوم، وإنما يريد الابتداع في الوقت الذي تُشغَل فيه النساء بأعمالهنّ " [٣]، فجليّ أن الكناية بمفهومها البلاغي غائبة وحاضر معناها اللغوي.

وجمع ابن كيسان الحديث عن التمثيل والوصف والتكنية بمعناها اللغوي في شرحه لبيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه :

٤٦- إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشمأزَّتْ وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونا [٤]

" لما **مثّل** الشدّة بالقناة، ووصف كيف تقوّم وتُلَيّن ...، فيريد أن هذه القناة تُصيبُ الثقاف بمثل ما تفعل هذه الناقة. ويُرْوَى: "وولتهم"، يريد: وولّت المثقفين. أو: ولّت الأعداءَ الذين أعيا عليهم تليينُها. ومن قال "المُثَقِّفين" ، قال: **كنى** عنهم لمّا ذكر الثقاف، لدلالته عليهم "[٥]، فحشد المصطلحات البلاغية في استعمال لغوي .

ومن المصطلحات البلاغية التي استعملها بدلالة لغوية محضة "التعريض"، ومن ذلك ما نقف عليه في شرحه لقول عمرو بن كلثوم :

٢٦- وإن الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَفْشُو عَلَيكَ وَيُخرِجُ الدَّاءَ الدَّفِينا [٦]

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٧٣ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٤ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٥ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٨٥ ، ٨٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٦٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"ومعنى هذا البيت: أن الضغن وإن سترتَه فإنه يخرج ما تقدَّمه مما كان بين الأوائل من الشرّ مما اندفن بدفنهم، فيثار ويذكر به، فينتشر ذلك ولا يستتر. كأنه **عَرَّض** بعمرو بن هند" [١]، وهذا واضح الدلالة والمقصد، بعيد عن التعريض البلاغي.

ومثله ما جاء في شرح معنى قول عمرو بن كلثوم :

٥٩- وَنَحنُ التاركونَ لِمَا سَخِطْنَا وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا [٢]

" المعنى: يقول: إذا سخطنا شيئاً تركناه، وإذا رضينا شيئاً أخذناه. وفيه **تعريض** بأنا إذا سخطنا شيئاً من أخلاق غيرنا لم نتخلق به، وإذا رضينا شيئاً من أخلاق غيرنا امتثلناه "[٣]، ولا يختلف عن مثل هذا النهج ما جاء في أبيات أخرى .

ومن المصطلحات البلاغية التي استعملها أيضا بدلالة لغوية "الاستعارة"، فقد ذكرها في تفسير البيت، ووضح دلالتها اللغوية في المعنى العام للبيت، وجاء هذا في شرحه قول امرئ القيس:

٦٩- فأضْحَى يسُحُّ الماءَ حَولَ كُتَيفَةٍ يَكُبُّ على الأذقَانِ دُوْحَ الكَنَهْبَلِ [٤]

" التفسير: أضحى: جاء ضَحْوة النهار. يَسُحّ: يصُبّ . كُتَيفة: أرض . يكُبّها: يقلبها على رؤوسها. والأذقان ههنا: **مستعارة** للرؤوس وأعالي الشجر. والدَّوْح: ضيخام الشجر. والكَنَهْبَل: شجر بعينه من أعظم العِضَاه.

والمعنى: يقول: هذا المطر يَقْلع الشجر إذا جرى من الجبال في أصولها، فيكبّها في الأودية على أذقانها لشدّته " [٥].

ومن الموضوعات البلاغية التي أشار إليها دون قصد "الأساليب البلاغية"، والتي وضحها بتفسير لغوي كي يكشف عن معناها، وأسلوب الدعاء كان من هذه الأساليب، فجاء في بيت امرئ القيس :

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٦٤ ، ٦٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٩٨ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٩٨ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٣ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١- ويوم دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالتْ: لكَ الوَيْلاتُ إنكِ مُرجِلي [١]

فقال ابن كيسان: " لك الوَيْلاتُ: دَعَتْ عليهِ "[٢]. ونرى من هذا التفسير أنه لم يُشر بصراحه إلى هذا الأسلوب، وإنما تبين نوعه من خلال شرحه اللغوي.

ويمكن القول: إننا إن عثرنا على بعض الأحكام النقدية الذوقية أو الانطباعية في شرح ابن كيسان، إلا أن البلاغة ومصطلحها لم يكن لها نصيب في شرحه، وما وظف المصطلحات التي أشرنا إليها إلا لبيان الدلالة اللغوية.

الظواهر العروضية

لم يبد ابن كيسان اهتماما بعلم العروض والقافية، ولم تشغله الظواهر الموسيقية في شرحه، على الرغم من استقرار علم العروض وانتشاره مقارنة بالنقد والبلاغة في عصر ابن كيسان، وظهر أثر النزعة اللغوية جليا في صنعته حين استخدم ما تناثر من مصطلحات عروضية بدلالتها اللغوية، ومن ذلك ما نجده في تفسيره لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه:

٧٦- فلو كانَ مولايَ امْرَأً هو غيرُهُ لفـرَّجَ كربي أو لأنظـرَني غـدي [٣]

" وفي بيت طرفة (هو) إقواء، لأنه وصفه بقوله: هو غيرهُ، فدنا من المعرفة " [٤].

وهو يريد معنى التقوية، أي تقوية التعريف بهو، لأنه لا وجه للإقواء العروضي في هذا الموضع، وفي اللغة: " أقوى فلان الحبل والوتر: جعل بعض قواه أغلظ من بعض "[٥]، وهذا يكشف صراحة عن انصرافه للمعنى اللغوي عما سواه فيما تخير من ألفاظ قد توهم بإرادة معنى اصطلاحي.

ومما يعاضد قولنا بعدم التفات ابن كيسان للعروض إلى الحد الذي يثر استفهاما حول مدى حظه منه ما أورده النحاس [٦] والتبريزي وابن منظور في رواية ابن كيسان لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ٥٣ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٣. وانظر أمثلة أخرى: ص ٨٤ ، ١٠٢. وشرح معلقة عمرو بن كلثوم، ص ٨٣.

[٣] ابن كيسان، شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة، ص ٤٥ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٥ .

[٥] ابن منظور، لسان العرب، مج ١٥، مادة (قوا)، ص٢٤٠ .

[٦] النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج١، ص ١٩٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٢- كأنّ ثَبيراً في عَرانِينِ وَبْـلِهِ كَبيرُ أنــاسٍ فــي بِجادٍ مُــزَمَّلِ [١]

" كان ابن كيسان يروي هذا البيت: (وكأن)، بزيادة الواو في هذا البيت وفيما بعده، ليكون الكلام مرتبطا بعضه ببعض، وهذا يسمى الخرم في العروض "[٢] والصواب أنه الخزم، والخزم زيادة، والخرم نقص. وقد ذكره ابن منظور في: خزم [٣]، وبصرف عن النظر إن كان خرما أو خزما فإن الشاهد يكمن في تفريطه وعدم التفاته للوزن العروضي في سبيل المعنى الذي كان جل اهتمامه منصبا عليه .

ولم تشغل ابن كيسان الضرورات الشعرية – خاصة المتصلة بالممنوع من الصرف– كثيرا، فتارة نجده يشير إليها وتارة يغفل ذلك، وباعثه على ذلك الحاجة لتوضيح رأي نحوي أو بيان معنى لغوي، ومن ذلك ما ورد في تفسيره لقول امرئ القيس:

٦٨- عَلا قطناً بالشَّيْمِ أيمَنُ صَوْبِهِ وأيسـرَهُ علــى السِّتار فيَـذْبُلِ [٤]

قائلا: " ويَذْبُل: جبل أيضا، وحكمه في النحو أن لا ينصرف، لأنه على وزن الفعل المستقبل، ولكنّه صرفه في الشعر، وفيه يصرف كلّ ما لا ينصرف " [٥]، فنلحظ أنه أورد ذلك من جهة النحو قبل إيراده من جهة الشعر.

كان هذا أبرز ما وقفت عليه الدراسة متصلا بالظواهر العروضية والموسيقية، ولعل هذا الإحجام عن الوقوف على قضايا الشعر وموسيقاه يدفع الدارس للسؤال عن سبب وجيه لهذا الإعراض، فهل كان هذا جهلا بعلم العروض والقافية ؟ وهو المستبعد، أم زهدا فيه وعدم عده من العلوم الواجب الأخذ بحظ منها، أم أن النزعة النحوية واللغوية لم تستدع حضورا ذا بال للعروض والموسيقى في الشرح .

وبعد، فإن ابن كيسان في منهج شرحه للقصائد الطوال لم يحفل كثيرا بالجانب النقدي والبلاغي، شأنه في ذلك شأن جل الشراح في تلك الحقبة، واكتفى ببعض الإشارات النقدية والبلاغية العابرة التي استدعتها الأهمية النحوية أو اللغوية التي أولاها فائق عنايته، ويبقى من

---

[١] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٥ .

[٢] التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٧٤ .

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مج ١٢، مادة (خزم)، ص ٢٠٦ .

[٤] ابن كيسان، شرح معلقة امرئ القيس، ص ١٠٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٠٢ ، ١٠٣. وانظر مثالا آخر للضرورة الشعرية: النحاس، شرح القصائد التسع المشهورات، ج ٢، ص٦٤١ ، ٦٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصعب بمكان القطع بضحالة مخزونه المعرفي في المسائل النقدية والبلاغية، وإن كان لسان حال صنعته يشي بذلك، لكن ذلك لا يقلل بحال من الأحوال القيمة التي يحتويها شرحه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاتجاه النقدي والبلاغي عند ابن الأنباري

أظهر ابن الأنباري سعة اطلاع وتنوعا في المعرفة والعلوم من خلال الأنظار النقدية والبلاغية التي تجلت في شرحه للقصائد السبع الطوال، إلا أن تلك الأنظار لم تحظ بالعناية والتفصيل التي أولاها للاتجاه النحوي أو اللغوي أو التاريخي التي اتسمت بالتوسع والاستطراد. ولا يعد هذا مأخذا على رجل عُرف عنه أنه نحوي ولغوي من الطراز الأول، وهو في هذا يكشف عن تأثر بالاتجاه العام الذي كان سائدا لدى الشراح في تلك الحقبة، الذي أجمعت طائفة من الدراسات التي أشرنا إلى بعضها فيما مضى على انصرافهم للعناية بالمسائل النحوية والقضايا اللغوية، ولم تكن المهام الوظيفية للشراح حتى ذلك الوقت تشمل الدراسات الفنية المتعمقة، والكشف المنهجي عن مواطن الجمال والإبداع وصولا إلى الأحكام التقييمية والتقويمية إلا بالقدر الذي يعزز الوظيفة الرئيسة لتلك الشروح، ولعل في التوطئة المثبتة في بداية هذا الباب ما يكفي الباحث مؤونة التكرار.

ونجد من الأهمية بمكان أن نبدأ بالوقوف على أبرز الملامح الأسلوبية والسمات الفنية التي انتهجها ابن الأنباري في شرحه موضع الدراسة، التي تكشف عن منهجه العام في الشرح، وحقيقة الاتجاه النقدي والبلاغي لديه .

ومن أبرز هذه الملامح الأسلوبية نقف على **الاستشهاد بالقرآن الكريم**، فقد كان ابن الأنباري يعاضد الوجوه النحوية والاستعمالات اللغوية بنصوص التنزيل المحكم بوصفه آية البلاغة ومنتهى الفصاحة. ولم تقف الدراسة على موضع من مواضع هذا الاستشهاد اختص بتفسير ناحية جمالية، أو توضيح بيان أو وجه من وجوه البديع، وفي ثلاثة ومئتي موضع استشهد بها ابن الأنباري بآي الذكر الحكيم كان هذا الاستشهاد متصلا بوجوه لغوية أو نحوية.

وقد تنبه لدلالة هذا الاستشهاد عبد السلام هارون محقق الشرح؛ مما دفعه إلى المخالفة في نهج فهرسة الشواهد القرآنية المتبع لدى المحققين. ويقول في حاشية فهرس القرآن الكريم: "رتبت فيه الآيات على نسق المواد اللغوية التي جاء الاستشهاد بالآيات من أجلها، وقد وجدت هذا الترتيب الذي ابتدعته أوفق من الترتيب المتبع في فهارس القرآن، الذي يعتمد على ترتيب السور والآيات، فإن فيه من الصعوبة، ومن ضعف الفائدة ما لا خفاء فيه " [1].

---

[1] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٦٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الاستشهاد بالآيات الكريمة قاد ابن الأنباري إلى الوقوف على مسألة أخرى هي علم **القراءات القرآنية**، فنجده في كثير من المواضع يستشهد بالآيات، ويذكر أنها قراءة قرآنية، كما نجد في شرحه لبيت طرفة بن العبد الذي يقول فيه:

٥- يَشُقُّ حَبَابَ المَاءِ حَيزومُها بِهَا كما قَسَمَ التُّربَ المُـــقايِلُ بالـــيَدِ [١]

يقول: " ويقال: شَقَقتُ الشَّيء أشُقه شقًّا. والشَّق بفتح الشين المصدر، والشِّق بكسر الشين الاسم، والشق أيضا: نصف الشيء، والمشقّة أيضا. قال الله تبارك وتعالى: (لم تكونوا بالِغِيهِ إلا بشِقّ الأنفُس) [٢]، يقرأ بفتح الشين وكسرها .... " [٣].

ومثله في شرحه لبيت لبيد بن ربيعة، الذي يقول فيه :

١٦- بل ما تَذَكَّرُ مِن نَوارَ وقد نأتْ وتقطَّـــعت أســـبابُها ورمـــامُها [٤]

يقول: " ... وقال الله عز وجل: (أعرضَ ونَأى بجانبه) [٥]، وقرأ بعض القراء (وناءَ بجانبه)، والناي: البعد ...." [٦].

ونجده في بعض المواضع يذكر القراءة القرآنية ويذكر صاحبها، كما نجد في شرحه لقول طرفة بن العبد :

٩٥- بَطيءٍ عن الجُلَّى سَريعٍ إلى الخَنَا ذَلولٍ بأجماعِ الرِّجال مُلَـــهَّدِ [٧]

يقول: " والذَّليل: ضدّ العزيز، والذُّلّ: ضدّ العز. والذُّلُّ: ضد الصعوبة. قال الله تبارك وتعالى: (واخفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحمة) [٨]. وقرأ سعيد بن جُبَير، وعاصم الجحدري: (جَناحَ الذِّلِّ) بكسر الذال ...." [٩].

---

[١] الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٨ .

[٢] القرآن الكريم، سورة (النحل)، الآية رقم (٧) .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٨ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٣٢ .

[٥] القرآن الكريم، سورة (فصلت)، الآية رقم (٥١) .

[٦] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٣٢ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٢٤ .

[٨] القرآن الكريم، سورة (الإسراء)، الآية رقم (٢٤) .

[٩] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يقف عند هذه الحدود في الاستشهاد بالآية وبيان القراءات وذكر أصحابها، بل نجده يذكر أحيانا حكم القراءة، ويعلق عليها كالذي نجده في شرحه لبيت طرفة بن العبد الذي يقول فيه:

٣- كأنَّ حُـدوجَ المالــكيَّةِ غُـدوةً خَلايا سَفِينٍ بالــنَّواصِفِ مِنْ دَدِ [١]

يقول: " ... ولا يقولون: رأيتك غُدوة الخميس، إنما يقولون غداة الخميس، وقد قرأ أبو عبد الرحمن السلميّ: (واصبرْ نَفسَكَ مع الذين يَدْعُون رَبَّهمْ بالغُدْوة والعَشِيِّ) [٢]، وهي قراءة شاذّة لا يُقاس عليها، ولا تُجعَل أصلا .... " [٣] .

ويكشف لنا شرح ابن الأنباري للسبع الطوال عن موقفه من مسألة **الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف**، فقد أظهر عناية بأهمية الحديث النبوي بوصفه شاهدا من خلال الاستشهاد باثني وثلاثين حديثا من الأحاديث النبوية الشريفة، ومن مثل ذلك ما نجده في شرحه لبيت عمرو ابن كلثوم، الذي يقول فيه:

٩- تُريــكَ إذا دَخَــلْتَ عَلى خَــلاءٍ وَقَــدْ أمِنَتْ عُـيونَ الكاشِــحينا [٤]

قال لتوضيح كلمة (الكاشح): "...، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أفضَلُ الصّدقةِ على ذي الرَّحِمِ الكاشح " .... [٥].

ومنه كذلك ما نجده في شرحه بيت زهير بن أبي سُلمى، الذي يقول فيه :

٤٩- ومَنْ يَبْغِ أطرافَ الرِّماحِ يَنَلْنَه ولو رامَ أن يَرقى السَّماءَ بسُــلَّمِ [٦]

قال: "...، ويقال في الدعاء على الإنسان: لا يُرقئ الله دمعَه، إذا دُعِيَ عليه بطول البكاء. ويقال: رقأ الدم يرقأ رقوًا، إذا انقطع. والرَّقوء: ما أرقأتَ به الدَّم، أي قطعته، يقال: "لا تسُبُّوا الإبلَ فإنّ فيها رَقوءَ الدّم " [٧]، وهو حديث شريف لم يسنده للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٥ .

[٢] القرآن الكريم، سورة (الكهف)، الآية رقم (٢٨) .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٧ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٧٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٧٩ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٨٣ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٢٨٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكذلك في شرحه لبيت عنترة بن شداد، الذي يقول فيه :

١٩- هَزِجاً يحُـكُّ ذِراعَهُ بِذراعِـهِ قـدْحَ المُكِبِّ على الـزِّنادِ الأجْذَمَ [١]

يقول: " ...، والأجذم: المقطوع اليد، وجاء في الحديث: " من حفِظ القرآن ثم نسيَه لقِيَ الله تعالى أجذم " ، أي مقطوع اليد "[٢]. وهو في كل الشواهد الحديثية اكتفى بالمتن دون السند، ولم يعلق على الأحاديث كما فعل في القراءات القرآنية. ولعل السبب في استغنائه عن سند الحديث أو التعليق عليه، أن الأحاديث في ذلك الوقت كانت قد جُمعت في كتب الحديث الصحيحة، وقد عرفها الناس وعرفوا أحكامها.

ومن السمات التي ظهرت في منهج ابن الأنباري أيضا توظيفه **الأمثال**، سعيا منه لإثراء شرحه وتعزيز الوجوه النحوية واللغوية التي عني بها، وتجلى ذلك من خلال ثلاثة وأربعين مثالا هي مجموع ما ورد من أمثال في شرحه، ومن ذلك ما نقف عليه في شرحه لبيت الحارث ابن حلزة الذي يقول فيه :

٢٣- فبَـقِينا عَلى الشَّنـاءَةِ تَنْمِيـ ـنا حُـصُونٌ وعِـزَّةٌ قَـعْساءُ [٣]

قال: " ... ، والعزّة: الغلبَة، من قولهم: (مَن عَزَّ بَزَّ)، أي من غلب سلب، وإنّما سُمِّيَ العزيزُ عزيزا لغلبته " [٤].

ومثله كذلك قوله في شرح بيت لبيد بن ربيعة، الذي يقول فيه :

٢٩- رَجَعا بأمرهما إلى ذي مِـرَّة حَصِـدٍ ، وثُجْحُ صَريمةٍ إبرامُـها [٥]

قال: " رجَعا بأمرهما إلى ذي مِرّة، معناه: كان ينازُعها وتنازعه، ثم رجعا بأمرهما، أي صار الشأن إليه، والمِرَّة: الرأي. وأصل المِرَّة: إحكام الفتل، فضربه مثلا " [٦].

وعز أن نجده يذكر فيما يضرب المثل أو مناسبته أو قائله، ومن هذه المواضع التي يذكر فيها شيئا عن المثل ما جاء في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣١٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣١٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٥٦ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٤٥٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥٤٦ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٥٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٩- فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحَيِّ وانْتَحى بنا بَطْـنُ خَبْتٍ ذي قِفافٍ عَقَـنْقَلِ [١]

قال: " والعقنقل: المنعقِد الداخل بعضُه فوقَ بعض. وعَقَنْقَل الضَّبِّ: بطنُه المنعقد. يقال في مثل من الأمثال: " أطعمْ أخاك من عقنقل الضبّ "، يضرب هذا المثل عند الخَصُوصية يُخصُّ بها الإنسان ..." [٢].

إن التوسع في بسط الآراء، ونقل الأقوال المتعددة في المسألة أو المفردة الواحدة دفع ابن الأنباري إلى التوسع الكبير في توظيف **الشاهد الشعري**؛ الأمر الذي يجعل هذه الشواهد جديرة بدراسة مستقلة. ومما يُذكر في الشواهد الشعرية في شرحه أنها تنتسب إلى عصور الاحتجاج اللغوي، وهذا هو منهج النحويين، وكانت ترد منسوبة أحيانا، أو غير منسوبة إلى قائليها على الأغلب.

ولم يقف ابن الأنباري عند حدود إيراد الشاهد الشعري للاستشهاد به على المسألة النحوية أو الاستعمال اللغوي في البيت الذي يشرحه فحسب؛ بل كان يسوقه الحديث إلى شرح الشاهد الشعري ذاته، ويذكر ما فيه من وجوه ومسائل، ثم يستشهد في أحيان كثيرة ببيت شعري آخر لشرح الشاهد الأصلي وهكذا...، وهذا التوسع والاستطراد في إيراد الشاهد الشعري وصل بالشرح أن بلغ مجموع الأبيات التي استشهد بها تسعة وأربعين وتسعمئة بيت شعري، ومن الأراجيز واحد وخمسون ومئة بيت، وثلاثة أشطار شعرية، علما بأن مجموع أبيات السبع الطوال التي تصدى لشرحها بلغ ثمانية وتسعين وخمسمئة بيت. وعلى هذا النحو كشف ابن الأنباري عن الحصيلة اللغوية والشعرية التي كانت لديه.

وفي ضوء ما سبق، يشعر الدارس أن ابن الأنباري في بعض الأحيان كان يحيد عن الغاية الأساسية من شرحه، على نحو مرهق يصرفه عن القصيدة أو البيت الشعري إلى تفصيلات واستطرادات أثقلت الشرح، وليس أدل على ذلك مما نجده في شرحه لقول امرئ القيس:

٧٢٠٦٤

١٩- أفاطِمَ مَهْلا بعضَ هَذا التَّـدَلُّلِ وإنْ كُنْتِ قدْ أزمَعْتِ صَرْمِي فأجْمِلِي [٣]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٥٤ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٥٥ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول: " قوله: أفاطم، معناه يا فاطم. وفي الاسم المنادى تسع لغات ..." [١]، ويجد الدارس في شرح هذا البيت التسعة وجوه التي أشار إليها معززة بتسعة أبيات شعرية وشرح لكل بيت، وطائفة من الشواهد القرآنية وأقوال العلماء وأهل اللغة والنحو في كل شاهد، وتعدد لأقوال في كل وجه من الوجوه التي يذكرها على نحو مبالغ فيه .

ويضاف إلى ما سبق ذكره أنه لم يكن يتحرج من شرح البيت الواحد غير مرة، كلما استشهد به في موضع من مواضع الشرح، بل إنه كان يكرر شرح بعض الألفاظ، ويعدد الوجوه اللغوية والنحوية فيها، حتى وإن سبق له الوقوف عليه في القصيدة ذاتها أو في قصيدة غيرها. ولم يشر في موضع إلى أن ذلك قد سبق ذكره فيعفي نفسه من عناء التكرار، وهذا ما جعل شرحه يتحمل أحمالا إضافية تثقل كاهل الدارس، وكان يمكن التخفف منها، إلا أن يكون قد أملى هذا الشرح إملاء في حلقات، وهو ما يجعل التكرار أمرا مسوغا، ولعل الشرح يجد من يتصدى لتهذيبه، فيخلصه مما فيه من تكرار واستطرادات وحشو لا نفع فيه.

ومما يلحظه الدارس تقديم ابن الأنباري للكوفيين على البصريين وهو لا يتحرج في ذلك، ويسند إلى كبار أعلامهم صراحة بعض الأقوال ويعقب عليها، ونجد اسمي الفراء والكسائي من الأسماء التي يكثر ورودها على امتداد الشرح، وكذلك نجده يكثر من النقل والرواية عن الأصمعي وعن غيره، حسب ما يقتضيه الشرح .

وبعد هذه الوقفة على أبرز السمات الأسلوبية لابن الأنباري يحاول الباحث فيما يأتي أن يقف على الأنظار الآتية في شرحه:

- **الأنظار النقدية.**
- **الأنظار البلاغية.**
- **الظواهر العروضية.**

ونتوسل إلى ذلك من خلال ما توافر للدراسة من شواهد كشف عنها استقراء تام للشرح، تدفع إلى صحة ما ذهبت إليه من أحكام وتعليقات.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٢-٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنظاره النقدية

لن يكون مستغربا بعد ما بسطنا من أقوال إذا قلنا إن ابن الأنباري لم يكن ناقدا بمفهوم النقد ومعاييره، بل إننا نعدم حتى الأحكام النقدية الانطباعية والذوقية التي وسمت أعمال الشراح ممن كانوا قبله أو عاصروه، ولا شكّ في أن شرحه شرح لغوي نحوي صرفي، لا يقف على الأحكام النقدية أو الغايات التقويمية إلا في حدود الحاجة اللغوية، بل إنه لم ينقل حكما نقديا واحدا عن أحد يكشف عن تذوق فني لمواطن الجمال والإبداع لقصائد منتخبة شغلت كثيرا من الشراح والدارسين بما فيها من إبداع .

ومما يمكن أن نشير إليه بوصفه حكما – لكن ليس حكما نقديا – ما جاء في شرحه لبيت امرئ القيس الذي يقول فيه :

١– قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّـوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [١]

يقول: " قفا: أمر. ونبك جوابه. ومن صلة نبك. بسقط: من صلة نبك. قوله "قفا" في الاعتلال له ثلاثة أقوال، أحدها: أن يكون خاطب رفيقين له، وهذا مما لانظرَ فيه...." [٢]، إلى أن يقول في شرح البيت ذاته: " وقال هشام بن معاوية: المعنى: بسقط اللوى ما بين الدخول إلى حومل، فأسقط ما، قال أبو بكر: **وهذا خطأ في قول الفراء**، لأن (ما) حدّ بين الشيئين، فلا يجوز سقوطها..."، ثم أكد خطأ الفراء بتكرار شرح المسألة [٣].

ومن أمثلة ذلك أيضا ما جاء في شرحه لقول امرئ القيس:

١٠– ألا رُبَّ يَوم لكَ منهنَّ صـــالح ولا سـيَّما يَـومٌ بـدارةِ جُلْـجُلِ [٤]

قال: " ألا افتتاح للكلام، وربّ: فيها لغات، **أفصحهنّ**: ضم الراء وتشديد الباء..." [٥]، وأمثال هذه الأحكام كانت تصدر من وعي لغوي ونحوي لا نقدي، ونقدّر لو أن عبقريا وحافظا مثله أولى هذا الجانب جزءا من اهتمامه، لخرج بمصنف جليل متكامل.

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٥ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٥، ١٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الإشارات النقدية اليتيمة التي مر بها ابن الأنباري سريعا في شرحه، ما يتصل بالسرقات الشعرية، وهو أمر لم يكن مقصودا لذاته، وإنما جاء في سياق الشرح والتفسير اللغوي والنحوي عرضا، ونجد هذه الإشارة في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه:

٣٨- **وتَعْطُوا برَخْصٍ غيْرِ شَثْنٍ كأنَّهُ أساريعُ ظَبْيٍ أو مَسَاويكُ إسْحَلِ** [١]

قال: " قال ذو الرمة:

خَراعيبُ أملودٌ كأنَّ بنانَها بناتُ النَّقا تَخْفى مِراراً وتظهرُ [٢]،[٣]

خراعيب: مُلس لينة. وأملود: ناعمة. وبنات النَّقا: دوابُّ بيضٌ تشبه العَظاء تكون في الرمل. وواحد الأساريع: أسروع، ويسروع. وهي دوابُّ تسَمَّى بناتِ النقا. قال: **وسرقه ذو الرمة منه**، يعني من امرئ القيس...." [٤]، ولم يزد على ذلك شيئا.

ومثله نجده في بيت عنترة بن شداد، لكن إشارة ابن الأنباري إلى سرقة عنترة لهذا البيت كانت غير مباشرة، فقد شبهه ببيت الكميت، ثم بين أنه سرقه من أوس بن حجر، ليشير دون تصريح أنها سرقة من عنترة لبيت أوس، ففي البيت:

١- **هل غادَرَ الشُعَراءُ من مُتَردَّم أمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعد تَوَهُّمِ** [٥]

قال: " وشبيه هذا قول الكميت:

أطْلالُ مُخْلِقَةُ الرُسُو م بَألْوَتَيْ بَرٍ وفاجِرْ [٦]،[٧]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٦٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص٦٧ .

[٣] جاء في الديوان برواية: (بنانها). انظر: ذو الرمة، غيلان بن عقبه بن مسعود، (ت ١١٧هـ)، الديوان، ط١، (تحقيق: مطيع بيلي)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٤، ص ٣١٢ .

[٤] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٦٧ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٩٤ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٩٥ .

[٧] الأسدي، الكميْت بن زيد، (ت ١٢٦هـ)، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ط١، ج١، (تحقيق: داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩، ص ٢٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أي أطلال دار مُحلّفة. والمحلفة: التي يُشَكُّ فيها، فيقف عليها الرجلان، وقد كانا يعرفانها، فينكرها هذا ويعرفُها الآخر، فيتلاجَّان في الشكّ حتَّى يحلف أحدهما أنها ليست الدار التي كان يَعهَد، ويحلف الآخر أنَّها هي. **وسرقة الكميت من أوس بن حجر** في قوله:

كأنّ جـديد الأرض يُبْلـيك عنهم تقيُّ اليمين بعد عـهدك حـالفُ [١،٢]

وكذلك نجد في الشرح إشارة إلى ما عدّه النقاد من أغلاط الشعراء، وورد هذا فيما نقله عند شرحه لبيت زهير، الذي يقول فيه:

٣٢- فتُنتجْ لكُمْ غِلمانَ أشـأمَ كُلُّهُمْ كأحمر عـاد ثُمَّ تُرضِع فتَـفطِمِ [٣]

" معناه: تنتج لكم غِلمانَ شؤم. وأشأم هو الشؤم بعينه، يُقال: كانت لهم بأشأم يريد بشؤم، فلمَّا جُعل أفعل مصدراً لم يُحتَجْ إلى (مَنْ)، ولو كان أفعل لم يكن بدٌّ من (مِنْ)، وإنَّما أراد كأحمر ثمود، فاضطرّ الشعر إلى عاد، فقال **على وجه الغلط**...." [٤]، ولا أحكام نقدية أخرى في الشرح كله، إلا ما سقنا أو شبيها به.

أنظاره البلاغية

لم يكن الاتجاه البلاغي أوفر حظا من الاتجاه النقدي في شرح ابن الأنباري هذا، وهو أمر كما ذكرنا من قبل كان مشتركا لدى جُلّ شراح تلك الحقبة، إلا أننا لا نعدم بعض الأنظار البلاغية ومصطلحاتها بين ثنايا الشرح، كالتشبيه، والتمثيل، والكناية، والاستعارة، والالتفات، وغيرها، إلا أن هذه الأنظار البلاغية لم ترق إلى مصاف الأنظار البلاغية المتخصصة في البيان والبديع والمعاني. وأما المصطلحات التي أشرنا إليها فقد وردت في الشرح في سياق الدلالة اللغوية، ولم تعن في جل توظيفها بالدلالة الاصطلاحية لها، ولعل أكثر هذه الألفاظ استعمالا عند ابن الأنباري هو التشبيه واشتقاقاتها، ومن أمثلة هذا الاستعمال ما نجده في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه:

٢٣- وبَيضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِبـاؤُها تمتَّعْتُ من لهو بها غيْرَ مُعْجَلِ [٥]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٩٥ .

[٢] أوس بن حجر، الديوان، ط١، (تحقيق: محمد يوسف نجم)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٣ .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٦٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٦٩ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٤٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: " معناه: ربَّ بيضةِ خدر: أي ربّ امرأة كأنها بيضة في خدرها، **شبَّهها** بها لصفائها ورقتها. وقوله: لا يُرام خباؤها: معناه: لعزها لا يُتعرَّض إلى خبائها. والخباء: ما كان على عمودَين أو ثلاثة ...." [١]، وهو ها هنا يكتفي ببيان عناصر طرفي التشبيه ووجه الشبه، ولا يزيد على ذلك في التفصيل.

ومن ذلك أيضا ما ورد في شرحه لبيت طرفة، الذي يقول فيه:

٧- **خَذُولٌ تُراعِي رَبْرَبًا بِخَمِيلَةٍ تَنَاوَلُ أطرافَ البَرِير وتَرْتَدِي** [٢]

قال: " الخذُول: التي خذلت صواحبَها وأقامت على ولدِها، وهي الخاذل. فإن قال قائل: كيف قال: "وفي الحيِّ أحوى"، ثم قال: " خَذُول"، والخذل نعتُ الأنثى؟ قيل فيه: هذا على طريق **التشبيه**، وأراد: وفي الحيّ امرأةٌ تُشْبِه الغزالَ في طول عُنقها وحُسنها، وتُشْبِه البقرَ في حُسن عَينيها؛ كما تقول: هي شمس هي قمر ..." [٣]. والشاهد في تفسير ما في البيت من تشبيهات وتوضيحه الإجابة عن مسألة لغوية، وقوله السابق "على طريقة التشبيه" يكشف أنه يميز بين التشبيه بصورته البلاغية واللغوية، وأنه لا يُعنى بهذه الطريقة في شرحه.

ومنه كذلك ما جاء في شرحه لبيت عنترة بن شداد، الذي يقول فيه :

١٦- **جادَتْ عَلَيهِ كلُّ بِكْرٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كالدِّرهم** [٤]

قال: "... وقال يعقوب: كل روضة مستديرة فيها نبتٌ فهي حديقة. وقوله: "كالدرهم"، معناه أنها امتلأت كلها فكأن استدارتها بالماء استدارة الدرهم، وليس أنها كقدر الدرهم في السعة. والعرب **تشبّه الشيء بالشيء** ولا تريد به كل ذلك الشيء، إنما تشبِّهه ببعضه. ومن ذلك قولهم: " بنو فلان بأرض مثل حَدَقة الجمل "، والأرضُ واسعة، إنما يريدون أنّها كثيرة الماء ناعمة العشب مخصبة، ولم يذهبوا إلى سعة العين ولا ضيقها. ويقولون: " بنو فلان في مثل حُوَلاء الناقة "، وهي هَنة مثل المِرآة تسقط مع السَّلِيّ فيها ماءٌ صاف...." [٥].

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٨. ومن أمثلة هذا التشبيه في الشرح: ص١٥١، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ، ٣٩٨ ، ٤١٦ ، ٤٢١ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤١ .

[٣] المصدر نفسه، ص ١٤١ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣١٢ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣١٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو في حديثه الماضي عن التشبيه لم يذكر الوجه البلاغي ها هنا وهو الكناية، مما يشير إلى عدم احتفائه بالدلالات البلاغية بمفهومها الاصطلاح.

ويشير ابن الأنباري إلى مذهب من مذاهب العرب يتمثل في قلب التشبيه، وهو ما نجد ذكره في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه:

٢٢- يُضيءُ سَنَاهُ أو مَصابيحُ راهبٍ أمَـالَ السَّـليطَ بالذُّبـال المُفتَّلِ [١]

قال: " وروى الأصمعي:

كأنَّ سَناهُ في مصابيح راهـبٍ أهـانَ السَّليـطَ للذُّبال المـفتَّلِ [٢]

وقال: المعنى: كأنَّ مصابيح راهبٍ في سَناه، فقلب، قال ومثله:

حتـى إذا احتـدمَتْ وصـا رَ الجمـرُ مـثـل تُـرابـهـا [٣]،[٤]

معناه: وصار ترابها مثل الجمر ...." [٥]، وهذا في البلاغة يسمى "التشبيه المقلوب"، إلا أنه لم يذكر سبب القلب والمعنى الذي يؤديه، مستدلا بحديثه على تفسير لرواية الأصمعي.

ومن الإشارات البلاغية التي مر بها ابن الأنباري في شرحه "التمثيل"، ويبدو عنده مصطلح يدل على صورة بيانية، تُطلق في حدود المعنى اللغوي، وإن كانت تشير إلى المعنى البلاغي. ومما يدل على أن قصده توضيح المعنى اللغوي، أنه اكتفى بعد كل مثل بقوله: "هذا مثل" أو "هذا مثل ضربه"، ثم يعقبه بتوضيح للمعنى قائلا: "أردا كذا" أو "المعنى كذا"، دون أن يشير إلى أي قصد بلاغي أو أي تفصيل حول ذلك. ومن أمثلة هذا الاستعمال ما نجده في شرحه لبيت عمرو بن كلثوم الذي يقول فيه:

٢٣- وقد هَـرَّتْ كِلابُ الحَـيِّ مـنّا وشَـذَّبْـنا قـتادةَ مَـنْ يَلِـينا [٦]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٠٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١٠٠ .

[٣] المصدر نفسه، ١٠١ .

[٤] البيت للأعشى الكبير، وجاء في الديوان برواية مختلفة :

حَـتى إذا أوقِـدَتْ ، فالجَـمْرُ مِـثْلُ تُـرَابِـهَا

انظر: الأعشى، الديوان، ص ١٨ .

[٥] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٠٠-١٠١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٣٩٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: " وقد هرَّت كلاب الحيّ منّا، معناه كرهَتنا كلابُ الحيّ، وكلابهم: الذين يهرُّون من سوء أخلاقهم وقوله " شدّ بنا قتادة من يلينا "، **هذا مثل**، **وأراد**: وكسرنا حدَّ مَن يلينا ممن يفاخرنا. وشدّ بنا: فرّقنا " [١].

ومنه كذلك ما جاء في شرحه لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٧٤- وإنْ يَقذِفوا بالقذْع عِرضكَ أسقِهِمْ بشُربِ حِياض الموتِ قبْلَ التَّنجُّدِ [٢]

قال: " والحياض: جمع حَوض. **وهذا مثلٌ**، أي: أوردُهم حياض المهالك. ويقال: قد احتاضَ الرجلُ وحوّضَ، إذا اتَّخذَ حوضًا " [٣].

ومن المفردات البلاغية التي أتى ابن الأنباري على ذكرها "الكناية"، ولا يختلف ورودها في شرحه عن دلالات التشبيه والتمثيل التي بيّناها، ونعني بذلك الدلالة اللغوية التي ترد لضرورات يستدعيها التفسير اللغوي، ومن أمثلة ذلك ما جاء في شرحه لبيت عنترة بن شداد، الذي يقول فيه:

٥٩- يا شـــاةَ ما قنْصٍ لمنْ حلَّتْ له حَرُمَـــتْ عَلَـــيَّ وليتَها لم تَحْرُمِ [٤]

قال: " قوله: "يا شاة" **كناية** عن المرأة. والعرب أيضا تكني عن المرأة بالنعجة، قال الله عز وجلّ: (إنّ هذا أخي له تِسعٌ وتِسعونَ نعجة ولي نعجة واحدة) [٥]، أراد بالنعجة المرأة..."[٦]، وهو في هذا التوضيح البلاغي ينشد بيان الأقوال التي وردت بعد ما ذكر، واختلاف الفراء والكسائي في التفسير الذي أدى إلى تعدد القول في وجوه الإعراب .

ومن ذلك أيضا، ما جاء في شرحه لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٦- وفي الحيِّ أحْوَى يَنْفُضُ المَرْدَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَـــرْجَدِ [٧]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص٣٩٠. وأمثلة أخرى: ص٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٦، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٤٦، ٣٦١، ٤١٩ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٠٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٠٦ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٥٣ .

[٥] القرآن الكريم، سورة (ص)، الآية رقم (٢٣) .

[٦] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٥٣ .

[٧] المصدر نفسه، ص ١٣٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال: " الأحوى: ظبيٌ له خُطّتان من سواد. وإنّما أراد سواد مَدْمَع عينيه، فشبّه المرأةَ بالظّبي الأحوى، والأحوى **كنايةٌ** عنها، ... وقال غيره: شبّه المرأة بظبي يرعى ثمر الأراك، ثم قال: " مُظاهرُ سِمْطَي لؤلؤ "، فاللفظ على الظّبي والمعنى للمرأة ... ، ويجوز في العربية: "مُظاهرَ سِمطَيْ" بالنصب على الحال مما في ينفُض من ذكر الأحوى، لأن كناية النكرة معرفة ..." [١]، ويبدو جليا أن كل هذا الاستطراد في بيان التشبيه والكناية، ما ساقه إليه إلا تخريج الوجوه الإعرابية التي تحتملها الألفاظ في البيت الشعري.

ومثله كذلك في شرحه بيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٢١- وإنْ تَـكُ قدْ ساءَتْكَ مِنّي خَليقةٌ فسُـلّي ثِيـابي مِنْ ثِيابِكِ تَنْسُلِ [٢]

قال: " ... والمعنى: إن كان فيَّ خُلق لا تَرْضَيْنَه فسُلّي ثيابي من ثيابك، أي قلبي من قلبك. والثياب ها هنا **كناية** عن القلب. قال الله عزّ وجلّ: (وثيابك فطهر) [٣]، معناه قلبك فطهر، ... وقال خالد بن كُلثوم: كان طلاق أهل الجاهلية أن يَسُلّ الرجلُ ثوبَه من امرأته وتَسُلّ المرأة ثوبها. وقال أبو عبيدة : إنّما الثياب تُنسَل، وهو مثلٌ للصريمة " [٤]. وعلى الأقوال الأخيرة فإنه ليس صحيحا أن المعنى كناية عن القلب، بل كناية عن الفراق والقطيعة أو الصريمة، والشاهد في المسألة أنه لم يكن مهتما كثيرا بالتحقق من أمر الكناية أو حدودها البلاغية .

ومن الألفاظ البلاغية الأخرى التي وظفها ابن الأنباري في شرحه على قلة "الاستعارة"، وهو ثابت على نهج الاكتفاء بالدلالة اللغوية للألفاظ، وبعض إشارات سريعة تبين المفهوم في النطاق الذي يجعل شرحه واضحا، ومن أمثلة ذلك ما نقف عليه في شرحه لبيت طرفة بن العبد، الذي يقول فيه :

٨- وتَبْسِمُ عَـنْ ألْـمَى كأنَّ مُـنَوَّراً تَخَلَّلَ حُرَّ الـرَّمْلِ دِعْصٌ لهُ نَدى [٥]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٣٩-١٤٠ .

[٢] المصدر نفسه، ص٤٦ .

[٣] القرآن الكريم، سورة (المدثر)، الآية رقم (٤) .

[٤] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٤٦ .

[٥] المصدر نفسه، ص ١٤٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو في ذكر الاستعارة لا يشير إلى بيت طرفة، وإنما للشاهد الشعري الذي ساقه في أثناء الشرح، قال: " قوله: وتَبسِم عن ألمى، معناه: وتبسِم عن ثغرٍ ألمى. يقال: تبسَّم، وابتسَم، وافترَّ، وانكلّ، كلُّ ذلك إذا ابتسم، أمَّا قول الراجز:

جارية في رمضانَ الماضي تُقطِّعُ الحديثَ بالإيماض [١][٢]

فإنّ الإيماضَ لمعانُ البَرق، شبَّه صفاءَ ثغرها إذا بدا عند الافترار والابتسام بلمعان البَرْق، يقول: فهذه المَرأة إذا حَدَّثت ابتسمَتْ في خِلال حديثها. وهم يمدحون الابتسامَ ويذُمُّون الضَّحِك. ومعنى قوله: "عن ألمَى": عن ثغر ألمى، فحذف الثَّغرَ وأقام ألمَى مقامَه ..." [٣]، وهو وإن بين كيف أجرى الاستعارة إلا أن هذا لم يكن نهجا له، ولم يتكرر في الشرح كله.

وشبيه به ما نجده في شرحه لبيت زهير بن أبي سُلمى، الذي يقول فيه :

٣- بِها العِينُ والآرَامُ يَمشِينَ خِلفةً وأطلاؤُها يَنْهَضنَ مِن كلِّ مَجْثِمِ [٤]

قال: " والطلاء: ولد البقرة والظبي والشاة ، ويقال له طلا من ساعة يولد إلى نصف شهر، وقد **يُستعار** الطلا لأولاد الناس ... " [٥]، ولا تكشف هذه الإشارة السريعة للفظة عن دلالة متكاملة للاستعارة بغير الدلالة اللغوية .

ومن الإشارات البلاغية التي مر بها ابن الأنباري في الشرح "الالتفات"، مبينا تعريفه على عُجالة دون أن يذكر المصطلح، وكان يقصد من الإشارة إليه توضيح المفارقة في أسلوب الحديث بغرضٍ يخدم المعنى اللغوي أكثر من المعنى البلاغي، وجاء هذا في شرحه بيت عنترة بن شداد، الذي يقول فيه:

٦- حَلَّت بأرض الزَّائرينَ فأصبحَتْ عَسِراً عَلَّى طِلابُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ [٦]

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٣ .

[٢] نسب ابن هشام اللخمي في شرح أبيات الجمل هذا البيت لرؤبة بن العجاج، لكنه لم يرد في ديوانه، وذكر في نوادر ابن الأعرابي غير منسوب. انظر: البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج ٨، ص٢٣٢،٢٣٣.

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ١٤٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٣٩ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٢٤٠ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٢٩٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فإن قال قائل: كيف قال: حلّت بأرض الزائرين، فذكر غائبة، ثم قال: طلابك ابنة مخرم، فخاطبَ ؟ قيل له: العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة. فالموضع الذي رجعوا فيه من الغيبة إلى الخطاب، قول الله عزّ وجلّ: (وسَقاهم ربهم شراباً طَهُوراً، إنّ هذا كان لكم جزاءً) [١]، فرجَع من الغيبة إلى الخطاب. والموضع الذي رجعوا فيه من الخطاب إلى الغيبة، قوله تعال: (حتّى إذا كنتم في الفُلكِ وجَرَينَ بهم) [٢] ، معناه وجرينَ بكم، فرجعَ من الخطاب إلى الغيبة [٣].

وما يؤكد أنه لم يقصد المعنى البلاغي أنه مرّ على الالتفات في بيت آخر لعنترة بن شداد ولم يتوقف عنده، مكتفيا بنثر معناه اللغوي، قائلا :

٧- عُلّقتُها عَرَضاً وأقتُلُ قومَها زَعَماً لعَمْرُ أبيكِ ليس بمَزْعَم [٤]

" وقوله: وأقتل قومها، معناه علّقتُها وأنا أقتل قومها فكيف أحبها وأنا أقتلهم، أم كيف أقتلهم وأنا أحبّها. ثم رجع مخاطباً نفسه، فقال: " زَعَما لعمر أبيك ليس بمزعم "، أي هذا فعلٌ ليس بمثلِ فعلي " [٥].

ومن الإشارات البلاغية التي مر بها ابن الأنباري سريعا، ما يتصل بالأساليب الإنشائية، خاصّة خروج الاستفهام إلى غير معناه الحقيقي، وهذه الإشارة نرصدها في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

٢٠- أغَرّكِ مِنّي أنّ حُبّكِ قاتِلي وأنّكِ مَهْمَا تأمُري القلبَ يَفعَلِ [٦]

قال: " قوله: "أغرك مني"، لفظه لفظ استفهام، ومعناه معنى التقرير" [٧].

---

[١] القرآن الكريم، سورة (الإنسان)، الآيتان رقم (٢١ ، ٢٢) .

[٢] المصدر نفسه، سورة (يونس)، الآية رقم (٢٢) .

[٣] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٠٠ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٣٠٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٣٠١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٥ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٤٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي أمثلة أخرى من الشرح، كان ابن الأنباري يكتفي بذكر الغرض من الأسلوب دون أن يحدد نوعه، وذلك ليكشف عن المعنى الذي يحققه الأسلوب، ونلحظ هذا في بيت زهير ابن أبي سلمى:

١- أمِنْ أمّ أوفـى دِمنةٌ لم تَكَلَّم بحَومَـانـةِ الـدُّرَّاج فالمـتَثـلَّم [١]

قائلا: " وقوله: "أمن أمّ أوفى"، معناه أمِن دِمَن أمّ أوفى دِمنةٌ لم تَكلَّم، أي أمن منازل أمّ أوفى. وهذا على التفجع "[٢]. وتبقى هذه إشارات متفرقة لا تؤسس لمنهج بلاغي واضح المعالم.

الظواهر العروضية

إن كنا قد وجدنا بعض الإشارات النقدية والبلاغية في شرح ابن الأنباري، إلا أن المصطلح العروضي وما يتصل به قد غاب تماما عن الشرح، ولم يذكر من قريب أو بعيد هذا العلم، وجُلّ ما ورد في هذا السياق بعض مواضع الضرورات الشعرية التي أوردها في سياق بيان الوجوه اللغوية فقط .

ومن هذا النزر اليسير ما نجده في سياق شرحه لبيت زهير بن أبي سُلمى، الذي يقول فيه:

٧- تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِن ظعائنٍ تَحَمَّلْـنَ بالعَلياءِ مِنْ فوق جُـرثُم [٣]

قال: " وقال يعقوب: الظعائن: النساء في الهوادج، واحدتها ظعينة. يقال للمرأة هي في بيتها ظعينة، والظعون البعير الذي تركبه المرأة ...، وأجرى الظعائن **لضرورة الشعر**. قال الفراء والكسائي: الشعراء تُجري في أشعارها كلَّ ما لا يُجري؛ إلا أفعلَ منك ، فإنهم لا يُجرونه في وجهٍ من الوجوه، لأنّ (مِنْ) تقوم مقام الإضافة، فلا يجمع بين إضافة تنوين "[٤]، ولم يعقب على هذا بشيء ذي بال.

ومثل هذه الإشارة وردت في شرحه لبيت امرئ القيس، الذي يقول فيه :

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٣٧ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٣٧ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٤٤ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٤٥. وأمثلة أخرى للضرورة الشعرية في الشرح: ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣- ويومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالتْ لكَ الوَيْـلاتُ إنَّكَ مُرْجِلي [١]

قال: " وخدرَ عنيزة مترجمٌ عن الخدر الأول، وعنيزة مخفوضة بإضافة الخدر إليها، وكان ينبغي أن ينصبها بلا تنوين لأنها تُجري، كما تقول: نظرت إلى فاطمة وعائشة، ولكنه خفضها بتنوين **لضرورة الشعر**" [٢].

وفي بيت ذكرناه سابقا لزهير، يقول فيه :

٣٢- فَتُنْتِجْ لكُمْ غِلْـمانَ أشأمَ كُلُّهُمْ كأحمر عـاد ثُمَّ تُرضِع فتَـفْطِمِ [٣]

عدّه قد أخطأ، لكنه كان قبلها قد استشهد به على جواز ذلك للضرورة الشعرية حين شرح بيت امرئ القيس الذي يقول فيه:

٢٥- إذا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أثْنـاءِ الوشَاحِ المُـفَصَّلِ [٤]

قال: " ...، وأنكر قوم "إذا ما الثريّا في السَّماء تَعَرَّضَتْ"، وقالوا: الثريا لا تَعَرُّض لها، ويحكى عن محمد بن سلام البصري أنه قال: إنما عنى بالثريا الجوزاء؛ لأنّ الثريا لا تَعَرَّضُ، قال: وقد تفعل العرب مثل هذا، واحتجَّ ببيت زهير: .... ، قال: أراد زهير كأحمر ثمود، فجعل عادا في موضع ثمود **لضرورة الشعر** " [٥].

ومما أشار إليه متصلا بالضرورات الشعرية قصر الممدود، وجاءت هذه الإشارة في شرحه لبيت الحارث بن حلزة الذي يقول فيه:

٩- غَيرَ أنِّي قَدْ أستَعِـينُ عـلى الهَـ ـمِّ إذَا خَـفَّ بـالثَّـويِّ النَّـجَاءُ [٦]

قال: "إذا خفّ بالثَّويّ النَّجاء"، وهو المقيم. و"النَّجاء": الانطلاق والانكماش، والغالبُ عليه المدّ، وربَّما قُصِرَ في الشعر. فإذا كرّر فقيل: النَّجا النَّجا، جاز فيه المدّ والقصر "[٧]، وهو لم يذكر ذلك لغرض التوضيح الشعري، وإنما لتوضيح الغرض اللغوي .

---

[١] ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٣٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص ٣٦ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٦٩ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٥٠ .

[٥] المصدر نفسه، ص ٥١ .

[٦] المصدر نفسه، ص ٤٤٠ .

[٧] المصدر نفسه، ص ٤٤٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه، فإن شرح ابن الأنباري يكشف لنا أن اهتمامه بالجانب النقدي والبلاغي وما يتصل بهما لم يكن حاضرا حين وضع مصنفه، وأن الغاية الأسمى لديه كانت لغوية نحوية، ويسجل له من الناحية الفنية أنه حفظ لنا شعرا يزيد على ضعف شعر السبع الطوال مجتمعة، وزاد على ذلك أن شرحه بمنهج الشرح ذاته الذي اتبعه في السبع الطوال الجاهليات، فكأننا نقف على شرحين في شرح واحد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها:

أولا : الشرح الشعري لفظ عام يشترك فيه التفسير والتأويل، ويمكن تعريفه: بأنه عملية مسح شاملة للمادة الشعرية، يحاول الشارح فيها توضيح الألفاظ الغريبة في كل بيت شعري، وذلك بذكر المعنى اللغوي، والأوجه الإعرابية، وما يدور حول هذا الشعر من أحداث تاريخية تسهم في توضيحه، وبيان المعنى الحقيقي، أو تأويل المعنى المجازي لكل بيت .

ثانيا: خضعت الشروح الشعرية في نشأتها إلى مراحل تدريجية في النمو، كانت بدايتها في الجاهلية على لسان الشاعر وقبيلته ورواته. واستمرت هذه العملية محافظة على شكلها حين جاء الإسلام، يتداولها الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته والتابعون رضي الله عنهم إلى أن جاء عصر التدوين في منتصف القرن الثاني الهجري، فنهضت جماعة من الرواة والعلماء بهذه الشروح .

ثالثا: شكل الرواة والعلماء الذي نهضوا بالشروح الشعرية من بداية التدوين إلى عهد ابن الأنباري خمس طبقات، تضافرت جهودهم في كل طبقة ليصلوا بالشروح إلى مرحلة النضج، فتمثل عمل الطبقة الأولى في عملية جمع الشعر وتفسير الغريب من ألفاظه. وتلقف أصحاب الطبقة الثانية هذا التراث من أساتذتهم، ليتعاملوا معه بما لديهم من علم وثقافة، فينتقلوا به إلى مرحلة أكثر تقدما. ويسلموه بعد ذلك إلى الطبقة الثالثة التي تعاملت معه بمنهجية أكثر علمية، لينسق بينه رجال الطبقة الرابعة فيصلوا به إلى مرحلة تصنيع الشروح، التي امتازت بالتنسيق بين الشروح السابقة وانتقاء أحسنها وأجودها، ليأتي أصحاب الطبقة الخامسة والعلوم قد وُضِعت، ومنازع العلماء وَضُحت، فتتغيّر غاية الشرح من توضيح الشعر إلى نشر المذهب .

رابعا: تعددت العوامل التي مهدت لظهور الشروح الشعرية، فالحرص على فهم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف دفع العلماء لشرح الشعر والافادة من تفسير ألفاظه. ولعل عناية الخلفاء والأمراء جعلته ميدانا للتنافس بين الشراح، وتنوع العلوم في حلقات الدرس دفع العلماء إلى الاهتمام به باعتباره حجة للإقناع، ووسيلة للإثراء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خامسا: حرص الشراح على انتقاء مادتهم من الأشعار القيمة التي تعلق في نفوس الجمهور، التي عادة يدور حولها الخلاف والجدل، ليكون الشرح ذا فائدة وأثر كبيرين. واختار أغلبهم منهج الأخفش باعتباره منهجا لهم في تناول الأبيات، وهو منهج يعمد إلى شرح القصيدة بيتا بيتا .

سادسا: تنوعت الاتجاهات العلمية التي يقصدها الشارح في شرح الشعر بتنوع ثقافته وميوله، ومن هذه الاتجاهات: التاريخي، واللغوي، والنحوي، والصرفي، والبلاغي، والنقدي، لتصبح الشروح بذلك وكأنها متون لهذه العلوم .

سابعا: يشمل الاتجاه التاريخي التحقق من الروايات الشعرية، والاهتمام بالجوانب التاريخية وما يتصل بها، وقد حرص الشارح على توظيفهما في عملية الشرح؛ لدورهما البارز في توضيح معنى الشعر .

ثامنا: اتضح هذا الجانب في شرح ابن كيسان ولكن بصورة موجزة تفتقد السند، فقد استهل بنسب الشاعر قبل الدخول في شرح كل قصيدة، وعرّف بالأعلام والقبائل والأماكن التي وردت في الشعر، وسرد بعض الأحداث ذات الصلة بالأبيات. أما اهتمامه في رواية القصائد، فشمل التحقق من متن القصائد ونسبتها إلى الشاعر، وإثبات الروايات المختلفة لألفاظ كل بيت شعري من دون إسناد الروايات لأصحابها، أو ترجيح رواية على أخرى .

تاسعا: خاض ابن الأنباري في شرحه عناصر هذا الاتجاه كلها بإيجاز تارة، وبإسهاب تارة أخرى، واختلف عن ابن كيسان في عرضه مناسبات القصائد، وحرصه على ذكر السند، وتوثيقه بعض الأخبار التي سردها بالشعر، ومناقشته بعض القضايا الخلافية في أسماء الشعراء وفي الأبيات التي استحضرها. أما اختلافه مع ابن كيسان في جانب الرواية، فكان في مفاضلة القصائد مع روايات عدة، كوفية وأخرى بصرية، ليسجل كل اختلاف طرأ على حرف أو حركة أو لفظة أو زائد أو منحول، ويتعامل معه فيما يخدم المعنى فيشرحه، أو يتجاهله، أو يرجحه، وكان في الغالب يميل للروايات الكوفية .

عاشرا: كان الاتجاه اللغوي هو السائد عن غيره من الاتجاهات في غالب الشروح الشعرية، وذلك لأن اللغة هي قوام النصوص الشعرية، ولأن الدراسات اللغوية دخلتها فلسفة الخلاف، فكانت في ذروتها وفي عصرها الذهبي إبان التأليف في الشروح الشعرية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حادي عشر: مرّ الاتجاه اللغوي بمراحل نموه تدريجيا إلى أن وصل مرحلة النضج، فتشكل في محورين يكمل كل منهما الآخر في عملية الشرح اللغوي، وهذان المحوران هما: شرح ألفاظ البيت الشعري مفردة، وشرح المعنى العام للبيت. وجاء تفريع اللغويين هذا ليتحقق تدوين أكبر قدر ممكن من مفردات التراث الشعري وحفظه من الضياع والتشوه، وليتدارك الشارح أي نقص قد يقع فيه أثناء تفسيره مكونات البيت الشعري .

ثاني عشر: جاء المحور الأول للاتجاه اللغوي عند الشارحين ليشمل تفسير غريب الألفاظ وضبطها، وملاحظة بنية المفردة الدلالية وتقلباتها، والوقوف على اللهجات العربية في الشعر، وقضايا المشترك اللفظي، والأضداد، والترادف، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، بشكل شبه متقارب عند الشارحين .

ثالث عشر: أما المحور الثاني، فهو محور المعاني العامة، وقد اختلف منهج الشارحين في التعامل معه، فكان الشكل العام له عند ابن كيسان أن يعزله عن الألفاظ، وينثره بعد الانتهاء منها، وقد يقف على المعاني المجازية والمشكلة في البيت، وقد يستضيء بآراء السابقين فيه. أما ابن الأنباري، فلم يحدد لنفسه منهجا واضحا في التعامل مع المعنى العام لكل بيت يتصدى لشرحه، إذ وجد أن إفراد البيت بالوقوف على معناه العام بعد كل هذا الحشد من الوقوف على المفردات، والألفاظ، والتراكيب لا يزيد شيئا عما قدمه .

رابع عشر: كان الاتجاه النحوي في الشروح يتمثل في جانبي: الإعراب والصرف. ووظف هذين الجانبين؛ بهدف الوصول إلى المعنى الصحيح في الأبيات، فيتعرف بالإعراب إلى تركيب الجملة وترتيبها، ووظيفة كل لفظة فيها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من الكلام. أما الصرف فجاء لمعرفة الأصل اللغوي لكل لفظة، ورصد كل ما أصابها من تغيير في البنية، لتجنب الوقوع في التداخل بين الأصول اللغوية .

خامس عشر: برز الجانب النحوي بوضوح في شرحي ابن كيسان وابن الأنباري باعتبارهما من علماء النحو البارزين، فظهر عند ابن كيسان في الكلمات التي يدور حولها الجدل أو التي يستعصي الوصول إلى معناها، ليستعين في ذلك بالعامل والمعمول ولو بإيجاز، وبالعلة والتعليل، وبالوقوف على مواطن الحذف والتقديم والتأخير، وبمعرفة متعلقات الظروف وحروف الجر وعوائد الضمائر، وبسرد الأوجه الإعرابية التي تحتملها كل لفظة، مستعينا بالتقدير الإعرابي في كل ما مضى. أما ابن الأنباري، فكان الجانب النحوي عنده ملازما

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للأبيات جميعها التي تناولها بالشرح، واختلف تعامله مع هذا المنهج عن ابن كيسان باعتماده على العامل النحوي بإسهاب، وبحرصه على توضيح بعض العلامات الإعرابية، وتجاهله قضيتي: التقديم والتأخير .

سادس عشر: تبيّن المذهب النحوي للشارحين في شرح السبع الطوال من خلال مصطلحاتهم ومواقفهم من مسائل الخلاف، فاتسم مذهب ابن كيسان بالخلط بين الكوفيين والبصريين، فجاءت مصطلحاته تارة كوفية وتارة أخرى بصرية. وكانت إعراباته توافق الكوفيين أحيانا والبصريين في أحيان أخرى. أما ابن الأنباري، فبدا مذهبه متعصبا للكوفيين، واتضح ذلك في استخدامه المصطلحات الكوفية، وفي موافقته للكوفيين في معظم الإعرابات.

سابع عشر: تنوع الجانب الثاني من الاتجاه النحوي عند الشارحين ليشمل العديد من القضايا الصرفية، فابن كيسان تناول المفرد، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود، والنسبة، والتصغير، وقضية فعلت وأفعلت، والإبدال، والإدغام. أما ابن الأنباري، فتناول القضايا نفسها، إلا أنه غيّب الاهتمام بقضية فعلت وأفعلت، وازداد عن ابن كيسان بالميزان الصرفي، والجمع، والتقاء الساكنين، والقلب المكاني .

ثامن عشر: يتميز الاتجاه النقدي والبلاغي في الشروح الشعرية بإطلاق الأحكام النقدية على الشعر والشعراء، وعلى مادة الشروح السابقة، والوقوف على بعض القضايا النقدية، وبعض القضايا البلاغية، ومسائل العروض وموسيقى الشعر. وقد وظّف الشرّاح هذا الاتجاه في شروحهم الشعرية لتتبع مواطن الخطأ والصواب، والجودة والإصابة عند الشعراء، ولإدراك أخطاء الشرّاح السابقين، واستكمال نواقصهم، والرد على أقوالهم، وتوضيح وجوه المعاني والبيان في الشعر .

تاسع عشر: قام هذا الاتجاه في الشروح الأولية على أيدي علماء اللغة والنحو، فلم يكن نقدا فنيا، وإنما كان نقدا لُغويا ونحويا، متأثرا بالهوى والنزعات الذاتية والذوق الخاص؛ لذلك افتقدت الشروح الأولية للشعر ملامح النظرية النقدية والبلاغية الناضجة .

عشرون: انعكست الملامح النقدية والبلاغية على شرحي ابن كيسان وابن الأنباري، باعتبارهما من الشروح الأولية للشعر، فجاء الاتجاه النقدي والبلاغي في شرحيهما متداخل المصطلحات، يفتقد التعليل للأحكام النقدية والانطباعية، ويكتفي بالتلميح لبعض القضايا النقدية والبلاغية، فيما يخدم المعنى اللغوي عمّا سواه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إحدى وعشرون: تعدّدت القضايا النقدية التي مرّ بها ابن كيسان سريعا في شرحه لتشمل: السرقات الشعرية، والصدق والكذب، والمقدمة الطللية. وجاءت القضايا البلاغية لتضم: التشبيه، والتمثيل، والكناية، والتعريض، والاستعارة، وبعض الأساليب الإنشائية. أما المسائل العروضية، فلم يشغله منها سوى الضرورة الشعرية التي وقف عليها لبيان بعض الوجوه اللغوية والنحوية .

إثنتان وعشرون: كانت القضية النقدية اليتيمة في شرح ابن الأنباري هي قضية السرقات الشعرية. وجاءت القضايا البلاغية في شرحه مماثلة لما عند ابن كيسان، بيد أنه غيّب التعريض وزاد قضية الالتفات. أما المسائل العروضية، فكانت عند ابن كيسان مقتصرة على قضية الضرورة الشعرية .

ثلاثة وعشرون: كانت الشروح الشعرية تمتاز ببعض السمات الأسلوبية التي تجعلها ذات قيمة فنية وتميزها عن غيرها، فشرح ابن كيسان للسبع الطوال تميز بتناول الأبيات بشكل منسق يشمل (التفسير والمعنى). وقد اهتم بتنوع شواهده في الاحتجاج، فشملت: القرآن، والشعر، والأمثال. وحرص أحيانا على تفسير الشعر بالشعر، واستحضر أقوال العلماء في أغلب المسائل تدعيما لها، ولكن من دون أن ينسبها لأصحابها، تجنبا منه للتعصب القبلي والإقليمي .

أربعة وعشرون: أما السمات الأسلوبية لشرح ابن الأنباري، فأهمها الإكثار من الاستشهاد بالأبيات الشعرية إلى جانب الآيات والقراءات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال، ليدعّم في أغلب الأحيان المسائل اللغوية والنحوية. وقد ذهب إلى شرح الشواهد الشعرية ومناقشة بعض القضايا اللغوية والنحوية فيها، إضافة إلى توجيه القراءات وإطلاق الأحكام عليها. كما حرص على تقديم الكوفيين على البصريين في كثير من المسائل، وأكثر من الإسناد إلى أعلامهم في بعض الأقوال، خاصة الفرّاء، والكسائي .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

- ابن أبي يعلى، أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين، (ت ٥٢٦هـ)، **طبقات الحنابلة**، ط١، (تحقيق: أبو حازم أسامة بن حسن وأبو الزهراء حازم علي بهجت)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ .

- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت ٦٣٧هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٩ .

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط١، خمسة عشر جزء، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون و محمد علي النجار)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤ .

- الأسد، ناصر الدين، (١٩٩٦). **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط ٨، بيروت: دار الجيل .

- الأسدي، بشر بن أبي خازم، **الديوان**، ط٢، (تحقيق: عزّة حسن)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢ .

- الأسدي، الكميت بن زيد، (ت ١٢٦هـ)، **شعر الكميت بن زيد الأسدي**، ط ١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩ .

- الأصفهاني، حمزة بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ)، **التنبيه على حدوث التصحيف**، (تحقيق: محمد حسين آل ياسين)، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧.

- ابن الأعرابي، أبو عبد الله محمد بن زياد، (ت ٢٣١ هـ)، **أسماء خيل العرب وفرسانها**، ط١، (تحقيق: محمد عبد القادر أحمد)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤ .

- الأعشى، ميمون بن قيس، (ت ٧هـ)، **الديوان**، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي، (ت ٤٧٦هـ)، **شرح حماسة أبي تمام**، ط١، (تحقيق: علي المفضل حمودان)، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٢.

- الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي، (ت ٤٧٦هـ)، **شعر زهير بن أبي سلمى**، ط٣، (تحقيق: فخر الدين قباوة)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠.

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، (ت٥٧٧هـ)، **أسرار العربية**، ط١، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، ١٩٩٩.

- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي، (ت٥٧٧هـ)، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الفكر، بيروت، (د.ت) .

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (ت ٥٧٧هـ)، **البلغة في الفرق بين المؤنث والمذكر**، ط١، (تحقيق: رمضان عبد التواب)، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠.

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، (ت ٥٧٧هـ)، **حلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود**، (تحقيق: عطية عامر)، معهد الدراسات الشرقية، ستوكهولم، ١٩٦٦.

- ابن الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت ٥٧٧ هـ)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ط١، (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **كتاب الأضداد**، ط٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٦.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **كتاب إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل**، (تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، جزءان، (تحقيق: حاتم صالح الضامن)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٧٩.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها**، (تحقيق: صلاح الدين المنجد)، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٢.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، ط ٥، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣.

- ابن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم، (ت ٣٢٨هـ)، **المذكر والمؤنث**، (تحقيق: طارق عبد عون الجنابي)، وزارة الأوقاف، بغداد، ١٩٧٨.

- الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار، (ت ٣٠٤هـ)، **شرح ديوان المفضليات**، ط١، مجلدان، (تحقيق: محمد نبيل طريفي)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

- امرؤ القيس، **الديوان**، ط ١، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨ .

- أوس بن حجر، **الديوان**، ط ١، (تحقيق: محمد يوسف نجم)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.

- أيوب، سالم، (١٩٧٩)، **ظاهرة الأضداد في اللغة العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، مصر.

- إبراهيم، طه أحمد، (د.ت)، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري**، بيروت: دار الحكمة.

- إبراهيم، محي الدين توفيق، (١٩٧٤)، كتاب مسألة من التعجب لأبي بكر بن الأنباري. **مجلة آداب الرافدين**، العدد (٥) .

- البخاري، السيّد صدّيق بن حسن خان القنوجي، (ت ١٣٠٧ هـ)، **أبجد العلوم**، ط١، جزءان، (وضع حواشيه وفهارسه: أحمد شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦ هـ)، **صحيح البخاري**، ط ١، مصورة عن السلطانية، تسعة أجزاء، (تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠٢ .

- بروكلمان، كارل، (١٩٧٤)، **تاريخ الأدب العربي**، ط٣، خمس أجزاء، (ترجمة: عبدالحليم النجار)، القاهرة، دار المعارف.

- البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد، (ت ٥٢١ هـ)، **كتاب الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل**، (تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي)، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٠ .

- البغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ط١، ثلاثة عشر جزء، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦.

- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن محمد الأونبيّ، (ت ٤٨٧هـ)، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، ط ١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: عبد العزيز الميمني)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت ٤٨٧هـ)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، (تحقيق: مصطفى السقا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٥.

- البنا، محمد إبراهيم، (٢٠٠٦)، **دراسات ونصوص لغوية: ابن كيسان النحوي**، ط١، لبنان: دار ابن حزم .

- تحريشي، محمد، (١٩٨٩)، **النقد الأدبي في شروح الشعر العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سوريا.

- ابن تغري، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، (ت ٨٧٤ هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، اثنا عشر جزء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت ٤٢٩هـ)، **فقه اللغة وسر العربية**، ط١، (تحقيق: عبد الرزاق المهدي)، إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، (ت ٢٩١ هـ)، **مجالس ثعلب**، ط٢، جزءان، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، **البيان والتبيين**، أربعة أجزاء، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ)، **الحيوان**، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٧هـ.

- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، (ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**، ط٣، جزآن، (تحقيق: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢.

- ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد، (ت ٨٣٣هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ط١، مجلدان، (تحقيق: ج . برجستراسر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٣.

- الجمحي، محمد بن سلام، (ت ٢٣١هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، جزءان، (تحقيق: محمود شاكر)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٨٠.

- الجندي، علي، (١٩٦٦)، **تاريخ الأدب الجاهلي**، ط٢، جزءان، بيروت: مكتبة الجامعة العربية.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت ٣٩٢هـ)، **الخصائص**، ط١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: محمد علي النجار)، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ج١/١٩٥٢)، (ج٢/١٩٥٥)، (ج٣/١٩٥٦).

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت ٣٩٢هـ)، **المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ط١، دار إحياء التراث القديم، بيروت، ١٩٥٤.

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت ٥٩٧هـ)، **غريب الحديث**، ط١، جزءان، (تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسان، تمام، (١٩٨١)، **الأصول: دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب**، ط ١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة .

- حسين، مصطفى، (١٩٧٨)، **رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع**، ط١، القاهرة: دار النهضة العربية.

- الحلوجي، عبد الستار، (١٩٦٧)، الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره إلى آخر القرن الرابع الهجري. **مجلة معهد المخطوطات العربية**، المجلد الثالث عشر (ج٢).

- حمروني، الطاهر، (١٩٨٥)، **منهج أبي علي المرزوقي في شرح الشعر**، ط ١، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب .

- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ)، **معجم الأدباء**، ط١، سبعة مجلدات، (تحقيق: عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩.

- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦ هـ)، **معجم البلدان**، جزءان، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٥.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣ هـ)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، ط١، سبعة عشر مجلدا، (تحقيق: بشار عواد معروف)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١.

- الخطيب التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، (ت ٥٠٢ هـ)، **شرح ديوان الحماسة**، ط١، أربعة أجزاء، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٨.

- ابن الخطيم، قيس، **الديوان: عن ابن السكيت وغيره**، ط ١، (تحقيق: ناصر الدين الأسد)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٦٢.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت ٦٨١ هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ط١، ثمانية مجلدات، (تحقيق: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- خليل، إبراهيم، (١٩٩٥)، **النص الأدبي: تحليله وبناؤه**، ط ١، عمان: دار الكرمل.

- ابن خير، أبو بكر محمد، (ت ٥٧٥هـ)، **فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، ط٢، (تحقيق: فرنسشكة قدارة زيدين وتلميذه خليان ربارة طرغوه)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

- **دائرة المعارف الإسلامية**: أصدرت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية، ثلاثة عشر مجلدا، (ترجمة: أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس)، دار الفكر، بيروت، ١٩٣٣.

- درويش، عبد الله، (١٩٥٦)، **المعاجم العربية: مع اعتناء خاص بمعجم الخليل بن أحمد**، ط١، الرسالة .

- درويش، محمد طاهر، (١٩٧٩)، **في النقد الأدبي عند العرب**، ط١، مصر: دار المعارف.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (ت ٧٤٨هـ)، **تذكرة الحفاظ**، ط١، أربعة أجزاء، (تحقيق: زكريا عميرات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- الذهب، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، (ت ٧٤٨ هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تسعة عشر جزء، (تحقيق: عمر بن غرامة العمروي وعبد السلام محمد علوش)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧.

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان، (ت ٧٤٨ هـ)، **العبر في خبر من غبر**، أربعة أجزاء، (تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.

- ذو الرمة، غيلان بن عقبه بن مسعود، (ت ١١٧هـ)، **الديوان**، ط١، (تحقيق: مطبع ببيلي)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٦٤.

- الراجحي، عبده، (١٩٧٤)، **فقه اللغة في الكتب العربية**، بيروت: دار النهضة العربية.

- الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٧٤)، **تاريخ آداب العرب**، ثلاثة أجزاء، بيروت: دار الكتاب العربي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، (ت ٣٨٤هـ)، **رسالة الحدود**، (تحقيق: إبراهيم السامرائي)، دار الفكر، عمان، (د.ت) .

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي، (ت ٣٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، ط٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي، (ت ٣٣٧ هـ)، **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، ط ١، (تحقيق: عبد الحسين المبارك)، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٤٠ هـ)، **أمالي الزجاجي**، ط١، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت ٣٣٧هـ)، **الإيضاح في علل النحو**، ط٢، (تحقيق: مازن المبارك)، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٣.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت٣٤٠ هـ)، **مجالس العلماء**، (تحقيق:عبدالسلام محمد هارون)، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٦٢.

- زردة، يوسف حمزة، (١٩٩٦)، **اتجاهات شروح الشعر في التراث العربي ومناهجها حتى نهاية القرن السادس الهجري**، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تشرين، دمشق، سوريا.

- الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، أربعة أجزاء، (تحقيق: أبو الفضل إبراهيم)، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧.

- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط ١٧، ثمانية أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٧.

- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد، (ت ٥٣٨هـ)، **المفصل في صنعة الإعراب**، ط ١، (تحقيق: علي بو ملحم)، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣.

- الزهري، محمد بن سعد بن منيع، (ت ٢٣٠هـ)، **كتاب الطبقات الكبير**، ط١، (تحقيق: علي محمد عمر)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد، (ت ٢٥٥هـ)، **المذكر والمؤنث**، (تحقيق: حاتم صالح الضامن)، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧.

- سزكين، فؤاد، (١٩٧١)، **تاريخ التراث العربي**، مجلدان، (ترجمة: فهمي أبو الفضل)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله، (ت ٢٧٥هـ)، **شرح ديوان كعب ابن زهير**، ط١، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠.

- السّهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي، (ت٥٨١هـ)، **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، ط١، أربعة أجزاء، (تحقيق: مجدي منصور بن سيد الشورى)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠ هـ)، **الكتاب**، ط ٣، أربعة أجزاء ، (تحقيق: عبد السلام هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ)، **الاقتراح في أصول النحو**، (تحقيق: محمد بن فريد الشبراوي)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت ٩١١ هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤.

- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين بن أبي بكر، (ت ٩١١هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

- الشايب، أحمد، (١٩٩٤)، **أصول النقد الأدبي**، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد البغدادي، (ت ٥٤٢ هـ)، **الأمالي الشجرية**، جزءان، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ششن، رمضان، (١٩٧٥)، **نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا**، ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديد .

- الشطي، سليمان علي حسن، (١٩٧٨)، **شروح المعلقات**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، (٢٠٠٢)، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، ط ١، جزءان، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية.

- أبو صالح، عبد القدوس، (١٩٧١)، **شرح ديوان ذي الرمة لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.

- الصباغ، محمد بن لطفي، (١٩٨٤)، المناهج والأطر التأليفية في تراثنا. **مجلة الدارة**، السنة العاشرة (العدد الأول).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت ٧٦٤ هـ)، **الوافي بالوفيات**، ط ١، تسعة وعشرون مجلدا، (تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (ت ٣٣٥هـ)، **أخبار الراضي بالله والمتقي لله**، ط٢، (تحقيق: ج . هبورت دن)، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

- الضبّي، المفضل محمد بن يعلى بن عامر، (ت ١٦٨هـ)، **أمثال العرب**، ط١، (تحقيق: قصي الحسين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٣.

- ضيف، شوقي، (١٩٧٣)، **تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني**، ط١، القاهرة: دار المعارف .

- ضيف، شوقي، (١٩٩٩)، **المدارس النحوية**، ط ٨، القاهرة: دار المعارف.

- الطائي، أبو صالح يحيى بن مدرك، **ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره: رواية هشام بن محمد الكلبي**، ط ١، (تحقيق: عادل سليمان جمال)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد، (ت ٣٢٢هـ)، **عيار الشعر**، ط١، (تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦.

- ابن الطفيل، عامر، (ت١٠هـ)، **الديوان: رواية أبي بكر بن الأنباري عن أبي العباس أحمد ابن يحيى ثعلب**، ط١، (تحقيق: كرم البستاني)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

- طه، حسين، (١٩٢٧)، **في الأدب الجاهلي**، ط٢، القاهرة: دار المعارف.

- أبو الطيب اللغوي، عبد الواحد بن علي الحلبي، (ت ٣٥١ هـ)، **مراتب النحويين**، ط٢، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٤.

- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، (ت ٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، ط٣، تسعة أجزاء، (تحقيق: عبد المجيد الترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- أبو عبيدة، معمر بن المثنى، (ت ٢٠٩هـ)، **كتاب النقائض**، (تحقيق: بيفان)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) .

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد،(ت ٣٨٢هـ)، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، جزءان، (تحقيق: السيد محمد يوسف)، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ت).

- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد، (ت ٣٨٢هـ)، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، ط١، مطبعة الظاهر، القاهرة، ١٩٠٨.

- العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين البغدادي، (ت ٦١٦هـ)، **مسائل خلافية في النحو**، ط١، (تحقيق: محمد خير الحلواني)، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٢.

- علوش، جميل، (١٩٨٥)، الإعراب ودوره في دراسة العربية. **المجلة العربية**، السنة التاسعة، (العدد ٩٦).

- علوش، جميل، (١٩٨١)، **ابن الأنباري وجهوده في النحو**، ط١، بيروت: الدار العربية للكتاب .

- علي، جواد، (د.ت)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، عشرة مجلدات، (د.ن) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن العماد العكري، أبو الفلاح شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي، (ت ١٠٨٩ هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط ١، أحد عشر مجلدا، (تحقيق: محمود الأرناؤوط)، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦.

- العمري، أحمد جمال،(١٩٨١)، **شروح الشعر الجاهلي**، ط١، جزءان، القاهرة: دار المعارف.

- العمري، أحمد جمال، (١٩٩٠)، **المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني: نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري**، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي .

- الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم، (١٩٩٣)، **جامع الدروس العربية**، ط ٢٨، ثلاثة أجزاء، صيدا: المكتبة العصرية .

- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، **الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ط١، الناشر: محمد علي بيضون، ١٩٩٧.

- الفتلي، عبد الحسين وشلاش، هاشم طه، (١٩٧٥)، كتاب الموفقي في النحو لابن كيسان. **مجلة المورد**، المجلد الرابع (العدد الأول) .

- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، (ت ٣٥١ هـ)، **الأمالي**، ط١، جزءان، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٥٣.

- قباوة، فخر الدين، (١٩٧٥)، رواد شرح الشعر. **مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق**، المجلد الخمسون (الجزء الثالث).

- قباوة، فخر الدين، (١٩٩٧)، **منهج التبريزي في شروحه والقيمة التاريخية للمفضليات**، ط٢، دمشق: دار الفكر .

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ)، **أدب الكاتب**، ط١، (تحقيق: محمد الدالي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، (تحقيق: إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، **الشعر والشعراء**، ط١، (تحقيق: عمر الطباع)، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦هـ)، **كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني**، ط١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤.

- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، (توفي في أوائل القرن الرابع)، **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، ط١، (تحقيق: محمد علي الهاشمي)، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦.

- القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، (ت ٧٣٩هـ)، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط ٣، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي)، دار الجيل، بيروت، (د.ت).

- القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، (ت ٦٤٦ هـ)، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، ط١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠ .

- القيرواني، ابن رشيق، (ت ٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٣٤ .

- الكاتب، أبي التستري، (ت ٣٦١هـ)، **المذكر والمؤنث**، ط١، (تحقيق: أحمد عبدالمجيد هريدي)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٣.

- ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، **البداية والنهاية**، ط١، أربعة عشر جزء، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

- ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت ٢٩٩ هـ)، **تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها**، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت ٢٩٩هـ)، **شرح قصيدتي امرئ القيس وطرفة**، ط١، (تحقيق: محمد حسين آل ياسين)، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩.

- ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت ٢٩٩ هـ)، **شرح معلقة عمرو بن كلثوم**، ط١، (تحقيق: محمد إبراهيم البنا)، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٠.

- ابن كيسان، أبو الحسن محمد بن أحمد، (ت ٢٩٩هـ)، **شرح معلقة امرئ القيس**، ط١، (تحقيق: نصرت عبد الرحمن)، دار البشير، عمان، ١٩٩٩.

- المبارك، مازن، (١٩٧٠)، **نَحْوَ وَعْيٍ لُغَويّ**، ط١، دمشق: (د.ن).

- المُتَلَمِّسُ الضُّبَعِي، جرير بن عبد المسيح، (ت ٥٨٠ م)، **الديوان: رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي**، ط١، (تحقيق: حسن كامل الصيرفي)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٧٠.

- المختون، محمد بدوي، (١٤٠١هـ)، ظاهرة القلب المكاني في العربية. **مجلة كلية اللغة العربية** في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (العدد ١١).

- المدني، علي محمد، (١٩٩٥)، الإعراب في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر ابن الأنباري: دراسة وصفية. **مجلة جامعة الملك سعود**، المجلد السابع (العدد الأول).

- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (ت ٤٢١هـ)، **شرح ديوان الحماسة لأبي تمام**، ط١، مجلدان، (تحقيق: غريد الشيخ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

- ابن مصباح، وناس، (١٩٨٦)، ملاحظات أولية حول الشروح الأدبية. **الحياة الثقافية**، (العدد ٤١).

- معصومي، أبو محفوظ الكريم، (١٩٥٩)، كتاب شرح الألفات لأبي بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنباري النحوي. **مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق**، المجلد٣٤ (الجزء ٣).

- ابن المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين، (ت ٤١٨هـ)، **كتاب الإيناس بعلم الأنساب**، ط٢، (تحقيق: إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، ط١، خمسة عشر مجلدا، (تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

- موعد، محمد عطا، (٢٠٠٠)، **محمد بن القاسم بن الأنباري وجهوده في النحو والصرف واللغة**، ط١، دمشق: دار الفكر .

- الميمان، مها صالح، (١٩٨٨)، **المسائل النحوية في كتاب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية .

- النجار، عز الدين البدوي، (١٩٨٩)، قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد ابن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ). **مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق**، المجلد٦٤ (ج٤).

- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (ت ٣٣٨ هـ)، **إعراب القرآن**، ط١، خمسة أجزاء، (علق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، (ت ٣٣٨هـ)، **شرح القصائد التسع المشهورات**، جزآن، (تحقيق: أحمد خطاب)، وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٣.

- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق، (ت٤٣٨ هـ)، **الفهرست**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٦.

- نور الدين الأشموني، أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى الشافعي، (ت٩٠٠ هـ)، **شرح الأشموني لألفية بن مالك**، ط١، أربعة أجزاء، دار اكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

- الهذلي، أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث بن مخزوم، **الديوان**، ط١، (تحقيق: أنطونيوس بطرس)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.

- ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري، (ت ٧٦١هـ)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ط١، جزءان، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هنطش، محمد أحمد، (١٩٨٩)، الروابط اللغوية وظهور حركة التنقية في صدر الإسلام. **مجلة البحث العلمي**، السنة الثامنة (العدد ١٨) .

- الواقدي، محمد بن عمر، (ت ٢٠٧ هـ)، **كتاب المغازي**، ط١، ثلاثة أجزاء، (تحقيق: مارسدن جونس)، مطبعة جامعة إكسفورد، ١٩٦٦.

- ولويل، كامل جميل، (١٩٨٨)، الحركات الإعرابية ودلالتها. **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، المجلد الثامن(العدد ٣١) .

- الياسري، علي مزهر، (١٩٧٩)، **أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة**، بغداد: دار الرشيد.

- آل ياسين، محمد حسين، (١٩٧٤)، **الأضداد في اللغة**، بغداد: دار المعارف .

- آل ياسين، محمد حسين، (١٩٨٠)، **الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث**، ط١، بيروت: دار مكتبة الحياة.

- آل ياسين، نوار محمد حسين، (١٩٧٦)، الهاءات في كتاب الله لأبي بكر بن الأنباري. **مجلة البلاغ**، السنة السادسة: (العددان ٦ ، ٧) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Investigation a sample of these poetic explanations before the 4th Hijri century indicates that the explanations is concerned mainly with meanings and words used. In addition, such an investigation tells that these explanations are derived from certain factors, including: the religious text, study sessions, and princes' and caliphs' interest in narration and explanation of poetry. In fact, the variance of explainer's directions is apparently based on their various knowledge and culture. As a result, their directions were historical, linguistic, syntactic, and rhetoric.

Investigation Seven Poems explanations of both Ibn Kisaan and Abi-Bakr Bin Al-Anbarai determines the directions they make use of in explaining the meaning, the main lines of each direction, and the extent of its impact. The main features of historical direction include: the poet's affiliation, scholars, places, and tribes mentioned in the poems in addition to highlighting the poems' occasions and any news related, the main events involved, and validation of narration of poems.

The linguistic direction is interested with words and meanings. Both explainers interpret the strange words; notice the etymology of words, synonymy, antonymy, and paraphrase the general meaning of the poems. Concerning the syntactic direction, it includes the syntax and morphology. Both scholars were interested in the following syntactic and morphological issues: vocalization, deletion, foregrounding, syntactic debates, etc.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

The rhetorically critical direction lacks in both explanations the main features of scientific theory. It is restricted in serving the linguistic meaning. They depend on setting personal implications. In reality, they get interested in some issues concerned such as: poetic plagiarism, the remains introduction, etc.

٧٢٠٠٦٤

Finally, the researcher to build up a valid research uses some techniques of scientific research including the descriptive, explanatory, historical, analytical, and statistical ones.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit